فراشات المستنقع

تأليف :الشيماء خالد

٢٠٠٧

الناشر

المكتب المصرى لتوزيع المطبوعات

طباعة - نشر-توزيع

obeikandl.com

المكتب المصري للمطبوعات

الكتاب:

فراشات المستنقع

تأليف :الشيماء خالد

رقم الإيداع :٢٠٠٧/٥٥٥٤

الترقيم الدولي: I.S.B.N :977-407-027-5

الطبعة الأولى ٢٠٠٧

رئيس مجلس الإدارة
محمد حامد راضي

العنوان والتليفون
٥ ش مصطفى طموم - المنيل-
القاهرة تليفاكس ٣٦٥٥٤٨٧

obeikandl.com

كلمة الناشر

فرشات المستنقع

تقدم "الشيماء الخالد" في روايتها "فراشات المستنقع" صوراً متنوعة لعالم الجامعات العربية، غير أنها وهي تقدم تلك الصور تختزل أساليب التربية والعلاقات الاجتماعية والحالات النفسية وقوة المال وضغط الساسة في حركة طالبات الجامعة ذهاباً وعودة في محاولة منهن لكسر جدران العزلة والاشتياق والرغبة في الوصول إلى المعرفة، حتى لو جاءت على حساب قيم الجسد وأحياناً قيم الروح.

هذه الرواية تتضمن قصص طالبات من جنسيات عربية مختلفة التقين في الإمارات، منهن من ولدت فيها ومنهن من جاءتها في سن مبكرة وهى تحمل تجارب سابقة، جمعت بينهن حياة الجامعة، وقبلها ثقافة المجتمع، وهي بذلك لا تخص الإمارات إلا من جهة مكان أحداثها، أما من ناحية البشر الفاعلين، فإنها تتعدى الوطن العربي إلى العالم كله.

بلغة عالية وبوصف جذاب تقدم الشيماء خالد بنت ١٩ ربيعا الحياة الجامعية عبر أفعال بدت للطالبات طريقاً للحرية، دون حساب تكاليف تجاوز المحظورات

obeikandl.com

الاجتماعية والدينية، ومع ذلك فالرواية تتحدث بلغة العصر، وتصف مشاهد الحياة لطالبات وجدن أنفسهن في صراع بين القيم والرغبات، في حياة هي أقرب إلى المستنقع، فانجذبن بوعي أو بدونه إلى حيث غلبة الرغبة على العقل، فنزعت أجنحة بعضهن ونجت أخرى، لكن التجارب بآلامها وسعادتها ظلت ثابتة، لذلك فإن هذه الرواية جديرة بالقراءة ليس من الشباب فقط ولكن من الآباء والأمهات لمعرفة مصير جيل أضطربت علاقتنا به.
فراشات المستنقع رواية تخاطب كل الأجيال .. إنها حديث الطالبات عن أنفسهن وعن المرحلة وعن العصر .. فلتقرأ بوعي وبصبر وبرغبة صادقة للمساهمة في حل مشكلات أبنائنا. دون أن ننسى أن العمل الذي بين أيدينا رواية وليس بحثاً أجتماعياً.

الناشر

www.dvd4arab.com

إهداء

إلى صديقاتي:

مرام، سماح، حنان، إيناس، ثريا، بلقيس، زينة

من رحيق أيامكن و لياليكن كتبت هذا العمل...

و إليكن أهديه.

هذه حبات انفرطت من عقد أيامنا.جمعتها وكتبتها لأني لا أملك إلا أن أفعل، لعل من يقرأها يفهم نفوسنا التي عجزنا عن فهمها.

الشيماء

obeikandl.com

obeikandl.com

كلمات

خذ هذه الرواية كما هي..

إنها صورة ..

صورة للإنسان حين يضل و ينسى ..

صورة للمجتمع حين يقسو و يعمى ..

صورة للفراشات التي لا تملك ..

إلا أن تطير.

obeikandl.com

obeikandl.com

(١)

فراشات تائهات

رفعت شريهان سماعة الهاتف، وبأصابع مضطربة ضغطت على الأرقام، ومع كل رنة رنها الهاتف كان قلبها يزيد من سرعة دقاته، ولكنها غالبت خوفها وحدّثت نفسها قائلة :

- لا شيء يدعو للخوف.. ميرال ليست وحشا.

بعدها جاء الرّد من الطّرف الآخر : نعم .. من معي ؟

خرج صوت شريهان مضطربا :

- أنا شريهان... هل ميرال هنا

دقيقة مرّت ثقيلة على شريهان، التي تساءلت : هل بيتهم كبير لدرجة أن تتأخر ميرال في الرد عليّ أم أنه لا يوجد لديهم هاتف في كل غرفة أم أنها تهملني لحين تنتهي من أمر ما يشغلها؟... من المفروض أن مكالمتي تهمها جدا و...

هنا جاء صوت ميرال نابضا بالحياة، ناطقا بالقوة التي لطالما هابتها شريهان :

- هاي شري.. كيف الحال؟

- بخير ، لقد أردت أن أعلمك أن كل شيء تمّ كما أردت.

openkanaz.com

- أتمنى أن تكوني جادة بهذا الشأن لأنك دائما تفسدين ما أخطط له ، ولولا أن جميعهن مسافرات لاستعنت بـ" لمى".

عند هذا الحد غضبت شريهان من رد ميرال وصرخت فيها :

- ليس صحيحا .. "لمى" لا يمكن أن تنجح هذا الأمر، وأنت تعلمين هذا..إنها معروفة، ولكن أنا - كما سبق وقلت - وجه جديد يا ميرال.. أليس هذا ما قلته؟

أجابت ميرال ببرود :

- لا تصدقي كل ما يقال يا حلوة ... عموما هذا ليس موضوعنا ولا أحب الحديث عن هذه الأمور على هاتف المنزل فقد يرفع أحدهم السماعة الثانية.. ثم لماذا لم تتصلي على " الموبايل"..إنك تذهلينني بذكائك ، عموما أنا ذاهبة الآن للتسوق ، سنتقابل في الـ"مول" الساعة الخامسة لا تتأخري .

وضعت ميرال السماعة دون أن تسمع رد شريهان ، وهي تعلم أنها لن تخالفها وليس لديها وقت لتجاملها، مع أن ميرال من أكثر الأشخاص المجاملين الذين عرفتهم شريهان.

كانت السماعة لا تزال في يد شريهان وهي تفكر في ميرال ولمى وكل المجموعة من صديقاتها..إنهن

يستغللنها وهي تعلم هذا لكنها لا تستطيع مقاومة ميرال أبدا، ولم تكن تدري لماذا .. إنها أذكى من ميرال ولكن تلك الأخيرة أقوى شخصية.. أقوى منها بكثير.

* * *

شادي هو الأخ الأصغر لشريهان والفرق بينهما سنة واحدة لكنه يعامل في البيت على أساس أنه الأكبر، ويعطى صلاحيات واسعة في العائلة لدرجة تخوّله ليسمح أو يمنع شريهان الخروج من البيت نظرا لانشغال والدهما الدائم،على اعتبار أن شادي رجل البيت بعده، لكن من حسن حظ شريهان أن أخاها هذا طيب إلى حد السذاجة، ولا يزال يعتبرها أخته الكبرى، لذلك لم يشكّل عقبة أمامها بل كثيرا ما كان يعينها فيما تطلبه منه.

في ذلك اليوم بعد أن استعدت للخروج مرّت على غرفته فوجدته لا يزال جالسا أمام حاسوبه منشغلا به لدرجة

أنه لم يسمع وقع خطواتها.. طرقت الباب المفتوح وقالت :

- شادي أنا ذاهبة إلى المول ولا أعلم إن كنت سأتأخر أم لا، إن سأل والدي عني فأنت تعلم بما ستخبره.

رفع شادي رأسه وطالعها مليا ثم قال :

- حسنا، ولكن ألا ترين معي أنك كبرت على الضفيرة ...تبدين بها كطفلة.

رفعت شريهان يدها بحركة لا تلقائية ولامست ضفيرتها ثم خرجت مسرعة من غرفة أخيها وهرعت إلى غرفتها ووقفت أمام المرآة..ثم قالت :

- حقا أبدو بالضفيرة كطفلة، وبالتأكيد ستسخر ميرال مني

عند هذا الخاطر فكّت شعرها البنّي الطويل وعقصته للخلف، وفكرت بأن تتركه مسترسلا، لكنها تذكرت أن ميرال قالت لها ذات مرّة :

- أن شعرك ناعم بشكل مضحك ويبدو ملتصقا بك عندما تتركينه ينسدل على كتفيك

ومع أن التعليق السابق من ميرال قد أزعجها في حينه ،إلا أنها لا تزال ملتزمة بأن ترفع شعرها دائما حتى لا يكون كما قالت ميرال.

أخذت حقيبتها وبينما هي تهم بالخروج استوقفها شادي قائلا وهو يطل بجذعه من الباب :

- اسمعي نسيت أن أخبرك أتت البارحة فتاة وسألت عنك بينما أنت في الخارج طوال النهار .

عقدت شريهان حاجبيها وقالت :

- لماذا لم تخبرني إلا اليوم؟.. ثم من تكون تلك الفتاة ؟ ألم تترك اسمها ؟

رد شادي لا مباليا :

- لقد كنت منشغلا ونسيت وهي لم تترك اسمها وقالت إنها ستأتي في وقت لاحق..اسمعي تعلمين أن والدنا لا يحب أن يزورنا أشخاص لا يعرفهم، وهذه الفتاة لا تذكرني بأي صديقة من صديقاتك ، كما أنها أتت دون موعد مسبق وهذا ليس من اللياقة أبدا.

هنا خطر لشريهان خاطر أفزعها فشدت على حقيبتها وقالت :

- اسمع يا شادي هل كانت الفتاة طويلة وشعرها أسود قصير و تضع مكياجا ثقيلا ؟.

فكر شادي قليلا ثم قال :

- نعم هي وعيناها خضراوان أيضا.. ما بك يا أختي؟ لماذا تبدين مضطربة؟..أرجو ألا تورطي نفسك في شيء فالفتاة كانت عصبية جدا وغاضبة وسألت عنك كمن يرغب في قتلك! .

* * *

لم ترد شريهان وأسرعت الخطى في طريقها وكل ما يشغل تفكيرها هو ما ستقوله لميرال ولمى عندما تعود من السفر.. ثم كيف اهتدت تلك الفتاة إلى عنوانها؟ وتمنّت لحظتها لو كانت أمها على قيد الحياة، فهي تشعر بالخوف ولا أحد في هذا العالم يمكن أن تشعر معه بالأمان وخاطبت نفسها:

- أن لا شيء يدعو للخوف ،إذن لماذا لا أكون قوية؟

عند هذا الخاطر كانت قد وصلت إلى غايتها وانتظرت عند المدخل إلى أن وصلت ميرال في كامل أناقتها كالعادة تضع سمّاعة المحمول على أذنيها وتتحدث، واكتفت بأن أشارت لها لتصعد إلى الطابق الثاني.

مشت ميرال و شريهان تتبعها، حتى قررت أن تجلس في كافيه "موكا" وأنهت مكالمتها ضاحكة، ثم حدجت شريهان بنظرة صارمة وأشارت للنادلة بما تريد، وقالت موجّهة كلامها إليها :

- يبدو عليك القلق .. ما الذي حدث ؟ هل جّد جديد؟

اصطنعت شريهان ابتسامة وهمّت بالكلام ولكنها صمتت في النهاية، وتعلّقت عيناها برفيقتها التي بدأت

تداعب عقدها بعصبية وتهز رأسها باستنكار وفجأة صرخت فيها :
- يا إلهي ... قلت أنك دائما تفسدين كل شيء، لم يكن علي الاستعانة بك.. إنه خطئي أنا... ماذا فعلت؟!.. تكلمي .

شعرت شريهان بأن أطرافها متجمّدة من البرد وأدارت رأسها يمينا ويسارا لترى إن كان هناك من لاحظ عصبية ميرال ، ثم تجرأت وقالت :
- اهدأي..لم يحدث شيء، لقد التزمت بما قلته تماما وذهبت مرة أخرى" إلى"البولينغ سيتي" وكان الجميع هناك كما قلت وراقبت المكان قليلا، ثم حين لم ألمح أي أثر لشذى وصديقاتها.تقدمت وجلست في مكاني المعتاد وتظاهرت بأني أتكلم على الموبايل ورفعت صوتي وأنا أحدث الطرف الوهمي عن "شذى" وكيف أنها ملكة جمال الثانوية و كيف أنها قريبتي وقلت في نهاية المكالمة الوهمية أني لن أستطيع التحدّث أكثر عن هذا الموضوع فهو سر خطير جدا.

استرجعت شريهان أنفاسها،ثم واصلت حديثها قائلة:
- وما إن فرغت من حديثي حتى اكتشفت انّه قد أدى تأثيره، فوكالة رويتر المتنقلة كانت تجلس هي وشلتها على مقربة مني وتراقبني من حين وصولي إلى اللحظة التي طالعتها فيها، وأشرت لها فقامت كأنها كانت تنتظر

أن أراها وسلمت علي وأخذتني بالأحضان وفعلت أنا ما أوصيتني به تماما، فابتسمت لها ابتسامةعريضة وابتعدت بها قليلا عن شلتها وسألتها عن أحوالها فبدأت من فورها تسألني عن شذى وهل أنا قريبتها حقا؟ واعتذرت لأنها سمعتني دون قصد منها وتلاعبت ابتسامة خبيثة على شفتيها الرفيعتين وهي تقول بود مصطنع :

- عزيزتي منى لقد جالستك مرتين فقط ولكني وجدت خلال هذه الفترة القصيرة أنك فتاة " كوول " وبنت لطيفة فعلا، فما رأيك أن تأتي غدا مرة ثانية ونذهب مع بعض إلى السينما ؟

رددت عليها بود مماثل :

- أنت تعلمين منذ لقائنا الماضي أنني لم أتعود على "أبوظبي" بعد فـ"العين" لا تزال في بالي وقد اشتقت لها كثيرا ، كما أني مشغولة البال على شذى عزيزتي المسكينة ولا أعرف مع من أتحدث ..آه يا فاطمة إن أعصابي متعبة جدا.

صمتت شريهان قليلا تستجمع أنفاسها وتراقب تعبيرات وجه ميرال الذي ظل جامدا، ثم استطردت بهدوء :

- فبدأت تحاول أن تخفف عني وقالت أنه بإمكاني أن أكلمها عن أي شيء يضايقني و أن سري في بئر ولن يعلم به أي كان فتظاهرت بارتياحي لها وذكرت لها أن جل ما يقلقني عن شذى قريبتي الغالية هو علاقتها الفظيعة بفتاة مواطنة (إماراتية) اسمها "أمامة" في نفس الثانوية، وأضفت لها: أنها تفضل أمامة على صديقها" حسام "، وما إن سمعت هذا الخبر حتى اتسعت عيناها ووافقت على كلامي وقالت بأنها تشاهد شذى كثيرا مع فتاة مواطنة وأكدت لي أنها لو سمعت هذا الكلام من شخص غير قريبتها لما صدقت أبدا.
- ثم عادت تجاملني بدعوتي إلى السينما حتى أنسى همومي وقلقي على شذى، فقلت لها أني قد أنتقل لـ"دبي " بعد شهر على أبعد تقدير، فتظاهرت بالأسف الشديد وقالت: إنه مهما بعدت المسافات فلن نقطع الاتصال وأننا أصبحنا صديقتين فعلا بعد ثاني لقاء لنا ثم ودعتها وانسحبت خارجة وقبل أن أفعل لم أنس النظر في زجاج الباب العاكس لأراها راكضة إلى الشلة تحكي لهم عن آخر الأخبار فأسرعت الخطى عائدة إلى البيت.. لقد كان كل شيء على ما يرام وسينتشر الخبر قريبا كسابقه

Obeikandl.com

عن شذى وهذه المرة سيكون أكثر إثارة كما أردت تماما يا ميرال وقد بدأ الناس يتحدثون عنها .

هنا أنهت شريهان حديثها وصمتت تنظر لميرال التي كانت تستمع بملل لما قالته شريهان ثم اعتدلت في جلستها وقالت :

- وأين الغلطة ؟!

ردت شريهان :

لم أرتكب أي خطأ، ولكن الغريب أن شذى سألت عني البارحة في منزلي ولم يخبرني أخي سوى اليوم.

اتسعت عينا ميرال وشهقت قائلة :

- سألت عنك؟ جاءت لبيتك !! غير معقول !... كيف عرفت أنك أنت "منى" المزعومة.. هل تعتقدين أنها تعرف أن منى هي شريهان؟.

ردت شريهان بفزع :

- أعتقد ذلك ...وإلا فما الذي يجعلها تزورني مع أنها لا تعرفني.

ضربت ميرال بيدها على الطاولة وقالت بحنق :

- يا لها من وقحة إنها تعتقد في نفسها الكثير مع أنها لا تساوي شيئا، عموما سأجعلها تندم على اليوم الذي ظنت فيه أنها ستضع رأسها برأسي وتحتل مكاني وتأخذ "حسام"..ذلك الأحمق أيضا لا يهمني بعد اليوم.

obeikandi.com

تجرأت شريهان وخاطبتها :
- اسمعي يا ميرال أنا لا أريد أي مشاكل ، شذى من بنات " العين" وبنات العين "قويّات" وأنا ليست لديّ رغبة بدخول " خناقات " معها وهي لن تسكت بعد أن عرفتني كما أني - إن طلبت رأيي - أعتقد أن ما فعلته بها لحد الآن يكفي ، لقد حصلت على نسبة منخفضة في الثانوية بسببك وبسبب التوقيت الذي اخترته لتجعليني اتصل بوالدها، والآن وبسبب هذه السمعة التي أطلقتها عليها ستسوء أحوالها أكثر ..لقد سمعت أن نفسيتها لا تزال متعبة وأنها تنتظر انتهاء العطلة بفارغ الصبر لتنشغل في الجامعة .

أطلقت ميرال ضحكة ساخرة وقالت ببرود :
- إنها تنال ما تستحق، وعموما أنا لم اختلق شيئا..هل رأيت كيف تمسك بأمامة ؟..الأحمق بإمكانه أن يلاحظ أن بينهما شيئا..يا لها من فتاة مقززة وهذه ليست شائعات.إنها حقائق ...كل ما فعلناه هو أن جعلنا الجميع يراها على حقيقتها وهذه هدية التخرج مني .
وأطلقت ميرال ضحكة عالية ثم أكملت :
- عموما لا تقلقي فلن تستطيع أن تفعل لك شيئا... على الأرجح أن واحدة من بنات الثانوية تعرفك وأخبرتها

أنك أنت من ادعيت أنك قريبتها..اعتمادا على شكلك.. اسمعي غيّرِي" اللوك" وبعدها ليس لأحد عندك شيء.
ترددت شريهان قليلا ثم قالت بارتباك :
- ولكن والدِي ...
قاطعتها ميرال مشيرة بأصابعها كعلامة للرفض :
- لا أريد أن أسمع هذا الكلام يا شري ..أنت لست طفلة ! ولا دخل لوالدك بهذا الأمر ..لا يمكنني أن أتصور أنه سيتدخل في لون شعرك مثلا أو في طوله، لذا فأنا أقترح أن تصبغيه بلون أشقر وتقصيه مدرج..سيبدو رائعا عليك.. فلنذهب الآن إلى صالون الحلاقة.
بدا القلق على وجه شريهان يزداد، وقالت بصوت متخاذل :
- أنا أحب شعري طويلا .
فقامت ميرال من مقعدها وأمسكت بحقيبتها، وقالت بحزم :
- ليس مهما ما تحبينه بل ما يجب أن تفعليه.. كما أنه سيكون تغييرا في نفس الوقت..ألا تملين من نفس المنظر يوميا ؟! ثم إنه سيطول مرة ثانية، كفي عن التصرف كالأطفال وهيا سنذهب الآن .
وكالعادة لم تقاوم شريهان ولم ترفض، وفكرت بأن ميرال محقة، ولا بأس ببعض التغيير، حتى إذا جاءت شذى إلى بيتها مرة ثانية فلن تجد المواصفات التي

سمعت بها عنها نطبق عليها، وستضحك حينها على شذى التي ستعتقد بأنها أخطأت.. وغرقت شريهان في خواطرها ومشت تتبع خطى ميرال .

* * *

لم تكن "هيفاء" قد قررت بعد أي تخصص ستختار ولكنها كانت تفكر وبجدية أكبر من حاجتها في هذا الأمر فهي ستسافر خلال الشهور الأخيرة من العطلة الصيفية إلى وطنها..لحظتها ستختار إن كانت ستدرس هناك أم ستكمل دراستها في الإمارات .

في ذلك اليوم استيقظت شاعرة بالملل الشديد فليس في بالها شيء يشغلها، فلا مؤامرات ولا خلافات بين البنات حتى إنها لا تعلم بهذه القصص إلا من الثانوية وهي لا تخرج كثيرا ولا تتكلم كثيرا، وتعيش في عالم آخر مختلف..صحيح أن حياتها هادئة لكنها بلا طعم، فالمشاكل حقا تجعل الحياة جديرة بالعيش و تجعل لها طعما، وأن تعيش بمعزل عن الأحداث معناه أنك لست حيا.

obeikandi.com

كانت هيفاء قد وعدت نفسها بأن تكون إنسانا جديدا يناسب المرحلة الجديدة التي ستنتقل إليها، وفي الحقيقة لم تكن هي فقط من قطع هذا الوعد على نفسه إنما كان أغلب الأخريات يفكرن في إطلاق العنان لرغباتهن والانطلاق نحو الحرية، والبحث عن الإثارة ديدن كل واحدة منهن، لكن كل حسب رؤيتها للإثارة.

هناك من تسعى وراء المشكلات لتشعر بالإثارة، وهناك من تبحث عن إثارة جنسية، وهناك من تتسلل ليلا، وهناك من تبحث عن مغامرة وهناك من تخيف نفسها حتى تصل إلَى تلك الغاية.. إلى تلك النشوة لتشعر بالإثارة ، وهنا فقط قد تصل إلى محطة لا ترجع بعدها الحال إلى ما كانت عليه ..إنه سعي من أجل التغيير حتى لو جاء عبر الصدمات، وهذه ليست وحدها من يصنع الإنسان، بل إن الصّدمات قد تكون نتيجة لهذا البحث عن الإثارة، والذي لا نشعر به في غالب الأحيان إنما نقوم به تلقائيا و هذا من طبائع البشر.

هيفاء ليست من كوكب آخر إنها تشعر بالملل ولابد أن تضيعه بأي شكل كان، حتى أنها تشعر أحيانا أن الحياة لا جدوى منها مع هذا الملل، فهاهي قد قامت لتشاهد التلفاز، و لكنها و بعد نصف ساعة فقط عادت لتشعر بالملل وقالت في سرها بضيق :

- يوم كالذي سبقه كالذي سيلحقه.. يبدو أن الحياة تعاكسني .

ثم حانت منها إلتفاتة إلى الموبايل.. وقالت :

- هذا الجهاز لا فائدة منه أبدا فهو لا يرن عندما أحتاج إليه .

ثم صمتت إذ تذكرت أن جميع صديقاتها تقريبا مسافرات و الأمل ضعيف في أن تجد مع من ستتكلم .

رنّ الموبايل على عكس توقعاتها فانتفضت هيفاء مسرعة إليه وقلبها يتراقص فرحا، ورفعته بحركة مسرحية وكأنها لم تكن تتوق لذلك، و بما أنها لم تحفظ كل الأرقام على الذاكرة، كما أنها لم تلق بالا للنظر في الشاشة، فقد ردت من فورها :

- من الهاتف الداعي ؟

جاءها صوت صديقتها كأنه يأتي من بئر :

- هاها ... أنا الهاتف الداعي ...إزيك يا فيفي

تساءلت هيفاء: لماذا صوت"وفاء" دائما متهدّج وكأنها كانت تركض وتوقفت لإجراء المكالمة ،ابتسمت لهذا الخاطر و قالت بمرح :

- زيي زيك ... إنت عاملة إيه ؟

كان الحوار بينهما أحيانا باللهجة المصرية و كلتاهما تجيدانها مع أن الاثنتين ليستا من مصر، أما هيفاء فقد كانت تعيش في مصر و أما سماح فقد كانت تذهب إلى

مصر في العطلات و لها أقارب هناك..وأحيانا يكون حديثهما خليطا بين المصرية والفلسطينية من جهة وفاء، ومصرية مختلطة بلهجة أهل الشام من جهة هيفاء، فهي بحكم أنها جزائرية يصعب عليها التفاهم مع فلسطينية باللهجة الجزائرية، هذا إن لم يكن مستحيلا و بالتالي فالأفضل البحث عن أرض محايدة.
قالت وفاء بملل :
- لا شيء مهم ... لكني كنت في "الكاسر" البارحة مع آمنة ..لا ليست الإماراتية بل آمنة الصومالية ،عرفتيها .. حسنا، لقد حكت لي عن آخر فصول رواية شذى .. الأسطورة الآتية من الشرق !...
كان الجزء الأخير من حديث وفاء ساخرا ممتزجا بالشماتة والتي لم تعرف لها هيفاء سبباً، فهما لم تحتكا بشذى إطلاقا.. فقالت هيفاء بدهشة:
- آه .. هذا الموضوع .. ألم ينته بعد؟!.. ألا ترين معي أنكن تعطينها أكبر من حجمها، و أعتقد أن كل هذه الأخبار ما هي إلا إشاعات و ما أكثرها هذه الأيام و لقد سمعت من أكثر من جهة عن هذه القصص التي لا تنتهي، والتي أراها سخيفة نوعا ما ..اعتقدت أن عقلك أكبر من هذا ..
هنا قاطعتها وفاء قائلة بجدية :

- أنا عقلي كبير فعلا لذلك لا أعزل نفسي عن الآخرين .. ثم بماذا تريدين أن أهتم ؟.. بآخر تطورات الصراع في إقليم كشمير أم بآخر البحوث عن متلازمة فقد المناعة المكتسبة و إن فعلت هذا فمع من سأتحدث عن هذه الأمور ؟!.. عزيزتي هيفاء أنا أيضا مثقفة مثلك وأحب القراءة وكل تلك الأمور التي تجعلك تبدين مثقفة وأكثر فهما من الآخرين والأخريات، وأذكى منك في شيء هو أني أعيش زمني و أتفاعل مع أحداثه ،أضحك وأبكي و"أتخانق"على أمور قد ترينها تافهة، ولكنها ليست كذلك لو فتحت عينيك قليلا..

لم ترد هيفاء، فاستطردت وفاء بهدوء :

- لا تغضبي من كلامي هذا فلولا أنك صديقة غالية لما كنت كلمتك بصراحة ولكنت جاملتك مثلما تفعل الأخريات..وعموما هذا ليس موضوعنا كما تقولين دائما، دعينا لا نناقش هذا.. المهم اعلمي أن الأخبار هذه المرة من مصادر موثوقة.. لقد ضحكت كثيرا و أنا أسمع هذه القصة الأخيرة، وأعتقد أن معك حق في شيء واحد هو : أننا فعلا نعطيها أكبر من حجمها مع أنها تافهة مثل غيرها(ذهب قشرة يعني)

ختمت وفاء حديثها بضحكة طويلة شاركتها فيها هيفاء رغم أنها كانت تتساءل:

ـ لماذا تطلق وفاء دعابات سمجة ثم تضحك عليها من كل قلبها ؟! هل تعتقد حقا أن هذه التعليقات طريفة لهذه الدرجة ؟!

هذا ما كان يجول ببال هيفاء وهي تستمع إلى وفاء التي استمرت تحكي وتحكي لمدة ثلاث ساعات.. طالت القصة وتضخمت و ازدادت تشعبا وتفصيلا حتى أصبحت جديرة بأن تكون فيلما سنيمائيا، الأمر الذي جعل هيفاء تتساءل:

ـ هل المجتمع مؤلف بالفطرة ؟! إذ يكفي أن تقول حدث لفلان كذا أو فعل علاّن كذا حتى ينتشر الخبر، و كل من يصله ينقله بصورة أكبر من واقعه ويجد الجميع متعة في هذا، وفي النهاية يتحول الخبر إلى أسطورة .

بعد أن أنهت هيفاء مكالمتها استلقت على سريرها تفكر فيما تسمعه و ما سمعته من قبل عن شذى و غيرها من البنات، و ما رأته ذات يوم بعينها من هذه الحكايات ، ثم عادت لتقول لنفسها:

ـ إننا نعيش في مجتمع متخلف وأنه سيبقى كذلك إلى يوم الدين

ثم عادت لتأمل بأن تكون الأيام القادمة أفضل و تتخيل صورا كثيرة للجامعة و حياة الجامعة، رغم أنها لم تكن قد عرفت بعد أي جامعة سيختارها والداها.. وبما أنها لم تكن تملك حق الاختيار فقد فكرت في هذا بحنق.

تخيلت صورا كثيرة و غمرتها السعادة لانتقالها إلى مرحلة أخرى، فهي تحب البدايات الجديدة دائما، و لقد تصورت أن الحياة في الجامعة مثيرة و لم تكن تعلم لأي حد هي محقة في تصورها هذا .

* * *

" مهرة ".. نجمة الحفلات في أبوظبي، فتاة تخطو عتبة عامها التاسع عشر، جميلة هي.. بل فاتنة، وتدرك ذلك..إنها تلاحظ نظرات الجميع لها منذ كانت في العاشرة، وبالأخص تلك النظرات التي يشيعها بها الرجال كأن لسان حالهم يقول : نفعل أي شيء ونفالك.
كانت مهرة تشمخ بأنفها عاليا و تضحك .. تضحك بسخرية من أولئك الرجال جميعا الذين لا يملكون إلا أن ينحنوا لها إعجابا ، فكل ما يفعلونه تراه تذللا يظهر وبوضوح ضعفهم أمامها، كلماتهم تقطر بهذا الضعف.. حركاتهم تظهرهم في عينيها كمن يزحف على أربع لينال رضاها.

obeikandl.com

تضحك أكثر و تحتقرهم أكثر و لم يجرؤ أحد منهم أبدا على تجاوز الحدود معها، فهي ابنة رجل أعمال كبير صاحب علاقات واسعة بأصحاب القرار، و كانت هي تدرك ذلك فتستمتع بإذلالهم كأن تقرب أحدهم منها فيظن أنه أمسك النجوم بيده، و يرفع رأسه غرورا بين أصحابه مع أنه لا يجرؤ حتى على ذكر علاقته بها أمام أحد، خوفا من نفوذ أبيها، فالويل والثبور لمن يجرؤ على لفظ كلمة تسيء لابنته، و بعد أن يطمئن صاحبنا لها و يخيّل إليه أنها وقعت في حبائله تبعده بهدوء وبطء لتستمتع بمحاولاته المتعددة لإرضائها وتذلله لها.

و تضحك حين ترى على إحدى شاشات هواتفها النقالة رقمه يرن للمرة العشرين أو الخامسة والعشرين أو حتى أكثر، و تتعجّب عجبا ممزوجا بشماتة من يذل نفسه.. هكذا و قبل أن يفيق صاحبنا هذا من صدمته ويدرك أنه هو من وقع في مصيدة مهرة لتسليتها و لسخريتها، تكون هي قد بدأت تعيد التجربة مع غيره .

تجلس مهرة كل يوم أمام مرآتها لتمشط شعرها الأسود الفاحم الطويل الذي يقترب من ركبتيها، ثم تجمد في مكانها تتأمل جمالها بهدوء، فشعرها الطويل لطالما لفت الأنظار إليها حتى بعد أن أصبحت تلبس العباءة

و"الشيلة"، فهي لم تضع شيلتها أبدا على رأسها إنما كان مستقرها كتفيها لتبرز جمال شعرها وطول رقبتها البيضاء

وصفتها إحدى رفيقاتها يوما بأنها تشبه " نفرتيتي " و كانت مهرة على إطلاع بالتاريخ الفرعوني فعرفت على الفور إلام تشير صاحبتها..إنه طول رقبتها وتناسق ملامح وجهها، وضحكت بشدة عندما تساءلت رفيقة أخرى: عمن تكون نفرتيتي هذه؟ ثم سخرت منها، وقالت لها:

- أنت غبية و ثقافتك ضحلة كأنها ليست من بنات العائلات

كان أسلوب مهرة المتعالي في تعاملها مع الآخرين يزعج صديقاتها و لكنهن ينسين بسرعة و لا يستطعن الابتعاد عنها، فكأنها الشمس التي لا يملكن بدونها النور، ولم تكن مهرة تجذب الرجال فقط بل حتى الفتيات كن ينجذبن إليها و لا يستطعن منها فكاكا، فكأن لها قوة مغناطيسية تتحكم بمن هن حولها و تجبرهن على التقرب إليها أيضا.. لم يرفض لها طلب من قبل فما تريده تناله ولطالما كان والدها يقول لها حينما يجالسها:

- ما يخطر على بال مهرتي الغالية تناله في الحين.

و لا يزال والدها بها حتى تزداد غرورا على غرور، وحين تنادي، يلتفت إليها قائلا :

- أأمري حبيبتي.

ويكرر لها دائما إذا ما طلبت شيئا وإن كان غريبا و لا يعرف له سببا :

- طلباتك أوامر، و حاضر، و في الحال.

لم يقل لها لا أبدا و لم يسألها يوما لماذا تريد هذا أوذاك؟..بل يطبع على جبينها قبلة وينفذ ما تريده.

كانت مهرة تحب والدها جدا ولكن بطريقة عجيبة فهي تحبه بتعال... تحبه كأنها تمنَ عليه بحبها هذا، فهي لم تمنحه لأحد من قبل..ولقد وصل بها الغرور أن تساءلت يوما:

- هل والدي يعاملني هكذا لأنني جميلة جدا، أولأن الجميع يحبني فلا يملك هو إلا أن يفعل ؟!

ثم تقول لنفسها مرة أخرى:

- لا يهم السبب..هو محظوظ بأني ابنته.

* * *

obeikandi.com

في كثير من الأحيان تواجهنا أمور لا نملك أمامها إلا أن نستسلم.. تزحف على وجوهنا حينها ابتسامة هازئة و كأن الأمر لا يعنينا أو كأننا لم نتأثر، في حين أن هذه الابتسامة هي أكبر دليل على الهزيمة إنها ابتسامة الاستسلام، وهي ليست ببسمة محببة على الإطلاق بالنسبة لمن كانت على وجهه.

كان "خالد" يحاول عبثا أن يمحى تلك الابتسامة لكنه لم يفلح..يشعر بالمرارة والحزن يشعر بألم لم يسبق له أن شعر به، وطوال الطريق في سيارته لم يستطع أن يبعد صورة مهرة عن خياله و الذكريات تتزاحم على باله ذكرى أول لقاء بها، وذكرى آخر حفل رآها فيه و ذكرى صدفة لقائه بها في بانكوك وغيرها من المواقف والدقائق القليلة التي أتيحت له معها..وامتزجت روعة الماضي في عينه بألم الحاضر الذي اعتصر قلبه في تلك الليلة .

نزل من سيارته ومشى متثاقلا نحو باب الفيلا وأطياف كل ما جرى بينه وبين مهرة تتراءى لعينيه لدرجة فقد معها الإحساس بالزمان والمكان، و لوهلة ظن بأنه سيبقى يمشي إلى الأبد ... كان حزينا لدرجة أنه لم يسمع صوت السيارة القادمة بسرعة من

المنعطف خلفه.. بل أنه لم يع كيف طار إلى الرصيف الآخر . وكان آخر ما رآه قبل أن يغرق في إغماءة هو صورة مهرة تمشي مبتعدة عنه.

* * *

داخل أحد المحلات الراقية وقفت ميرال تتأمل الثياب المختلفة، ثم اختارت قطعة منها وقالت لرفيقتها :

- مهرة... ما رأيك في هذا ؟

استدارت مهرة وأشارت بأصبعها مؤكدة لها بأنها ممتازة وواصلت انتقائها للثياب التي تعجبها ..غابت ميرال قليلا لتجرب ما اختارت ثم عادت لتقف على جانب مهرة وأشارت إلى تشكيلة من الملابس الشتوية، و قالت :

- هذه ستكون رائعة عليك يا مهرة .

ردت مهرة بعد تأمل :

- جميلة جدا.. لكنها لا تليق بعباءتي الجديدة ، يجب أن أرتدي معها شيئا ناعما و بدون زخارف .

تأملتها ميرال مليا، ثم قالت :

obeikandl.com

- عباءتك الجديدة جميلة جدا وتنم عن ذوقك الراقي ولكن ألا ترين معي أنه لا داعي أن تلبسي العباءات دائما؟.. تخيّلي كم من القطع الجميلة التي لا تستطيعين ارتداءها بسبب العباءة ، أقترح أن تخلعيها هذه المرة .

- لا أريد .

- لا تريدين.. أم لا تستطيعين؟!

- بل أستطيع إذا أردت..إنما لا أريد فعلا..لا أود خلع عباءتي.. ماذا سيقول الناس عني إذا فعلت؟..ثم إني ألبس ما أحب خارج الإمارات.

علقت ميرال مستغربة :

- لا يكفي ، أنا لا أتخيل نفسي مقيدة، لا أتصرف بحرية إلا حين أخرج من بلدي وكأني أهرب لأفعل ما أريده بعيدا عن أعين الناس.. ثم منذ متى تهتم مهرة لما يقوله الناس؟.. وعموما لا أحد يجرؤ أن يقول عنك كلمة .

- فعلا لا أحد من الشباب يجرؤ على ذلك.. ولكن من سيمنع البنات و الحريم الكبار عن الكلام ، ثم يا عيوني أنا لم أشعر في حياتي كلها ولو للحظة بأني مقيدة وحتى خارج الإمارات نقابل كثيرين من مواطني الدولة ممن يعرفوننا و بالتالي نحن لا نتخفى.. الكل يعلم ويفعل ذلك الأمر، الفرق فقط أننا داخل الدولة ملتزمون

بوضع معين، و نحن لا نخدع أحدا ولا نصطنع شيئا.. يجب أن تفهموا ذلك.. نحن مختلفون عنكم يا عزيزتي.

- عنا !... تقصدين الوافدين

- لا ، أقصد المصريين بالذات

- والله ، ومالهم المصريين ؟!

- ما بيهم شي ..ميرال لا تطالعيني بهذه النظرة، إنما قصدت أن أقول: إننا نختلف عمّا ترين عليه أهلك ونفسك ..ولم أقصد شيئا مما في بالك.

ردّت ميرال ببرود :

- قلت أننا نختلف وهذا يعني يا إما أفضل و يا إما أسوأ .. فإذا دار في ذهنك أن مجتمعك أفضل فأنت مخطئة يا حياتي ... فهل هذه حياة التي تعيشونها ؟! .. ولا أتحدث عنك بالذات فأنت في هذا المجتمع حالة نادرة..هل تعلمين لماذا أنت حالة نادرة؟.. لأن والدك أو قبيلتك أو غير ذلك من مسمياتكم أعطوك بعضا من الحرية وكأنهم تفضلوا عليك بذلك.. وما رأيك في مجتمع يعتبر كل شيء منحة حتى حقوق الناس، ما فيها الطبيعية التي يجب أن تعطى يقيمون حولها ضجة كبيرة كالضجة المحدثة حولك باعتبارك من حريمهم المتحررات..هل تدرين كيف يتكلمون عنك في هذا المجتمع ؟.. إنهم يقولون: ياه ! والدها يسمح لها بقيادة سيارة في هذا السن! و يااللدّهشة والعجب بإمكان

أصدقائها من الجنسين أن يزوروها!! غير معقول !!. ما رأيك في مجتمع لا يستسيغ أن أهلك لا يتدخلون في ملابسك مع أنها تحت غطائكم الأسود هذا!..هذا مجتمع لم يفلح كل التطور الذي أحاط به في تغيير عقل البدو المتحجر.

رمقتها مهرة بنظرة طويلة ثم قالت وهي تبتسم ساخرة:

- أنظروا من يتكلم عن التطور.." بذمتك " على رأي إخواننا المصريين التطور أكبر عندنا أم عندكم ؟!..وإذا كان بخصوص العقليات فالتغييرلا يحدث بين يوم وليلة، وعموما سنبقى نحن بالنهاية محترمين.. هل تفهمين هذا محترمين بما يليق مع من هم في مكانتنا؟ .

عند هذا التلميح الأخير، وقد نجحت مهرة في استفزازها ـ كانت ميرال قد بلغت حدها، وشعرت بإهانة مبطنة في كلام مهرة فتركت ما بيدها ، واتخذت وقفتها وضعا عدائيا ملحوظا، وقالت بلهجة يتطاير منها الشرر:

- مكانة إيه واحترام إيه اللي بتتكلمي عنه ؟!! داحنا مصر..مش بس مكانة و جمال لا وتاريخ كمان، الدور والباقي على اللي ما عندهمش تاريخ أساسا .

ردّت مهرة بحدة وقد اختفت ابتسامتها:

obeikandl.com

- نحن !! نحن لا نملك تاريخا !!..لا يا عيوني نحن نملك تاريخا عظيما.. تاريخ نفخر به فعلا ،تاريخ مسلمين وليس تاريخ كفرة وثنيين، ومصر أم الدنيا علام تعتمد في دخلها ؟.. أليس على السياحة وبالذات على الآثار الفرعونية ..إذا فهي دولة تقوم على عظام الموتى.. ماذا فعلتم أنتم يا مصريين بعد ذلك ؟ لا شيء يذكر فقد وجدتم آثار حضارة فاكتفيتم بما تبقى منها وجلستم فوقها ورضيتم بأن يتفرج الناس عليكم ويدفعوا لكم ثمن الفرجة

أوشكت ميرال أن تصفعها بعد هذا الكلام لولا أن استوقفها صوت مألوف انتزعها انتزاعا من الحالة الشعورية الحانقة التي كانت فيها، فاستدارت من فورها لتجد خلفها شذى وأمامة تقفان متخاصرتين، بينما شذى تقول ضاحكة باستهزاء :

- اتفق العرب على ألا يتفقوا .. أليس كذلك؟ .

كان هذا السؤال موجها لـ(أمامة) التي ابتسمت ابتسامة بلهاء ضاقت لها عيناها الصغيرتان أساسا مما جعلها تبدو كضبع يبتسم ..كانت شذى توجه كلامها في حقيقة الأمر لميرال التي أوشكت على الانفجار، وقد تحول كل غضبها إلى شذى و أمامة فتحركت مقتربة منهما لتتفاجأ بأن مهرة قد تحركت معها، وهي تقول بصوت عال :

- لو أننا سنتفق مثلما تتفقان يا حبايب فالعداء أفضل
قالت هذا وهي تشير بأصبعها إلى حيث استراحت يداهما كل على خصر الأخرى، و ضحكت ميرال موافقة على كلام مهرة، الأمر الذي لفت انتباه زبونات المحل فبدأن يتهامسن، على حين رن موبايل أمامة، فردت بسرعة ثم خاطبت شذى :
- إنه حسام.. يسأل لماذا موبايلك مغلق؟.. خذي حدثيه.
تناولت شذى الموبايل و اقتربت خطوة من ميرال، وخاطبت الطرف الآخر و ابتسامة كبيرة تغزو ملامحها:
- ألو..هاي حسام ،سوري حياتي بطاريتي مفضية من شان هيك ما عرفت أحكيك.. شو قلت ؟.. بدك تشوفني هلا..أوكي ناطريتك .
ختمت شذى محادثتها وهي تبتسم بزاوية فمها اليمنى، ورمقت ميرال بنظرة ساخرة، ثم سحبت أمامة معها و خرجت تختال و هي تقول :
- دعك منهما.. سيأتي حسام ليصطحبنا إلى النادي لكي نقابل الشلة هناك.. لا وقت للكلام الفارغ والتفاهة.
وفقت ميرال صامتة كالبومة بعد أن سمعت المكالمة وعينها تلمع بغضب حزين ثم تقدمت إلى صندوق الدفع و استدارت لمهرة قائلة :
- هل انتهيت ؟
فردت ببسمة ودودة :

operkandi.com

- انتهيت مما بالضبط ؟.
- مما في يدك ... هل ستشترين شيئا آخر أم نذهب ؟
- بل نذهب.. وستأتين معي إلى البيت ..اتفقنا .

هزت ميرال رأسها موافقة و أشاحت بنظرها للجهة الأخرى، وهي تشعر بنظرات مهرة تخترقها لتعرف كل ما تخفيه من أسرار، وكانت تفكر إذا ما كانت صديقتها قد لاحظت شيئا اجتهدت هي كي تخفيه .

* * *

ofeikandl.com

(٢)

ابن الفراشة الصينية

البالونات في كل مكان، والأغاني الخليجية قد علا صداها يتردد خارجا من فيلا " خالد " في أبوظبي..في ذلك اليوم كان قد فات على الحادث الذي تعرض له ثلاثة أسابيع، فاتفق جمع من أصدقائه على إقامة حفلة كبيرة في فيلته بمناسبة عودته لها سالما ، كان جميع من في الحفل مسرورين حقا فخالد كان محبوبا جدا من أصدقائه و قريبا من الجميع يستشيرونه و يستعينون به دائما فلم يخذل أحدهم أبدا .

ترددت عبارات كثيرة من على شاكلة : حمدا لله على سلامتك ..وتعيش وتأخذ غيرها...و المرة الجاية انتبه وأنت ماشي، ثم انتشرت حمى الرقص بين الحضور..كانت الحفلة خاصة به وبأصدقائه من الشباب و لشد ما كان يروق لخالد أن يحتفل مع الشباب فهو لم يكن يرتاح في الحفلات المختلطة التي يتكلف فيها الجميع..يتكلفون ويتصنعون كل شيء..الابتسامات والضحكات الحركات والكلمات..حينها لم يكن يشعر

بالراحة ويخيم عليه إحساس بأنه في مسرحية ينتظر بفارغ الصبر أن تنتهي، ولذلك شعر ليلتها بأنه فعلا في بيته كان سعيدا وممتنا لأصحابه لأنه لمس اهتمامهم به و حبهم له، و حاول أن ينسى همومه و أخذ يراقب الوجوه الحبيبة التي أحاطت به حيث أخذ كل منهم يحاول إضحاكه و إخراجه عن صمته.

في تلك اللحظة رن موبايله فمد يده ببطء لجيبه و نظر إلى الشاشة ليجد رقما غريبا ـ لم يسجل في الذاكرة ـ فرد متوقعا أن يكون " حسام " صديقه الذي تأخر عن الحفل، و لكن الشخص الذي كان على الخط كان آخر من توقع خالد سماع صوته واتسعت عيناه من الدهشة و هو يهمس :

ـ أنت ! .

ثم رفع يده من فوره في إشارة طالبا من أصدقائه خفض الصوت.كانت مهرة هي التي تتحدث وجاءه صوتها ناعما حين قالت :

ـ نعم أنا ... أردت أن أقول لك : سلامتك من كل شر .

كانت لهجتها غير مريحة وهنأته على سلامته بطريقة شعر معها كأنها تقصد أن سلامته آخر ما تمنته و كأنها تسخر منه ، فأجابها و قد بدأت قطرات من العرق تحتشد على جبينه :

ـ إنك تذهلينني اليوم!

فردت ببرود :

- لطالما فعلت ... باي .

وقطعت الخط بطريقة فظة، لم تنتظر رده وكأنها قامت بالواجب وكفى .

ظل خالد ممسكا بالموبايل و قد عقد حاجبيه و أطرق برأسه مفكرا و بدت عليه علامات الغضب و التأثر فما كان من أصحابه إلا أن أوقفوا الموسيقى تماما و تعلقت أنظارهم به . اقتربوا منه في شكل نصف دائري حيث كان يجلس في منتصف الغرفة مسندا قدمه المكسورة على مسند وضع خصيصا لهذه الغاية..كان منظره يدعو للأسى، خصوصا أن كتفه قد كسر في تلك الحادثة، و لهذا فقد شعر الجميع بمزيد من الحزن عليه و تساءلوا من الذي قد أغضبه في يوم كهذا و بعد حادث كالذي تعرض له، و لم يجرؤوا على سؤاله عما ألم به فاتخذ بعضهم مجلسه بجانبه و تبادل البعض الآخر النظرات والتلميحات، و بعد دقائق معدودة على هذه الحالة سمعوا طرقات شديدة على الباب فذهب أحدهم ليرى من يكون الطارق، و لم يكن قد تعدى الرواق حين سمع الطارق يقول :

- افتحوا الباب ... شرطة ... المكان كله محاصر .

فأسرع عائدا لأصحابه و صاح بهم ضاحكا :

- شرطة !.. هيا أخفوا الممنوعات .

openarab.com

تراكض الجميع يخفون زجاجات الخمر تحت الكراسي و هم يضحكون بينما عاد ذلك الشاب ليفتح الباب فوجد حسام واقفا و قد بدا عليه الملل من طول الانتظار و كان يحمل بيده هدية كبيرة ملفوفة بشكل غريب فصاح به :

ـ ليش تأخرت !ثم صرخ فيه : صار لي ساعة وأنا ناطر هون .

ثم دفعه بيده ووضع هديته على طاولة بجانب الباب وركض إلى الداخل وما إن دخل إلى الصالة حتى قفز إلى جانب خالد يهنئه على سلامته و يحتضنه ثم بدأ يلقي بالنكات و يوزع ابتساماته و ضحكاته، و يسلم على هذا ويحيّ ذاك فتحول جو الوجوم و الصمت الذي كان قبل مجيئه إلى سعادة وحبور وعلت أصوات الجميع، وعادت الموسيقى و الأغاني تملأ أرجاء المكان، وعادت لخالد ابتسامته و هو يراقب حسام في تفاعله مع الجميع فلطالما أعجب به وسعد بوجوده في أي مكان معه، فشخصيته القوية والمرنة في نفس الوقت تجعل هالة عجيبة من الاحترام و الحب تحيط به فكل من عرف حسام أحبه أو تعلق به.. حتى أنك لا تجد من بين معارفه من الشباب من يكرهه إلا إذا كان يغار منه فبالإضافة إلى شعبيته وشخصيته القيادية كان وسيما، قسمات وجهه متناسقة يعلو عيناه الزرقاوان

حاجبان يخيل للناظر كأنهما مرسومان بقلم يعطيان وجهه شيئا من الصرامة.. باختصار هو أشبه بممثلي السينما أو عارضي الأزياء.. في أول لقاء بينه وبين خالد شعر بأنه يعرفه منذ زمن، كان هذا في لبنان في فصل الشتاء، و توطدت علاقتهما بسرعة و كان حسام يقيم مع أسرته في الإمارات مما زاد من فرصة لقائهما حتى أصبحت صداقتهما قوية جدا .

- وين البيكاردي يا جماعة !.

هتف حسام وهو ينتصب واقفا ليأخذ كأسا، بينما بدأ الشباب بإخراج الزجاجات من تحت الكراسي و ناوله أحدهم واحدة .. وامتلأت الكؤوس، فبدأ حسام باقتراح النخب حين رفع كأسه عاليا و قال :

- في صحة الزعيم وإن شاء الله دايما بينا .

تعالت الصيحات والأنخاب و قرقعة الكؤوس على حين تنحنح خالد قائلا بوهن :

- لو تسمحون ... بطلب منكم طلب.

فردوا بصوت واحد:

- إنت تأمر .

فقال بابتسامة ودودة :

- أنا توني مصلي ... فماله داعي نشرب اليوم ... شو رأيكم ؟

ابتسم حسام و قال : خلاص إذا ... نشرب بكره .

ضحك الجميع ووضعوا كؤوسهم جانبا على حين التفت خالد إلى سيف

- صديقه منذ الطفولة – الذي أمسك بموبايله يعبث به و كأنه يبحث عن رقم معين فأسرع يأخذه منه وحدجه بنظرة صارمة، فبادله سيف نفس النظرة و قال :- كما تريد ، لكني أعلم من كانت تتصل بك ... يا لها من جرأة !.

فتح خالد فمه ليرد عليه لولا أن قاطعه حسام قائلا :

- أسمع يا خالد لدي مفاجأة رائعة لك ... لقد أحضرت لك شيئا ينتبه عليك. مادمت لا تستطيع الانتباه على نفسك ... لحظة واحدة .

و ما إن أنهى كلامه حتى ركض قاطعا الممر الطويل في خطوات سريعة ليعود حاملا هديته التي تركها عند الباب، انبعثت منها أصوات حركة فسارع خالد بفتحها ليجد بداخلها كلب " دوبرمان " صغير، قفز نحوه كأنه شعر بأنه مالكه الجديد، سعد خالد بذلك الكلب الذي أخذ يتواثب في الغرفة، و أقبل الجميع يداعبونه .

* * *

" سيف " شاب في السادسة والعشرين من عمره ، يعمل في شركة جده ، الذي لا يحبه كثيرا و مرد ذلك

في واقع الأمر إلى عينيه ... عيناه الصغيرتان المائلتان .. فهو صيني الملامح ،' ورثها عن أمه ، التي جاءت إلى الإمارات مع وفد من الصين للعمل على إدارة مشروع بترولي وتعرفت خلال ذلك الوقت إلى والده وعاشا قصة حب انتهت بالزواج، لكنه لم يكن لينجح بسبب رفض الجد والعائلة لذلك الزواج ورفضهم أيضا لثمرة ذلك الارتباط.. نعم لقد عومل برفض من محيطه العائلي منذ أن كان صغيرا حتى من والده ، إذ تركه ووالدته بعد طول إلحاح العائلة و تزوج بأخرى إماراتية مثله،.

كان سيف حين يأخذه والده لزيارة بيت العائلة، الذي لم يكن بيتا بالمعنى الحرفي بل كان قصرا، يتساءل في داخله ببراءة وألم طفل:

- لماذا لا يوجد مكان له ولأمه في ذلك القصر؟!..ألا توجد غرف كافية؟.. أليس من أهل البيت ؟

كان يرى إخوته من زوجة والده يعيشون بين كل أفراد العائلة بسعادة بينما هو يجب أن يعيش مع أمه فقط ... وحيدين .. مفصولين .

عندما توفت والدته كان قد بلغ الثامنة عشرة، يومها شعر بأن السماء تكاد تنطبق على الأرض.. شعر بوحدة قاتلة و كأنه فقد نفسه و مكث شهرا أو أكثر لا يتحرك من سريره إلا للحاجات الضرورية.

لا يزال يذكر بوضوح يوم جاءه والده بعد عودته من الصين حيث قام بدفن أمه هناك.. يومها منعته ذكرى أمه و التي طلبت منه أن يسامح والده على خطئه في حقهما من أن يطرده من بيت المرأة التي لم يحضر جنازتها..من البيت الذي عاش هو وأمه معاناة العزلة والإبعاد فيه..لا يزال يذكر كلمات والده عندما دخل عليه متظاهرا بالحزن.. حينها قال له وهو يعبث بلحيته المتناثرة :

- عظم الله أجرك .

- ....

- كانت أمك امرأة عظيمة و رائعة

- أعلم.

- تمالك نفسك يا بني ، فكلنا نشعر بالحزن لفراقها، ولكن لا يجب أن نستسلم للأحزان، و سنتجاوز هذه المرحلة فالحياة تمضي و..

هنا انفجر سيف في وجهه :

- لماذا تتكلم بصيغة الجمع ؟.. لم يكن هناك نحن في الماضي أبدا فلماذا سيكون ذلك الآن .. لماذا ؟.. هل كانت هناك عقبة ما حيال ذلك الأمر والآن ... فقط الآن زالت تلك العقبة؟

كان سيف يتكلم و حدة صوته تتزايد بالتدريج حتى أصبح الكلام صراخا والدموع تتساقط مدرارا.. لم يكن

ogeikandi.com

وقتها يبكي حزنا بل كان يبكي غيظا و قهرا وشعوره بفقدان أمه ،التي لم تكن علاقته بها علاقة عادية بل كانت علاقة فوق العادية و ترابط غريب قلما يظهر بتلك الصورة..هذا الشعور و ألم وداع تلك العلاقة الفريدة انعكسا على كل تصرفاته و استحوذا عليه مما جعلاه يلقي باللوم على والده ويحمله هو والعائلة مسؤولية موت أمه .

في تلك الليلة حاول والده عبثا أن يهدئه و لكنه عوضا عن ذلك زاد من انفعاله، فقد طلب منه أن يأتي ليعيش معه في بيت العائلة فما كان من أثر لهذا الطلب إلا أن جن جنون سيف، و ركض نحو غرفة والدته كأنه يحتمي بها وظل مغلقا الباب عن نفسه إلى أن سمع صوت الباب الخارجي يغلق خلف والده، حينها خرج وجلس أمام مكتب والدته يتلمسه كأنه يرتشف الذكريات منه وتراءت له صورة والدته وهي تكتب وتعمل و تغني له، في الوقت الذي تجاهله فيه والده.

يذكر سيف أن الوحيد الذي عامله بحب واحترام من بين كل أترابه كان خالد، فهو الذي لم يعر كونه صيني الملامح أي أهمية، و في أي مشاجرة كانت تحدث بينهما لم يعيره أبدا كما يفعل الباقون بقولهم " ابن الفلبينية " أو" الخدامة "... عندما كان هذا يحدث لم

يكن سيف يشعر بالإحراج أو الخجل بل كان يحتد مدافعا عن أمه قائلا :

- أمي ليست فلبينية بل صينية و ليست خادمة بل إدارية تعمل في شركات كبرى.

مع ذلك فقد كان يقابل دوما بالسخرية من الجميع.. الجميع من الزملاء بما فيهم الإماراتيون ماعدا خالد ،لذلك فهو الصديق الوحيد الإماراتي الذي تعلق به منذ الطفولة .

* * *

عندما كبر سيف فرض احترامه على الجميع، فما من أحد يجرؤ على نعته بأي صفة لا يرضاها، و الأكثر من ذلك لا يجرؤ أحد على ذكر أمه بسوء و قد نشأ حساسا جدا بالنسبة لهذا الموضوع، وقد حدث ذات يوم أن سمع مهرة تتحدث عنها بعد أن ادعت واحدة من صديقاتها أنه معجب بها، الأمر الذي لم يكن حقيقيا البتة إنما كان إشاعة كغيرها مما كان يثار حول مهرة وكأن العالم كله يجب أن يعجب بها ويحبها ، بينما في واقع الأمر كان الإحساس الوحيد الذي يكنه سيف لها هو الاستخفاف والاستهانة، بل أحيانا كان يشعر بأنه

يكرهها..احدث ذلك الموقف في أحد المراكز التجارية، فما كان منها بعد أن سمعت كلام رفيقتها إلا أن أطلقت ضحكة عالية وهزت رأسها باستنكار قائلة : من !!.. الفلبيني ؟!.. هذا اللي كان ناقص ..

يومها تحدّثت عن أمه و عن أصله و عن كيف يجب أن يكون أولاد العائلات في إشارة خفية لاعتبارها له أقل من مستواها، ومع أنه من عائلة معروفة إلا وجهه يشي بأنه ابن خادمة، ويومها أيضا قارنت بينه وبين إخوته الإماراتيين واعتبرتهم فعلا من أولاد العائلات، في حين ضحك الجميع ممن كانوا حولها لضحكها وسخروا لمجرد أن فعلت هي ذلك .

بعد هذا الموقف زاد كره سيف لمهرة، فهو لم يفكر فيها يوما كما كانت تظن حيث كان يعلم أن أعز أصدقائه يحبها بجنون، لذلك لم يخطر على باله ولو لمرة واحدة أن تربطه بها أي علاقة، ناهيك على أنه لم يكن يرى فيها سوى دمية لصديقه.. دمية يعجب الجميع بها.

لم يكن سيف يهتم بالجمال العربي أبدا، ولم تعجبه يوما سوى الفتاة الآسيوية، التي هي بنفس ملامحه و ملامح أمه، و كرد فعل عكسي لما توقعه المحيطون به أصبح يتعالى بدوره على الإماراتيين ويفضل عليهم الآسيويين.

في شقته في أبوظبي تملأ تماثيل "التنانين" الصينية المكان، وعلى رفوف مكتبته تطل الثقافة الصينية بملامحها الأصيلة، فسيف يتقن إلى جانب لغته العربية واللغة الإنجليزية لغة أمه و لطالما كان يفتخر بثقافته ومعرفته، مصدر اعتزازه بنفسه وبأمّه، التي كانت دائمة الفخر به، فلم تكن تترك مناسبة دون أن تشيد به، و في أي تحد كان يخوضه تردد دائما على مسامعه أنها تثق به وبقدراته، لهذا كان دائم النجاح في كل ما قام به و لذلك أيضا كان حبه لها يفوق حبه لأي كائن أو شيء في الحياة، بل كانت هي الحياة بالنسبة له، منها يستمد كل قوته.

عندما كانت أمه لا تزال على قيد الحياة كان الجميع يعتقدون ويرددّون أن سيف " ابن الماما "، فهم يرونه شديد التعلق بها دائم الاستشارة لها، واعتبروا هذا عيبا في شخصيته كأن كل من يحب والدته كسيف يعد " بنوتة" في نظرهم وقد عانى سيف من مجتمع ضيق الأفق طوال حياته .

اتجه حسام مع سيف إلى زاوية الغرفة بعيدا عن خالد ليتمكنا من الكلام دون أن يصل لسمعه شيئا مما سيقولان، و ذلك بناء على طلب سيف الذي أعطى موبايله لحسام، عارضا عليه الرقم الذي سجّله بسرعة من موبايل خالد.. وقال بروية :

- بحكم خبرتك يعني ... هل تستطيع أن تعرف لمن هذا الرقم ؟
لم يحتج حسام لوقت طويل حتى يقول و هو يبتسم نصف ابتسامة :
- ياه آي نو اتس فور ميرال ... من وين جبت الرقم ؟
- من موبايل خالد .. منو ميرال هاذي ؟
قال حسام وهو يتظاهر باللامبالاة :
- هاي رفيقتي المصرية .. أكيد شفتها قبل مع شلتها ... دايما تشوفن عم يمشوا مع بعض زي المانيكانز في المارينا مثلا.. أو بالغالب بتكون تمشي مع مهرة هاي رفيقتها المواطنة بأبوظبي مول .
ابتسم سيف ابتسامة انتصار و قال :
- مهرة.. كنت أعلم أنها وراء كل ما يكدر خالد ويزعجه.. و لكن حتى نتأكد أرجوك أن تتصل على ميرال من رقمك الآن و اسألها مع من هي الآن .
كان حسام يتحاشى ميرال في الآونة الأخيرة بسبب علاقته بشذى ، والتي لا تطيق ميرال أن ترى ظلها على الأرض، و لم يكن قد استطاع بعد أن يحّدد إذا ما كانت ميرال تحبه أم أنها فقط تريد الاستئثار به، كما أن شذى تروق له، وحسام بطبعه لا يحب التعقيد ، و حياته العاطفية تسير بمنتهى البساطة والوضوح، و كأغلب اللبنانيين يعرف فتيات بعدد شعر رأسه و يتعامل معهن

جميعا على قدم المساواة كصديقات، ولا تشغله تعقيدات المجتمع العربي من هذه الناحية ، ولم يكن يعتمد مبدأ " الصياعة " في تعامله مع صديقاته، و لم يفهم كيف لا تستطيع ميرال أن تفهم أنه يصادق الكثيرات بدون أن يعني هذا شيئا أكثر من مجرد الصداقة، فقد كانت تقول دائما معلقة على كلامه هذا:

- مفيش صداقة بين ولد وبنت .

لم يكن يناقشها كثيرا فلا فائدة من نقاش ميرال فهي متعصبة لرأيها دائما .

تردد حسام قليلا في الاتصال بها فهو لم يكلمها منذ فترة، و العلاقة بينهما متوترة، و لكنه في نفس الوقت كان يريد حجة ما تدفعه للاتصال بها، و كأنه يفعل ذلك مضطرا لا راغبا وببطء ضغط على الأرقام .

* * *

كانت مهرة و ميرال معا في منزل تلك الأخيرة و الذي كان خاليا تماما إلا منهما و قد اتخذتا مجلسهما في وسط غرفة نوم مهرة.. تناثرت مشترياتهما في أرجاء الغرفة بينما كانت ميرال تراقب مهرة أثناء وبعد مكالمتها، ثم قالت وقد أراحت رأسها على مسند صغير :

obeikandl.com

ـ من هذا الذي هنأته على السلامة ولا تريدين أن يعرف أنك من تطلبه ؟!
ردت مهرة بعد أن تثاءبت وهي تقف برشاقة لتجلس على حافة الشرفة المفتوحة :
ـ إنه خالد الذي حكيت لك عنه ... ذلك العاشق الولهان الذي تعرض لحادث منذ شهر، و اليوم خرج من المستشفى وهو يقيم حفلة في فيلته مع أصدقائه .. لم يكن يتوقع أن أتصل به.
قالت هذا وهي تبتسم بغموض كعادتها، وكأن الغموض وشاح يكمل أناقتها حتى لم يعد المحيطون بها يدرون إذا ما كانت هي فعلا غامضة أم أنها تفتعل ذلك !
قالت ميرال وهي تغمض عينيها باسترخاء :
ـ لم أتعود منك أن تهتمي لأحدهم هكذا .
فردت ببرود :
ـ لست أهتم بالمعنى الذي تقصدينه و لكني أستغرب.. أستغرب منه هذا"الخالد"!..إنه ليس كالباقين و تعرفين أن نظرتي في الناس لا تخيب .. عندما رأيته في أول مرة في" الجميرا بيتش " توقف عن فعل أي شيء ورفع نظره إلي.. طالعني بطريقة لم يطلعني بها أحد من قبل..نظرته إلي كانت مختلفة وهذ اما شدّني إليه، تعلمين أني لم أكن لأعبأ لأحدهم إذا ما طالعني بإعجاب لأن الشباب جميعا في نظري نوع واحد، كلهم عقول

فارغة يجذبهم الشكل لا غير و يذلون أنفسهم لأجل فتاة تحتقرهم بالأساس و تسخر منهم.. أ
صمتت مهرة لحظة ، ثم أضافت :
- أتعلمين كيف يتحملون هذا ؟!... إنهم في لحظة ما يفكرون بطريقة حيوانية ويسألون أنفسهم : هل تستحق رغباتهم أن يذلوا من أجلها ؟.. فيجيبون في صوت واحد: نعم! ، لذلك يا ميرال لم أكن لأهتم بهم أبدا، وعلاقاتي مع الشباب المواطنين بالذات تجعلني أدرك أنهم سطحيون حتى النخاع، كل من تعرف عليّ كان في باله شيء واحد .. الجنس فقط ! حتى من ادعى منهم أنه يحبني و يريد الزواج بي كان يبغي في حقيقة الأمر جسدا مثل جسدي ووجها مثل وجهي وليس زوجة أو حبيبة بالمعنى الذي يفهمه العقلاء.
توقف مهرة برهة ، ثم واصلت حديثها قائلة :
- كيف كان لي أن أحترم أناسا بهذه النظرة..بتلك النظرة الوضيعة التي تستوطن أعينهم وأفكارهم، ولكن خالد كان مختلف عنهم .. سأحاول أن أقرب لك الفكرة حتى تفهميني .. سأحكي لك عن قصة عن ملكة كانت تدعى ملكة الجليد ولجمالها الفتّان كل رجال العالم تمنوها، ولم يكن أحدهم يستطيع مقاومة سحرها إذا وقف في حضرتها ، وكانت تعيش على قمة جبل .. حاول كثيرون تسلقه لرؤيتها فنجح بعضهم وفشل أغلبهم، لكن لم ينج

أحد منهم، فكل من رآها أو حاول رؤيتها مات.. ومع ذلك لم يتوقف الرجال عن محاولاتهم ..الذين نجحوا في رؤيتها كانوا يجدونها تجلس على عرشها البارد وحولها جنيات وشياطين صغار يعملون تحت إمرتها فلا يلتفتون لهذه الشياطين و لا يعودون من حيث أتوا بل يركعون أمامها، و يبدأون بالحديث إليها فما إن تسمع كلامهم حتى تغضب ويتكثف الجليد حولها، فتجمدهم في لحظة، وتشير لشياطينها أن يحملوهم ويلقوا بهم من أعلى الجبل ليقعوا متحولين إلى شظايا جليدية، لكن في يوم من الأيام تسلق رجل بسيط جبل هذه الملكة.. رجل كان يختلف عن كل من تسلق الجبل قبله، وعندما وصل وقف أمامها وانحنى لتحيتها ولبث مكانه يتأملها على حين كانت هي ترمقه ببرود،وتنتظر أن تسمع كلامه حتى تجمده وكانت جنياتها وشياطينها تنتظرأن تلقي به كغيره، ولكنه لم يتكلم بل ظل صامتا يطالعها فقط ... يطالعها بكل إجلال وإعجاب..هنا ابتسمت لأول مرة في حياتها وذاب الجليد قليلا فأشارت له ليقترب ..ثم ..

في هذه اللحظة قاطعتها ميرال و هي تقف لتصبح مقابل مهرة تماما و هتفت بها :
- لتكتشف في النهاية أنه أخرس !.

وأعقبت كلامها بضحكة عالية ، في حين قذفتها مهرة بوسادة كانت على أرض الشرفة و هي تصرخ بمرح :
- يا سخيفة كنت أتكلم بجد !
ثم تعالت ضحكاتهما وانغمستا في جو من المرح و الضحك لم يقطعه سوى هاتف ميرال بأغنية ديانا حداد:
- صاحبي قررت أنا منك أنسحب
ولا بّين ولا أظهر في سماك ...
إنها رنة حسام المميزة..غارت الابتسامة، ورفعت ميرال الموبايل و قد علت الدهشة وجهها، فقد كان حسام آخر من تتوقعه.وتوقفت مهرة عن الضحك وقالت بلهجة ذات مغزى :
- الظاهر أن اليوم، يوم المفاجآت.

* * *

- أهلين هيفاء ... شو أخبارك .. اتفضلي اتفضلي
أدخلت شريهان هيفاء ما بين القبلات و الترحيب والأهلين والسهلين و قادتها إلى الصالون حيث تربعت وفاء على الأرض في أريحية تشاهد التليفزيون، وما إن رأت هيفاء حتى قامت لتأخذها بالأحضان .

obeikandl.com

- هلا بهيفاء ... شو أخبارك ؟
- بخير كيفك أنتي ؟
- ماشي الحال .
خفضت شريهان أضواء الصالة أكثر وهي تقول :
هيك صار الجو خرج حفله.. لحظة لجيب الكيك و أرجع .

ثم أسرعت بعد قولها هذا إلى المطبخ، في حين مالت وفاء على هيفاء، وقالت :
- هي حتبدأ الحفلة من غير ناس ولا إيه ؟!.. أمّال فين البنات؟.
أومأت هيفاء في شفقة و هي تقول :
- مانتي عارفة يا وفاء، شريهان معندهاش أصحاب كتير.. مسكينة حتى صاحباتها زي ميرال ولمى مصاحبينها كده عالماشي !
ردّت وفاء بغيظ :
- معقولة يا هيفاء ! حتى في حفلة تخرجها ميحضروش.. ده يبقى عيب أوي ، بصراحة أنا الشلة دي مش طايقاها خالص .. دول شلة صيّع، أنا مش عارفة إيه اللي لم شريهان عليهم .
- أنا معاكي ، مش عارفة ليه بحس إنهم بيضحكوا عليها، وبيستغلوها كمان، مأأنتي شايفة شريهان إزاي شخصيتها ضعيفة، وعموما خلينا نتصل بشوية بنات

Obeikandi.com

عشان ييجوا يعملوا جو أنتي عرفاني أنا ماليش في الحفلات .

- أمّال أنا رحت فين ؟

- آه طبعا أنتي مفيش زيك في الفرفشة و البارتيهات بس إيد لوحدها متسقفش ولا إيه ؟ يلاّ يا شيخة خلينا نفرح البنت .. اتصلي بصاحبتك دي اللي بتعرف ترقص .

- قصدك دعاء ولاّ منال ؟

- الاثنين .. خليهم ييجوا بسرعة .

- أوكي.

كان البيت في تلك الليلة خاليا إلا من ثلاثتهن، فوالد شريهان بات في دبي واصطحب شادي معه، وأوصى الخالة منيرة أن تبيت مع شريهان، وهي أصغر خالاتها..سيدة تبلغ من العمر ستة و ثلاثون عاما، أنجبت بنت في عمر شادي و شابين توأمين أكبر من شريهان بستة أعوام .

الخالة منيرة لا تزال تعيش في عمر العشرين بتسريحتها القصيرة التي تنكشها دائما، ولونها الذي يتغير كل ثلاثة أسابيع، و بملابسها الشديدة و بأفعالها أيضا، فهي المرح يمشي على قدمين، منطلقة في حياتها لأبعد الحدود..إنها ذلك النوع من الناس الذي يصفه الآخرون – ممن يعيشون حياتهم برتابة-

ب"الفاضية "أو عديمة المسؤولية و أحيانا بالمجنونة، ولم تكن هي شيئا مما سبق، فهي دائما مشغولة وتتحمل مسؤولية بيتها بعد طلاقها من زوجها الذي لم يعرف كيف يمسك بالفراشة بالطريقة الصحيحة، فهو إما يضغطها فيسحقها، أو يطلقها لتطير، وقد اختار هو والفراشة الخيار الثاني .

الخالة منيرة قد يطرأ على بالها أمر ما يجعلها تترك ما بيدها و تختفي في الحال، وهذا ما حدث في تلك الليلة فقد جهزت حفلة خاصة لشريهان وصديقاتها من أجل تخرجها في الثانوية، ثم فكرت فجأة أنه من الأسلم أن تتركها بمفردها مع صديقاتها، و لم يكن هذا خوفا من أن تضايقها بوجودها بين الشابات، فهي تشعر بأنها واحدة منهن، يحدثنها بأسرارهن براحة ويطلبن مساعدتها دون حرج و كانت هي تستمتع بذلك .. إنما فضلت أن تترك شريهان لتشعر بالحرية قليلا، فهي تعلم كم يضيّق والدها عليها، لذلك قادت سيارتها طوال الليل باحثة عن ما يمكن أن تفعله حتى يأتي الصباح لتعود باكرا، وتدّعي أمام الوالد المتشكك دائما أنها قضت ليلة مريحة جدا في منزله .

حاولت شريهان أن تلح على خالتها لتبقى معها في الحفل، فهي تعلم أن الحفلة لن تطول أصلا فكيف بأن تأخذ الليل كله و هي تعلم أنه لن تحضر حفلتها

الكثيرات، وكانت قد دعت ميرال وألحت عليها لتأتي واتصلت بها عدّة مرّات لكنها لم ترد عليها ، وأيقنت شريهان أن الحفلة ستكون مملة، و شعرت بالغضب من ميرال، فكيف لها بعد كل ما تفعله من أجلها تهملها هكذا؟!

قررت شريهان في سرها أنها لن تتصل بها أبدا حتى تفعل هي ذلك أولا ولكن قراراتها تبخّرت حين لم تحضر الحفلة إلا فتاتان ليستا من أقرب صديقاتها، بل لا تعدهما صديقتين وإنما مجرد زميلتين لا أكثر، لذلك دهشت من اهتمامهما بالحضور في حين من كانت تعدهن صديقاتها المقربات لم تكلفن أنفسهن تقديم اعتذار.

لبثت شريهان واقفة أمام الكعكة الكبيرة وأكواب العصير وغير هذا مما امتلأت به طاولة الطعام في المطبخ، وحاولت الاتصال للمرة التاسعة بميرال و قد دمعت عيناها .. إنها تريد أن تشعر بالتقدير من هذه الفتاة بالذات، تريدها أن تكون صديقتها فعلا.. لقد كانت مثل كل فتيات الثانوية تتمنى أن تكون صديقة لميرال، أن تكون واحدة من الشلة.. شلة الخمسة، شلة الفايف ستار كما كان الجميع يلقبونهن، و قد حدث وأصبحت معهن، و لكن الشلة ظلت شلة الفايف ستار، و لم

تصبح بأي شكل من الأشكال شلة السكس ستار كما تاقت شريهان لأن تكون، ولأنها لم تكن تملك صديقات و تعيش حياتها كالطيف لا يشعر أحد بوجودها، تقتحمها عيون الناس و طبيعتها الهادئة تجعلها تشبه ذلك الشيء الذي تبحث عنه طويلا و لا تجده بينما هو أمامك .

* * *

ابتعدت ميرال عن مهرة قليلا واتجهت إلى زاوية الغرفة وأرادت في البداية ألا ترد..أن تغلق الخط، لكنها في النهاية ردت بعد أن تركته يرن فترة طويلة:

ـ نعم.

قالتها بكل قرف وضيق .

تنحنح حسام قليلا ثم قال محاولا أن يبدو طبيعيا أمام سيف الذي كان يراقبه:

ـ هاي حياتي ... شو أخبارك

ردت باستخفاف :

ـ حياتك ! الظاهر غلطت في الرقم .. وعموما أنا بخير.. بألف خير

صمت حسام قليلا وتساءل في سره: لما يفقد مهارته في الحديث عندما يكلم ميرال ؟.. ولكنه قال أخيرا :

- لا أبدا مو مغلط... بس حبيت أطمن عليكي.. وينك هلا ؟.

تناهت أصوات الموسيقى عند حسام إلى مسامع ميرال فقالت بغضب :

- إنت بتسأل ليه ؟... وإيه الصوت اللي عندك ده... أنت في حفلة ؟

بينما كان حسام يشرح لميرال أنه في حفلة أصدقائه، وأن شذى ليست معه وأن الحفلة كلها شباب، كانت مهرة تقترب بهدوء من ميرال وهمست :

- أشوف الربع (الأصحاب) كلهم يحتفلون اليوم!

فكرت ميرال بسرعة البرق بعد هذا التعليق من رفيقتها وتساءلت في سرها:

- لماذا يتصل حسام بها اليوم بالذات؟ ويسألها عن مكانها

في النهاية اهتدت لما ستقوله فبدأت تستفز حسام وتسأله عن شذى و تهاجمه و أخذ هو يدافع عن نفسه، وعندما اشتد النقاش بينهما ألقت له ميرال أمرا فقالت :

- طيب ابعد شوية عن اللي أنت قاعد جنبه، وكلمني كويس.

فصرخ بها :

- هو بعيد عني أساسا.

obeikandl.com

صمت قليلا وشعر بأنها أوقعت به، و صمتت ميرال بدورها وهي تشتعل من الغيظ ،فهي أصبحت تعلم يقينا أنه يكلمها لغرض آخرغيرالاطمئنان عنها وزاد من حنقها أنها شعرت بأن هناك من أرسله ليكلمها، ولشد ما كانت تكره أن يكلمها أمام أصحابه، لاعتقادها أن ذلك ينقص من قيمتها.. شعرت لحظتها أنها لو كانت غالية عنده لما كلمها أمام أحدهم، حيث عليه أن يحافظ على سمعتها ومع أنها لم تكن تهتم لسمعتها إلا أنها تمنّت أن يهتم هو.. وبعد برهة قالت :

- أنا تمام و كله تمام .. أنا دلوقتي في بيت وحدة صاحبتي اسمها مهرة و قول للي باعتك لو عنده أي سؤال يتصلي دايركت و أنا حقوله ..أوكي يا حياتي.. وياريت ياريت إنت متتصليش تاني ..أوكي !

صمت حسام للحظة، وعندما حاول الكلام أغلقت ميرال الخط.

و حانت منه التفاتة فرأى سيف يبتسم بزاوية فمه ثم اقترب منه و قال :

- قالتلك ويا منو ؟

ابتسم حسام و قال :

طبعا.. متل ما قلت قاعدة مع مهرة ... شو الموضوع بالضبط ؟ شو قصتها هاي مهرة ؟

قال سيف :

- قصتها قصة.. بس اسمع الكلام يكون بيني وبينج وما يطلع لأحد .. متفقين!
رد حسام :
- أكيد.

* * *

- ما تبين تقوليلي شي؟..هكذا خاطبت مهرة ميرال وهي تفسح مكانا بجانبها لتجلسا متقاربتين
علاقة مهرة وميرال علاقة الند بالند سواء على المستوى المادي أو الجمالي و حتى شخصية كل منهما فيها الشيء الكثير من شخصية الأخرى، وبغض النظر عن عدد رفيقات كل منهما، فقد كانتا الأقرب لبعض مع احتفاظ كل منهما بصديقة أخرى كنوع من المسافة الضروري وجودها، فمهرة – من الواجب بالنسبة لها – تصحب معها رفيقة مقربة إماراتية مثلها تنتقل معها في المناسبات الخاصة بالعائلات الإماراتية، يعني باختصار لا تكون غريبة على مجتمعها.
أما بالنسبة لميرال فوجود صديقتها لمى اللبنانية ضروري حتى تنسجم مع محيط الشوام الذي تحبه كثيرا فهي ترتاح وتعشق كل من يقول: هلا و أهلين

obeikandl.com

و تقبرني و ما عاد فيني..تعبيرا عن عقدة المصريين إياها تجاه الجنسيات الأخرى وهي عقدة لم تستطع ميرال التخلص منها حتى لم تعد تدري هل هي تحب حسام لشخصه أم لأنه لبناني ؟.. ولم تهتم ميرال أبدا بالإجابة عن هذا السؤال، فكل ما يعنيها أنها تحبه وأنها تريده بشدة وكفى، ولكنها في تلك اللحظات بالذات شعرت بأنها تستطيع التخلي عنه إذا تعلق الأمر بكبريائها فهي لم تكن لتتنزل من عليائها لأجل أي كان و ليست ممن يؤمنون أنه في الحب لا وجود للكرامة، وإذا كان حسام قد ابتعد عنها قليلا فلا يمكن أن تقرّب هي هذه المسافة بل يجب أن يأتي هو إليها، و يحاول كثيرا قبل أن تسمح بأن يعود الوضع إلى ما كان عليه، فمهما كانت شدة حبها له، و مهما كانت تراه في أحلامها فكبرياؤها يأتي أولا،على حد الرأي القائل: أصون كرامتي قبل حبي.

في هذه النقطة تتفق ميرال و مهرة، لكن الفكرة تبلغ لدى تلك الأخيرة حد المرض، ففي مسائل الكبرياء والفخر تعود مهرة في خيالها إلى الأصل والفصل، وأنها هي ولا أحد مثلها في حالة قريبة من جنون العظمة .

جلست ميرال بهدوء و تنهدت في ضيق ثم زفرت قائلة:

- مش حاجة تستاهل أقولك عليها

لكزتها مهرة برفق وقالت بغنج :
- قولي عاد ! أنا ما خبي عليج شي .
نظرت لها ميرال بخبث و قالت :
- مش كل شي.. عموما يا حبيبتي إنت فاكرة حسام اللبناني اللي طنشلي أنا! وبقى بيتمشى في الرايحة والجاية مع ليزبيان (شاذة) شذى..أهو ده عايز يعمل ذكي علي، والظاهر حد باعته عشان يعرف أنا مع مين.. وأنا حاسة إن الموضوع له علاقة بخالد بتاعك .
قهقهت مهرة وهي تقول من بين ضحكاتها :
- يا ويلي .. يضحكون الشباب .. مفكرين حالهم أذكياء !
و ضربت يد ميرال على طريقة كفك أو اعطيني خمسة، بينما شاركتها ميرال الضحك ثم انتقلت من مكانها لتجلس مقابل ميرال و قالت وهي تبتسم :
- قوليلي... شذى صدج ليزبيان ؟
مالت ميرال برأسها إلى الأمام والخلف و اليمين واليسار، ثم قالت بابتسامة أكبر من ابتسامة صاحبتها :
- بصراحة .... يعني شوية... يمكن.
- قولي الصدج !.... بيني وبينج يعني انتي اللي طلعتي عليها هاذ الكلام .. صح؟

- مش كله من عندي أنا إديت البالونة للبنات إياهم وكل وحده نفختها شوي .. بس كده
- صدقت بصراحة شكلها من أهل ذلك .
- شفتي إزاي.
ثم رسمت ميرال على وجهها تعبيرا شريرا و ضيّقت عينيها وقالت بلهجة تقطر شماتة :
- أكيد سمعتي عن الفضيحة اللي حصلت قبل الامتحانات بشهر ... لما شذى ضبطها باباها في الأوتيل مع واحد من صحابها، وجرجرها قدام الناس للبيت .
قالت مهرة و قد اتسعت عيناها :
- يا ... آي هيرد أبوت إت .. انتي!
فأكملت ميرال ضاحكة :
- أنا اللي خليت صاحبتي تتصل للبابا و تخبره عن الدراسة اللي بتدرسها بنته .
هتفت مهرة غير مصدقة :
- ميمي ... مو معقولة !.. انتي.... صايرة تخوفيني .
تثاءبت ميرال وهي تقول :
- دانتي تخوفي بلد ... لكن تخيلي بعد كل الفضايح دي و أهلها اللي بقوا شادين عليها جامد لسه مبطلتش عمايلها، و بعد كل اللي اتقال عنها في أبوظبي كلها ويمكن حتى سمعتها وصلت رأس الخيمة ! لسه حسام

مصاحبها ودايما ماشي معاها ... هيه بتعملهم إيه ؟.. بتسحرهم !.

ـ بقولش كلمة واحده ... الشباب شلاب.

ـ عندك حق.

ـ انتي تعرفي ربع حسام كلهم .

ـ أعرفهم بالأشكال بس.. بشوفهم من بعيد.. وإذا كان قصدك على خالد ده فأنا مش متأكدة، عموما حسام عنده أصحاب كتير.

ـ طيب منو مثلا فيه شي مميز ؟

ـ واحد من المواطنين؟! بصراحة يا حبيبتي أبا بشوف شبابكم كلهم نسخة واحدة إلا ما فيهم حد مميز.. نو ديفرنس.. بس افتكر شفت كده مرة في شلتهم واحد كده تشاينيز.. هو مواطن بس ملامحه آسيوية يعني.

لمعت عينا مهرة وهي تقول :

ـ هذا أكيد الفلبيني ربيع خالد.

تساءلت ميرال :

ـ هو فلبيني ؟

ـ أمه فلبينية ولا يابانية، مدري شو جنسيتها بس حاسبينه علينا مواطن....صار اللي ييي يعطونه الجنسية!.

ـ هو مواطن أصلا ولا أدوه الجنسية؟

ooe ikandil.com

- أبوه مواطن و من عيلة كبيرة معروفة بس هذا الفلبيني كان غلطة في حياته مثل ما تقولوا أنتو المصريين نقطة سودا.
- حرام عليكي ده حتى شكله كيوت (لطيف)
- الحرام ما حرم الله ، الجنسيات رح يحتلوا البلد و أحنا بعدنا فيها .
- بقولك إيه، مبلاش نفتح موضوع الجنسيات ده.. خلنا حبايب أحسن .

قامت مهرة من فورها ونظرت إلى ميرال بطرف عينها وقالت وهي تسير متجهة نحو الشرفة:
- خلينا.. للحين .

غابت الكلمة الأخيرة عن سمع ميرال وقد تعمدت مهرة ذلك، كأنما هي تحتفظ بتلك الكلمة لنفسها فموضوع المواطنين - أبناء البلد الأصليين والوافدين - اللذين يملأون الإمارات بعدد يفوق عدد السكان الأصليين لطالما شغل بالها، فمهرة تعشق بلدها، منه تستمد فخرها و تشعر بأنها في أعلى مرتبة لمجرد أنها إماراتية، و مع أن تعليمها أجنبي وعلى النظام الأمريكي بالذات إلا أنها غارقة في المحلية حتى أذنيها، وتعتقد اعتقادا يقينيا أن الإنسان الإماراتي خاصة، ثم الخليجي، عموما هو صاحب المجد و الفضل والإحسان على العرب جميعا سواء في بلده أو خارجه، و مع

ثقافتها العالية إلا أنها لا ترى أبعد من أنفها فيما يتعلق بهذا الأمر، و هي دائما تتعمّد مناقشة هذا الموضوع مرارا وتكرارا و دائمة القلق بخصوصه.

مهرة تتمنى من كل قلبها أن تفعل شيئا عظيما يليق ببلدها..عندما كانت صغيرة فكرت أنها في يوم من الأيام ستكون "شيخة" حاكمة، و ستغيّر شكل البلاد كلها، وبما يتناسب وسنها في تلك الفترة فقد أرادات أن تضع الكثير من الألوان في الشوارع والساحات.. هذا ما كانت تقوله لوالدها و هو يلاعبها وكان يضحك حينها سعيدا بلهو الطفلة و مرحها، لكنها لم تعد الآن طفلة تلهو فهي قد كبرت و معها كبرت أفكارها، وبعض الأفكار قد تكبر بطريقة معاكسة لما كانت عليه عندما كانت أحلاما صغيرة.

اليوم أصبحت مهرة تريد أن ترى الأبيض والأسود أكثر من باقي الألوان المنتشرة في الإمارات كلها.. تريد أن ترى عباءات سوداء و"كنادير" بيضاء في كل مكان.. أحيانا تشعر بأن الإمارات بلا روح لأنها لا ترى نفسها و أهلها فيها كما تتمنى و تظل تفكر و تبوح بأفكارها أمام الجميع، لذلك فإن فعلاقتها بميرال لايكدرها سوى أن هذه الأخيرة ليست إماراتية مثلها، ولا حتى خليجية، ولم تستطع مهرة أن تتخلص من هذه

العقدة و لكن تبقى ميرال في واقع الأمر و حقيقته الصديقة الفعلية لها .

بعد ما دار من حديث بين الصديقتين استأذنت ميرال للذهاب، فظنت مهرة أن كلامها قد أزعجها ،فألحت عليها بالبقاء، لكن ميرال أصرَت بدورها في لطف على الذهاب واعدة إيّاها باللقاء في الغد، ثم خرجت بعد أن قررت أن تعود إلى البيت مشيا، وعلى طول الطريق اختلطت الأفكار في رأسها .. كانت حزينة و تساءلت :

- لم لا أريد الاعتراف لنفسي بالحقيقة ؟ و لم لا أواجه نفسي وأتهرب منها ليس فقط أمام صديقاتي إنما حتى داخلي؟

واصلت حديث النفس للنفس، لم يكن منولوجا رغم أنه لم يتحول إلى كلام خارجي تسمعه أو يسمعه غيرها،وكان عليها أن تصل أو تتوقع نهاية لما هي فيه، وانتهت إلى القول :

- في وقت ما يجب على الإنسان أن يعترف لنفسه،وهاأنذا أحاول .. في لحظة ما ستكشف النفس عن حالها و ستبوح بسرها ... و لكن هل هو سر ؟! ألا يعلم به كل من حولي ؟ أليس من التفاهة أن أفكر في أمر حسام إلى هذه الدرجة؟

لميرال مغامرات عاطفية كثيرة كمثيلاتها من البنات إن لم يكن أكثر، وقد عرفت من الشباب عدد شعر

رأسها، كان منهم من هو فاتن و منهم من هو ذو شخصية فريدة و منهم من هو مشهور ومنهم الثري الثراء الفاحش، وكان وكان و كان، فبحكم أن عائلتها تعيش في الإمارات منذ جيلين أو أكثر و بحكم عمل والديها في مجال الشركات والإعلانات و مجالات التجارة كانت تلتقي بالكثيرين ومن مختلف الفئات، لكنها – لحد تلك الليلة – لم تتعلق بأحدهم كما تعلقت بحسام فهي تراه يجمع صفات كل من عرفتهم قبله - و إن كانت تبالغ قليلا – رأته كاملا، و في وقت من الأوقات ظنته فوق مستوى البشر.

في تلك الليلة بالذات عادت لتراه عاديا أو هذا ما أرادت أن تقنع نفسها به فكيف له أن يكون مميزا في شيء و هو يحب شذى؟..هكذا تساءلت و أفزعها السؤال اللاحق :

- هل هو يحبها حقا ؟! كيف له أن يفعل بعد كل ما انتشر في المدينة عن شذى وفضائحها؟، كيف له أن يفعل بعد أن كشفت له وللجميع حقيقتها؟... لا ،لا إنه بالتأكيد لا يحبها.

كانت ميرال تجيب نفسها ثم انتبهت إلى حالة الذعر التي انتابتها حين فاجأها ذلك الخاطر فإذا هي تغتم، وتتساءل :

- لكن هل أنا أحبه؟ أم هذه مجرد أوهام مراهقة؟

لكنها لست غرة حتى تنخدع بأوهام، ففي حياتها العاطفية بالذات عايشت الكثير.. وعايشت أحاسيس مختلفة، و في النهاية: مالذي تريده بالضبط ؟! .

كثيرا ما اعتبرت ميرال نفسها محظوظة فهي من بين الجميع تملك من الحرية ما يفوق صديقاتها في مجتمع كالمجتمع الخليجي، والداها متحرران جدا، في فترة شبابهما تعرفا على بعض في ألمانيا أثناء الدراسة و قد كانت صدفة لقائهما في التنظيمات الشيوعية، و لكن بعد عودتهما إلى الإمارات نفضا قدرا من تلك الأفكار، و انشغلا معا يدا بيد في مجالات البيزنس، و من نجاح إلى آخر، كانت تلك حياتهما التي انغمسا فيها مما جعل ميرال وإخوتها يعتقدون منذ الصغر أن الحياة منافسة، مسابقة مستمرة مهما كان وضعك فبالنسبة لهم لاحدود يقف عندها النجاح ، وهو ليس أن تصل إلى ما تريد بل أن تستمر في الوصول إلى ما تريد.

* * *

والدة ميرال امرأة قوية و ذكية في الآن نفسه ربت جميع أبنائها على أنه في حياتهم يجب أن تكون لهم الريادة، و أن يكون أحدهم الثاني فذالك معناه الفشل وعلى هذا الأساس كانت تعمل لميرال لتكون الأولى، هذا ليس أمرا هينا.. إنه واجب، و ميرال بدورها لا

تستطيع أن تتحمل فكرة أن تكون الثانية، ولذلك حينما وضعها " حسام " في المرتبة الثانية في حياته شعرت بالفشل والإهانة واختلط عليها الأمر، وتساءلت:

هل هي حزينة لأنها، ولأول مرة في حياتها تكون، الثانية ؟ أم لأنها كانت الثانية بالنسبة لحسام بالذات؟ أم لأنها من جاءت الأولى هي أقل بكثير منها

و بنظرة من الاستعلاء، و بحقد لم تشعر به في حياتها هاجمت شذى بشراسة وعنف مخطط كأنها في حرب ، تدير تكتيك المعركة بنفسها و تحرك خطوطها من بعيد و بطريقة مدروسة وفنية ،ربما لو استعملت هذا الذكاء والتخطيط من أجل حياتها العملية - كما تطالبها والدتها دائما- لحققت الكثير

عند هذا الخاطر بدأت ميرال تفكر بجدية في حياتها العملية ، تريد والدتها أن تدخلها كلية إدارة الأعمال أو البيزنس و لكنها تريد أن تدرس الطب، و ستفعل ما تريد.. إنها موقنة من ذلك، و إذا كان الدادي والمامي- كما يحلو لها أن تناديهما- مصرين على مجال الأعمال فلا يجب أن يقلقا، فميرال بارعة في فن الإدارة كما هو واضح مما تديره من خطط ، وعاد حسام ليقتحم تفكيرها مرة أخرى ،فتنهدت بعمق و هي تتساءل في سرها:

- لماذا لا تستطيع أن تبعده عن خيالها؟.. لماذا لا تستطيع أن تغلق باب التفكير فيه كما أغلقت الخط في وجهه؟!.

قطعت عليها خواطرها سيارة لاند كروزر بيضاء فرملت أمامها فجأة، وبشدة أثارت صوتا عاليا من الصرير ليخرج منها شاب إماراتي وسيم و طفق يطالعها.. في البداية توقعت ميرال أنه سيعاكسها وسيرغب بالتأكيد في التعرف عليها و قالت في سرها:

- خلينا نتسلى شوية

لم تتفاجأ من هذا الموقف فهو يحدث كثيرا في أبوظبي، ولكنها تفاجأت منه في النهاية، فقد بقي مدة طويلة يرنو لها و لم يتحرك و لم يفتح فمه بكلمة إلى أن نفد صبرها فقالت باستنكار :

- في حاجة ؟!.

فما كان منه إلا أن قذف هاتفه النقال أمامها فتحطم بالضبط عند قدميها، وتناثرت أجزاؤه ،حينها تراجعت ميرال و صرخت فيه بغضب :

- إنت مجنون !..

لكنه لم يغير من وقفته و قال بجمود :

- كلكن مثل بعض.

ركب الشاب سيارته في الحال و انطلق بسرعة تطاير معها فستانها.. بقيت ميرال للحظات مصدومة وقد ظنت

أنه سيضربها، لكنها استأنفت مشيها و هي تبتسم وتفكر بما حدث، و قالت في سرها:
- يبدو أن العقد و المشاكل النفسية طالت الجميع ، أنا متأكدة أنه لا يوجد في الإمارات شخص واحد في تلك الليلة لا يعاني مرضا نفسيا ما.. و المرض النفسي يبقى مرضا مهما اختلفت المفاهيم.. إذا أنا في مدينة المرضى.

وجدت في ذلك حلا مريحا لأي نوع من القلق، فعندما تعامل الجميع على أساس أنهم مرضى ستعذرهم و تعذر نفسك، و قد ترتاح نفسيا بشكل جزئي وليس كليا، لكن راحة قليلة أفضل من لا راحة على الإطلاق، و تذكرت قول كاتب ذكر ما مفاده : أن المرض النفسي ترف.. نعم ترف فالمجتمعات الراقية و الغنية عموما والتي تكثر فيها وسائل الراحة وكذلك المجتمعات المتطورة والمترفة بشكل خاص تكثر فيها الأمراض النفسية مثل :الاكتئاب و الفصام وغيرها، بينما في المجتمعات الفقيرة أو المتوسطة ممن يسميها أصحاب الطبقة الراقية مجتمعات متخلفة نجد أن الأمراض النفسية تقل و بشكل واضح فلا وقت لديهم للإكتئاب والانفصام، فأهلها لا يملكون وقتا للإصابة بالأمراضالنفسية، فلديهم الكثير مما يشغلهم، لذلك نرى ملوكا و رؤساء وحكاما وغيرهم من المترفين

وأصحاب المقام العالي يتصرفون كالمجانين لأنهم يملكون ترف الإصابة بالجنون.. لأنهم مرضى !.

ضحكت ميرال و هي تتخيل العالم محكوما بمرضى، ولو أنه كان بمجمله كذلك لوجدت في ذلك العزاء، لكن إلى جانب المجانين يوجد العقلاء و إلى جانب المرضى يوجد الأصحاء.

في تلك الليلة وجدت جوابا للسؤال الدائم :

- إلى أين يتجه العالم ؟!.

- إلى المصحة النفسية.. قالت في سرها ، وهي تبتسم وتمّنت لو أن الأمور تجري على هذه الصورة و بهذه السهولة لتغيّر العالم، وربما أصبح عالما ورديا.

أرادت أن تجد تفسيرا آخر لما فعله ذلك الشاب، وتساءلت عن السبب الذي يجعل شابا وسيما مثله في ريعان الشباب و لا مشاكل كبيرة قد تواجهه كسائر الشباب ، فليس عليه أن يفكر كيف يأتي بمصاريف دراسته أو علاجه و إذا ما أراد الزواج سيكون له ما أراد في ليلة الخميس من نفس الأسبوع ،ثم قالت:

- مالذي يجعل هذا الإنسان و الذي يفترض أن يكون خاليا من المشاكل والهموم يقوم بما فعله ؟ و لماذا بدا حزينا واجما ؟

تذكرت من جديد ما قاله وتساءلت :

- مالذي كلن يعنيه بكلكن مثل بعض؟

أخذت ميرال تفترض بأنه ربما صدم في حبيبة له ولكن ألا تزال مثل هذه القصص الرومانسية موجودة حقيقة ؟! ثم منذ متى كان الشباب شديدي التأثر بأمور الفراق ؟.. أم هل خانته زوجته ؟ فإذا كان هذا لكان قتلها و لم يتعب نفسه بأن يخرج بسيارته ليلا ليقذف فتاة لا يعرفها بموبايله..

ثم فطنت إلى الموبايل، ربما كان هو السبب، ففي الإمارات يشكل الموبايل للشاب أحب جهاز على الإطلاق ، وقد يكون هو السبب في معرفته لشيء أغضبه من جنس البنات جميعا، وفي النهاية وجدت ما حدث أمرا مضحكا للغاية و ستحكيه لصديقاتها وسيضحكن..
إن ما فعله ذلك الشاب بكل حقد و ألم كما بدا عليه سيتحول لها وللأخريات إلى مجرد نكتة يتسلين بها ويتندرن عليها فمصائب قوم عند قوم فوائد، و قالت في سرها:
- كم هي غريبة و ساخرة هذه الحياة فما قد يبدو لنا قمة الألم قد يبدو – بشكل أو بآخر- في عيون الآخرين قمة السعادة .. إننا نخطيء حين نعطي مشاعرنا أكبر من حجمها و نضخمها بحيث تملأ علينا حياتنا إنها في

النهاية ـ المشاعر و ليست الحياة ـ لا تستحق منا كل هذا العناء .

قفزت ميرال بتفكيرها مرة أخرى إلى حسام و أدركت أنه رغم كل غضبها منه و برغم كل ما قالته عنه قد أثر فيها إلى أبعد حد، فهي بأفكارها وخواطرها في تلك الليلة تشعر بأنها زاهدة في كل شيء، و بأنها سامية على كل شيء.

لقد فاجأت نفسها بتلك الأفكار و حديثها مع ذاتها كان أطول مما اعتادت و كان أغرب مما مر عليها و كل هذا من وحي حسام .

لقد شعرت بعد المكالمة الأخيرة أنها فقدته، ولكنها تعود لتعتقد اعتقادا يقينيا أنه سيعاود الاتصال بها وسيحاول أن يعود إليها.. كل هذه الأفكار لمجرد أنه ابتعد عنها قليلا فماذا لو ابتعد كثيرا ؟ ماذا لو تركها إلى لأبد ..هنا عادت ميرال الحقيقية لتظهر من جديد، فقالت:

ـ ما ذا لو تركته ؟.. قالت في سرها هكذا يجب أن يكون السؤال.

ok-kaa.com

مالذي فعله حسام بها ؟! إنها بالكاد تعرف نفسها في تلك الليلة، إذا كيف لم تنتبه لتأثيره عليها، كيف لم تدرك أهميته بالنسبة لها من قبل ؟!..أم أننا ندرك أهمية الأشياء فقط حين نفقدها ؟!.

* * *

obeikandl.com

(٣)

الفراشة الزرقاء

احمرت يدا "وفاء " و " هيفاء " من كثرة ما صفقتا لفيفي عبده و لوسي والاسم الأخير هو الاسم المستعار لـ"منال " و نالته لأنها ترقص مثل الراقصة المصرية لوسي، ولأنها و من شدة حبها لها أصبحت تشبهها فهي تضع ماكياجها كما تفعل لوسي وتشد شعرها في محاولة لسحب عينيها لتبدوان أكبر مثلما تفعل لوسي أيضا، أما فيفي عبده فاسمها الحقيقي" دعاء " ولا تشبه فيفي عبده في شيء، فهي جميلة كسائر بنات الشوام و رشيقة بملامح ناعمة لولا الخبث الذي يطل من عينيها الخضراوين، و في واقع الأمر

obeikandl.com

أطلق على دعاء اسم فيفي عبده لمهارتها العالية في الرقص، ولأنها اسم لامع في دنيا الراقصات فقد أصبحت أيضا اسما لامعا في الحفلات النسائية في أبوظبي، ولولا الحياء لرقصت في كل الحفلات حتى الرجالية منها.

في أحيان كثيرة عندما كانت دعاء تبدع في رقصاتها، التي لا تجاريها فيها فتاة، تتخيل الحضور شبابا و رجالا – و لا يصعب هذا الأمر كثيرا في وجود البويات – فتطرب و تتمايل و تهتز بشدة و تتكامل و تتناسق تعبيرات وجهها مع حركات جسدها فتغمز وتلمز و تقوم بشتى الحركات، التي ترى أنها تثير السادة اللذين تتخيلهم ، بل وتراهم بعين الخيال وقد أبهرتهم برقصها، فتزيد تفننا في رقصاتها و هي تتنقل ما بين الرقص الشعبي الخليجي مثل " معلاية " و ما بين الرقص المصري والدبكة في الأحيان التي تجرؤ الفتيات على مجارتها قليلا.

فيفي عبده أو دعاء تتقن أنواعا كثيرة من الرقص وترقص على أي إيقاع وأي أغنية كانت ،و لطالما غارت منها الفتيات و حسدتها حتى " العجائز " منهن، و لكنهن كن بلا استثناء معجبات بها و برقصاتها.

في تلك الليلة حين اتصلت بها وفاء، كانت تجهز ملابسها لتسافر مع أمها إلى سوريا لقضاء العطلة ومن

بين الملابس المتناثرة انتقت فستانا قصيرا أسود وبفتحة جانبية،و وقفت تتأمل شكلها، ثم وضعت الكثير من الماكياج في حقيبتها و أخذت شالا بحلقات معدنية ليصدر أصوات الرنين عندما " تتحزم " به ولفت بداخله زجاجة العطر، و ألقت بكل هذا في حقيبة يدها وأسرعت تلتحف بعباءة مغلقة و شدت الإيشارب على رأسها، و استأذنت من والدتها أن تذهب لتجالس وفاء قليلا قبل أن تسافر، و عندما سألتها أمها إذا ما كانت وفاء تقيم حفلا أجبتها بلا ، ولأن الوقت كان ليلا ولأنها تدرك أنها لن تكتفي بالرقص لساعة أو اثنتين قالت لأمها: بأنها ستصلي الفجر عند وفاء و تأتي في الصباح فوافقت الأم بحسن نية و لم يكن على دعاء أن تكذب ، فوالدتها لم تكن لترفض أن تحضر ابنتها حفلات صديقاتها، لكنها كانت تجد متعة خاصة في الكذب وما إن تنطلي حيلتها على أحدهم حتى تستدير لتخفي تعبيراتها و تظهر على وجهها ابتسامة خبيثة .

في تلك الليلة شعرت أنها راقصة محترفة ذاهبة إلى الكباريه و لم تذهب إكراما لـ"وفاء"أو هيفاء، وهي لا تعرف شريهان أصلا، و لكنها ذهبت إكراما لـ"الوحدة ونص"، وعلى العموم فإن شريهان ووفاء وهيفاء كن ممتنات لحضورها و سعيدات بوجودها .

عندما دق جرس الباب و تحركت شريهان لتفتحه توقعت أن يكون الطارق خالتها أو بعض صديقات هيفاء ووفاء، وغطت الابتسامة محياها و هي سعيدة لتغير سير الحفلة الممل، و ما إن فتحته حتى تلاشت ابتسامتها و قالت بذهول : - ميرال !.

كانت ميرال ترتدي فستانا أزرق بسيطا، و لكنه من أحدث تصميمات الصيف وقد مشطت شعرها في كعكة كبيرة زينتها مشابك صغيرة متلألئة فبدت كالسندريلا، و لو أضيف لها جناحان لأصبحت فراشة زرقاء..مدت ميرال يدها في حركة رسمية و هي تقول :

- هاي شري ... إزيك ؟

أسرعت شريهان تلتقط يدها و ابتسامة كبيرة تشرق على وجهها على حين قالت : آهلين ميرال .. ما توقعتك رح تجي.. حرقت موبايلك وأنا أتصلك !.

ناولتها ميرال هدية مغلفة بغلاف ذهبي أنيق، و هي تقول :

- مبروك التخرج.

ثم أكملت وهي تبعد شريهان و تدخل :

- سوري انشغلت شوي .. بس أنا قلت : إني جاية، يعني جاية!.

كانت شريهان تطالعها بإعجاب عندما تخطتّها في طريقها إلى الصالون وحدثتها نفسها بأنها لا توجد فتاة

obeikandl.com

في أناقة ميرال، و بدت لها في تلك الليلة كأنها حلم فبعد أن فقدت الأمل في حضورها بل و فكرت كيف لها أن تجرأت و دعتها من الأساس و هي تعلم أنها لا تعني لها الكثير، وتوصّلت إلى قناعة مفادها: أن ميرال لن تعطّل نفسها من أجلها بل لن تتنازل و تحضر حفلا بسيطا مثل حفلها.. ثم تنبّهت شريهان إلى أن ميرال لم تنتظر لتتقدّمها صاحبة الدعوة بل جعلتها هي تتبعها.

غالبا ما رأت شريهان ظهر ميرال، فهي تنظر من خلفها دائما و كأنها تحتمي بها، نعم هي في غاية السعادة لحضور ميرال، و لكن لماذا لا تكون بجانبها كتفا بكتف؟ .. لماذا يجب أن تكون دائما خلف كتفها؟ .. الأصدقاء لا يمشون خلف بعض كما تعتقد.. إن ميرال تعاملها كتابع حتى في بيتها.. لماذا جاءت إذن ؟! هل تعتبر حضورها من واجبات "الليدي" كما كان يحدث قديما عندما تزور الآنسات الراقيات الآخرين في مناسباتهم، مع أن هؤلاء الأشخاص قد لا يعنون شيئا لليدي، و في هذه الحالة الزيارة ليست حتى مجاملة، إنما هي تضاف إلى رصيد الآنسة الراقية من الذوق و التواضع؟ .

قطع عليها حبل أفكارها صوت ميرال عندما استدارت لها نصف استدارة وهي تقول بلهجة آمرة:

- متعرفينا يا شري .

نسيت شريهان كل ما فكرت فيه لحظة سمعت صوت ميرال وأسرعت تقف بجانبها و تضع يدها على كتفها كأنها فخورة بها أمام الأخريات و قالت بمرح :

- بقدملك وفاء وهيفاء، و هي دعاء و منال ... طبعا يابنات هاي ميرال غنية عن التعريف .

امتعضت دعاء وفي داخلها استعرت غيرة لا تعرف لها سببا، ثم قالت موجهة كلامها للوسي:

- أنا ما بعرفها !.

رمقتها ميرال لفترة ثم قالت باستهانة و هي تضع ساقا على أخرى :

- أنا معرفكيش.. بس لو أنتي متعرفينيش تبقي مش عايشة في الدنيا .

انطلقت منال تدافع عن دعاء قائلة :

- إذا كنتي حضرتك بابيلر فدعاء كتير كتير بابيلر كمان، وكل البنات بيعرفوها و ما في حفلة ما بتحضرها.. و ما في حدا بيعرف يرقص مصري متلها.. هاي تعلم المصريات الرقص .

قالت لوسي ذلك، وهي تتوقع أن ميرال ستغتاظ ولكنها تفاجأت عندما ضحكت و هي تقول :

- انتوا كده يا فلسطينيين، طول عمركم زي القطط تاكل و تنكر ... إحنا أول ناس علمناكم تحاربوا اليهود، ومش بس كده و ساعدناكم كمان و أول ناس دافعنا

عنكم وسط العالم العربي كله، و في الآخر بقينا أول ناس حقدتوا عليهم واتهمتوهم إنهم السبب في مصايبكم.. و دلوقتي حتى الرقص تتعلموه مننا وتيجوا تقولوا إنكم حتعلموا المصريات الرقص؟!. لا فالحين .

و ختمت كلامها بضحكة عالية، على حين اشتعلت لوسي و دعاء غيظا واندفعتا تتكلمان في نفس الوقت وقد علا صوتهما ثم تحوّل إلى صراخ، حينها قالت لوسي :

- بالله شو !.. انتوا المصريين أس البلاوي كلها .. لك ما في حدا أذانا متلكن يمكن حتى أكتر عن اليهود و جاية تحكي أنكم دافعتوا عنا .. انتوا من ورا اتفاقية السلام مع اليهود خليتوا حالنا وصل للي عم تشوفيه هلا!

لم تأبه دعاء السورية كثيرا لما قالته ميرال عن الفلسطينيين، لكنها ساندت لوسي من باب الصداقة وأنهما من الشوام عموما، و في حقيقة الأمر فقد أغاظتها سخرية ميرال فمن تحسب نفسها في النهاية؟ ما دفعها إلى استفزازها قائلة، و هي تحاول تهدئة لوسي في نفس الوقت :

- خلاص، خلاص هدوا يا جماعة خلونا من السياسة ونرجع لموضوعنا.. أنا بأي حفلة بروحها ما بتظل ولو وحدة من البنات قايمة ترقص حتى المصريات لأنه ما

فيهم يرقصوا متلي، فما بيكون في وجه للمقارنة أساسا.

و ضعت ميرال يدها أسفل ذقنها، و مالت برأسها قليلا إلى الوراء، ثم قالت وهي تتصنع التذكر :

- أيوه، أيوه افتكرت أنتي اللي لما كانت بترقص في عرس نورا بنت خالة لمى كانوا البنات بيقعدوا عشان يتفرجوا عليها و يضحكوا..هو أنتي اللي كنت بتعمليه ده مسمياه رقص ؟!!.

بالإمكان انتقاد دعاء من كل النواحي إلا أن تنتقد رقصها، فهذه إهانة ما بعدها إهانة لفيفي عبده، فلكل إنسان ميزة و ميزة دعاء الرقص.. إنها الأولى فيه فلم تترك حركة إلا و تعلمتها و لم تترك لونا من ألوان الرقص إلا واختبرته، فكيف تأتي إحداهن و تنتقدها بل وتسخر من رقصها فهكذا تكون قد وضعت نفسها – تلك الأخيرة – في قائمة فيفي عبده السوداء، واحتلت مكانها عن جدارة على رأس أعدائها؟.

صدم كلام ميرال دعاء و أخرسها لفترة كافية سنحت بتدخل وفاء و هي تراقب تعبيرات وجه دعاء التي اتسعت عيناها فيه و استحال لونه إلى الأحمر غيظا، فانبرت دعاء قائلة و بلهجتها الفلسطينية البحتة و هي تحاول التحكم في أعصابها :

- إيش بدكم بها الحكي ؟.. إحنا جايين حفلة مش حلبة مصارعة، و عموما الميه تكدب الغطاس.. يلاَ دعاء قومي أنتي ومنال و فرجونا الرقص اللي على أصوله .
ختمت وفاء كلامها و هي ترمق ميرال ببرود فما قالته عن الفلسطينيين أغضبها للغاية و لم تعرف كيف ترد عليها، و لأول مرة تجد نفسها عاجزة عن الكلام ليس لشيء إلا لأنها شعرت بأن ميرال تملك كاريزما وشخصية قوية وكأن شيئا ما أجبرها أن تسكت، وشعرت بالحرج من نفسها، فـ"وفاء"لم تخف يوما من أي فتاة، و لم تكن لتسكت على أي إهانة، لكنها شعرت في تلك اللحظة بأنها خافت و طفقت تراقب ميرال دون أن تنتبه تلك الأخيرة لها و قالت في سرها:
- أنها مثل الوحش الأنيق تنخدع بمظهره الرائع فلا ترى ما يخفيه تحت أناقته و جماله.
ثم داخلها خاطر بأنها تبالغ، حينها نظرت لها ميرال و ابتسمت فبادلتها وفاء نفس الابتسامة.. إن ابتسامتها رائعة هكذا فكرت وفاء، ثم استطردت قائلة داخلها :
- أن لوسي ودعاء هما من بدأتا المشكلة لقد غارتا منها كما أعتقد
لكن ألا تشعر هي أيضا بالغيرة منها،..إنها نقيض ميرال في كل شيء، فهي سمينة للغاية وبسبب ذلك تضطر لارتداء دائما عباءة فضفاضة سوداء و عيناها

صغيرتان بينما ميرال ذات عينين واسعتين وثيابها لا تستطيع وصفها سوى بالمذهلة و هي رشيقة وتبدو في غاية الرقي و .. قطع عليها خواطرها صوت هيفاء و هي تميل عليها قائلة :

- إنت خدت بالك من شريهان.. المفروض تقدم ميرال لينا مش العكس.. بس تعرفي ظلمناها لما قلنا إنها مش حتيجي .!

ردت وفاء بضيق :

- تلاقيها جت بالغلط، بصي شريهان فرحانة بيها إزاي !..دي مقاليتش ولا كلمة وهي بتهزقنا قدامها.. و بعدين شوفي ميرال هانم شايفة نفسها إزاي علينا و عليها ... بصراحة أنا شايفة أنها شرشوحة..هم كده المصريين .

عقدت هيفاء حاجبيها و قالت :

- لأ بقى ! المصريين مش كلهم نسخة عنها.

لم ترد وفاء بل زفرت في ضيق، فهي تعلم أن هيفاء تحب المصريين وستدافع عنهم، و ستتعصب لهم كما قد تتعصب لأهل بلدها ووفاء ليست على استعداد لتدخل في مثل هذه المناقشة التي تعرف سلفا بأنها " حتقلب بخناقة " وانغمست في أفكار سوداوية و هي تصفق للوسي و فيفي عبده و تقارن نفسها بهما أيضا .. إن جميع الحاضرات بدون لها في تلك الليلة أجمل و أفضل منها بمراحل، لم تشعر بالدونية من قبل و لكنها في تلك

الليلة كانت تشعر بأنها أقل من الجميع وهذا ما ظل يشغل بالها طوال الحفلة.

* * *

على حين كانت فيفي ولوسي تبدعان في رقصاتهما في محاولة لإغاظة ميرال. و لتبرزا لها مواهبهما، كانت هي ترمقهما باستعلاء، بينما سرحت بفكرها بعيدا.
في تلك اللحظات اكتنفها حزن شديد، و عندما تكون ميرال حزينة تصبح في أحسن الأحوال بالنسبة للآخرين وتعاملها معهم، فهي عندما تحزن تغدو هادئة إلى حد ما، و المشادة الكلامية التي حدثت بينها و بين منال و دعاء كان من الممكن أن تصل إلى مشادة باليدين والقدمين لولا حزنها الشديد، و حضورها إلى حفلة شريهان أيضا كان بسبب حزنها فهي في واقع الأمر كانت قد عزمت على أن "تطنش" شريهان، لكن بعد ما حدث بينها وبين حسام ما حث، و بعد أن مشت طوال الطريق إلى البيت حانت منها التفاتة لشاشة الموبايل فرأت كم مرة اتصلت بها شريهان فتملكها شعور بالشفقة عليها، وقررت أن تعود إلى البيت وتتجهز كما يجب، ثم اشترت الهدية في الطريق.

o b e i k a n d l . c o m

ميرال عندما تحزن تفرح الآخرين ،و لطالما قالت لما لبنات شلة القايف ستار أن ميرال ملعونة، لا تصبح جود جيرل إلا عندما تتعرض للآلام النفسية، فهي عندما تكون سعيدة تكون باد جيرل، حينها يعلم الجميع أنها في أحسن حالاتها.

لم تكن ميرال وحدها التي تسبح في خواطرها فهيفاء كانت تفكر أيضا في موضوع المشادة الكلامية مع إغفال جانب الرقص و من يرقص أفضل المصريين أم الشوام ، فإن ما لفت انتباهها أنه لا توجد جنسية عربية لا تحمل شيئا من الحقد في داخلها للجنسية الأخرى، و أن الوقائع التاريخية التي غيرت مجرى الأمور في فترة ما لا تزال مؤثرة إلى حد الآن.. لا تزال تعيش في وجدان الشعوب حتى في دولة تحوي جميع الجنسيات العربية منها و الأعجمية كالإمارات، فإن موضوع التعايش و التأقلم و تناسي الخلافات ظاهري و في الباطن تكمن الحقائق المزعجة، فالغضب و التفرقة و اللوم و التعالي على بعض، كلها أمور موجودة بين العرب

لقد تبدّى لها في تلك الليلة إن العرب لا يغفرون لبعضهم بعضا أبدا و لو خطأ واحدا.. الفلسطينيون والمصريون ، الكويتيون و العراقيون ،اللبنانيون

و السوريون.. وغيرهم كثيرون لم يستطيعوا نسيان الخلافات بينهم ،و أخذت هيفاء تماثل بين حال هذه الدول و حال الحاضرات تلك الليلة في الحفل ... ميرال و لوسي تتعاملان مع بعض و أحيانا تجاملان بعضهما و لكن في الأعماق يبقى الحال على ما هو عليه إن لم يتحول إلى أسوأ.. إنهم يذكرون أنفسهم بهذه الخلافات،و كأنها أكبر الكبائر على حين ينسون أو يتناسون العدو الحقيقي... و لكن من هو العدو الحقيقي ؟.. الغرب أم العرب أنفسهم فأحيانا يكون المرء عدو نفسه؟

عادت هيفاء تتساءل: لماذا أنا الوحيدة البعيدة عن كل خلاف ؟ ألا لأنني لست مصرية و لا شامية و لا خليجية؟ أم أن السبب يعود إلى كون أبناء المغرب العربي بعيدين عن بؤر المشاكل و الصراعات العربية؟ وهل يكون هذا الحال سببا كافيا لوجوب أن يحملوا مشعل الإصلاح ؟...

هيفاء ترى نفسها الوحيدة هنا التي لا تملك مخزونا تاريخيا مرجعيا يدفعها للغضب و الحقد على أي جنسية عربية كانت فلا سوابق تدين العرب الآخرين في نظرها.. إنها الوحيدة بينهن ـ في ذلك الحفل ـ التي تملك نية صافية تجاه كل واحدة منهن ... إنهن متساويات في

نظرها ليس على أساس شخصي بالطبع، إنما على نطاق أوسع في رؤية حيادية نوعا ما .

لكن ما مزق هذه الفكرة لديها الآن، ذكرى تعاودها بين الحين و الآخر.. ذكرى من عصر يوم حار في بلدها ..حينها كانت تجلس لاهية بألعابها عندما أخترق سمعها صوت طلقات الرصاص.. طلقة.. طلقة.. طلقة.. أعقبها صمت أسرعت هي خلاله إلى الشرفة لتستطلع ،فلم يسعفها طول الطفلة في أن تعلو سور الشرفة فقد كانت أتذاك بنت السبع سنوات، و لم تجد كرسيا لترتقي فألصقت عينيها على شقوق زخرفية لسور شرفة بيتها.. يومها رأت بوضوح رجلين بملابس سوداء كعصابات الأفلام يصوبان بندقيتيهما إلى رجل قصير كان قد سقط على الأرض فعلا، و صرخت ابنته التي وقفت غير بعيدة ثم دوت الطلقات مرة أخرى. طلقة.. طلقة... طلقة .. طلقة.. كانت سبع طلقات اشترك فيها المجرمان ، كانت هيفاء تعدها و لم تدري لذلك سببا، وعلى حين انكمش ذلك الرجل على نفسه يصارع آ متخذا وضع الجنين يصارع آلام موته كانت ابنته تنادي الناس وتضرب الأبواب المجاورة بيدها وتستنجد بالجميع و لا من مجيب بينما هرب القاتلان بكل سهولة، ثم لمحت هيفاء و هي تحاول استيعاب المشهد فتاة ضئيلة الجسم في مثل عمرها تخرج من البيت

المجاور..تركض وتحاول أن تلمس الجسد المسجى على الأرض محتضنا دماءه و لكن أبنته منعتها وحملتها ... كانتا تبكيان معا.. عرفت هيفاء أن الضحية كان جارهم والد زميلتها في المدرسة.

هذه الحادثة مر عليها ما يقارب العشر سنوات، لكنها لا تزال واضحة في ذاكرتها كأنها حدثت بالأمس، في ذلك الزمن الذي تذكره بوضوح كان بداية اندلاع الإرهاب في الجزائر و رغم أنها ارتحلت مع عائلتها إلى مصر في بداية تلك الأحداث الدامية إلا أنها تعلم كم كانت أحداثا عصيبة بحق، قاربت الحرب الأهلية في دناءتها و قاربت الحروب الخارجية في وحشيتها .. تلك الأحداث مزقت البلاد كلها من شرقها إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها.

بعد تلك الحرب هدأت البلاد و أخذت تلملم جراحها ومنعا لعودة شبح الإرهاب تفتّقت أذهان القيادات على نوع من المصالحة الوطنية أو المسامحة بما يعني أن يتصالح الشعب مع بعضه و يسامح القانون أيضا أعضاء الجماعات الإرهابية التي قتلت و ذبحت وفجرت و أشعلت البلاد كلها، فتبدأ معهم صفحة جديدة على شرط أن يتوقفوا و لا يعودوا بأي شكل من الأشكال إلى جرائمهم السابقة و ستقوم الدولة على الجانب الآخر بالتعويض لأسر الضحايا الأبرياء ماديا..

كانت هذه هي الأفكار المطروحة لكن أغلب فئات أسر الضحايا تريد الاقتصاص ممن كانوا السبب في آلامهم إنهم يريدون معرفة أخبار حقيقية عن أحبائهم اللذين اختفوا في تلك الفترة العاصفة بسبب مجرمي وطنهم.

استنتجت هيفاء بحزن أنه إذا كان أبناء شعب واحد، و أهل وطن واحد لا يستطيعون مسامحة بعضهم بعضا فكيف يستطيع ذلك أهل بلدان مختلفة ؟!.. إذا المغرب العربي الكبير لا يختلف كثيرا عن الخليج و الشام ومصر.. وأحزنتها أفكارها فكرهتها، و كرهت الزمان الذي تعيش فيه و لعنت لعبة السياسة في سرها حتى نهاية الحفل .

* * *

في تلك الليلة كانت "ريم " تنام على فراش من الشوك فبقيت مستيقظة متقلبة لساعات يغلبها التعب أحيانا فتسترق دقائق تغمض فيها عينيها، و لكنها لا تلبث أن تفتحهما على اتساعهما، و كأنها تشعر بالفزع لمجرد خاطر النوم ، وكيف لها أن تنام بعد ما حدث معها ما لم يكن في الحسبان؟.. كيف تنام بعد أن تحطمت أحلامها ؟.. كيف تنام وقد صدمت بفقدان أكبر آمالها.

تنهدت بعمق ثم استوت جالسة تدعك وجهها بقوة كأنها تريد أن تفيق من كابوس، و حانت منها التفاتة إلى الموبايل المغلق الذي وضعته على سطح خزانتها العالية حتى لا تضعف و تقترب منه فتنزلق في منحدر محاولات التصالح معه و هو بالطبع لن يقبل.. فكيف تقبل هي ؟! .. كيف ترضى لنفسها أن تدوس على كرامتها و تعود له. إن ما فعله"عامر" معها هو الخديعة بعينها هو السفالة ذاتها..إنها تحتقره الآن كما لم تحتقر أحدا من قبل، فكل الحب الذي عايشته لسنتين قد انتهى .. أملها في أن تترك أسرتها نهائيا وتنتقل بعيدا عنها و عن متابعتا المستمرة لها، فالحلم قد تحطم وتناثرت أجزاؤه كشظايا المرآة المكسورة .

قامت إلى الباب فأوصدته و أنارت أضواء الغرفة ثم وقفت أمام مرآتها ...فتاة بيضاء كالحليب بشعر لامع أسود حالك تقصه دائما فيبدو وجهها تام الاستدارة .. عيناها سوداوان و جسدها الممتليء مع طولها أنسب ما يكون لإخفاء وزنها الزائد.. إنها هي ريم ولا أحد غيرها .

ضغطت وجنتيها بهدوء وتأملت جسدها من أسفل ذقنها إلى أخمص قدميها، أنزلت كتف قميص نومها الأبيض، و تأملت العلامات التي تركتها شفتيه وأسنانه..علامات كانت حمراء في البداية ثم أصبحت

بنفسجية و في طريقها لتبدو زرقاء كالإصابات العنيفة التي قد تتعرض لها من طاولة أو حائط..ابتسمت بمرارة و هي تشبّه عامر بالحائط، ثم رفعت يدها و مسدت رقبتها قليلا و هي تتذكر حين كان يقبلها و ينتقل من شفتيها إلى كتفيها و ساعديها ... لم يقترب يوما من رقبتها خوفا من أن تظهر علامات المصات في مكان مكشوف، كذاك و تذكرت بأسى عندما كان يقول متظاهرا بالذكاء وبخوفه عليها:

- حياتي ، لو تدرين كم أتمنى أن أقبل رقبتك و لكني أخاف أن يرى أحد العلامات.. أنت تعلمين كم أخاف عليك و على سمعتك !.

و يختم كلامه بضحكات كانت تشاركه فيها في الأيام الخوالي بينما اليوم تذكرها فتدمع عيناها و يدوي صوته كريها، مقيتا، حادا في ذاكرتها .. اليوم تسمع ذلك الصوت بأذن الخيال فتشعر بها تسخر منها و من سذاجتها...وعادت تبتسم ساخرة من نفسها، وهي تذكر ردها عليه حين قالت باستحياء :

- ستحصل على أكثر من رقبتي.. بعد أن نتزوج ، حينها لن نخاف أحدا.

كانت ضحكاته تخفت حينها.. كيف لم تنتبه لذلك؟!.. كيف عميت؟، كيف لم تبصر نيته الواضحة في

خداعها؟.. إنه لم يكن ينوي الزواج بها أبدا.. لكنه وعدها!

صرخت في وجه الحقيقة القاسية بينما انحدرت دمعة على خدها.. أرادت وبشدة أن تبكي و تسكب دموعها علها ترتاح و لو قليلا لكن عيناها أفرغتا ما لديهما منذ ساعات بعدما كشف لها عامر عن حقيقته.

ضحكت بمرارة وهي ترثي نفسها قائلة:

- لم يبق لدي حتى الدموع لأذرفها .. لقد أخذ مني كل شيء .. أيامي وأوقاتي التي قضيتها معه وحده ... و أحلامي التي عقدتها عليه ..أحضاني و قبلاتي التي منحتها له وحده .. حتى دموعي أخذها.

تأملت نفسها مليا.. تبدو الآن منكسرة و لكنها نجحت في إخفاء ذلك عنه فبعد أن جاء يخبرها بأنه سيتزوج من فتاة لا يعرفها اختارتها أمه.. و أنه يحبها هي و لا أحد غيرها ،صدمت في البداية و لم تستطع أن تنطق بكلمة واحدة ثم ضحكت و هي تظنه يمازحها، و لكنها بعد أن تبينت جدية حديثه لم تستطع تمالك أعصابها أكثر، و لبثت لثواني تستوعب فيها ما قاله، فشتمته بأقذر شتائم أسعفها بها لسانها ، حينها حاول تهدئتها، وهو يطمئنها قائلا :

- لا تخافي .. سأتزوجها من أجل عائلتي فقط و ستكون بلا قيمة بالنسبة لي ، وأعدك بأني سأتزوجك بعدها، و

سنعيش معا وسأهملها تماما، وستكون بعدها غير موجودة بالنسبة لنا .. بل سأهجرها بعد أن أتزوجك، صدقيني .

صرخت فيه:

- لماذا؟! .. لماذا يجب أن تتزوج تلك الفتاة ..إنك لست شابا صغيرا يعتمد على أهله ، أنت رجل يعيل نفسه، و لا يمكن لك أن تقنعني بأنك مغلوب على أمرك و إلا فما لذي تركته للحريم ؟

عند هذه الكلمة كان عامر قد وصل حده من التحمل فصرخ بها:

- أنت عراقية.!

اتسعت عيناها في ذهول.. عراقية... نعم هي عراقية وهو يعرف ذلك منذ أول يوم تقابلا فيه و هي لم تخدعه يوما..لم تدع جنسية أخرى غير جنسيتها ثم أن عائلتيهما صديقتان .. نعم عائلتها العراقية و عائلته الإماراتية صديقتين أمها وأمه من أقرب الصديقات، ووالده ووالدها يتقابلان يوميا.. و الزيارات المتبادلة بين أهله و أهلها و الهدايا المتبادلة بين عائلتيهما..كل هذا و يقول لها عراقية ! .. أولم يكن يعلم !.. أم اختلط عليه الأمر و ظنها من أبناء جلدته!.

و استطرد عامر وهو يحك خده في توتر ظاهر، قائلا :

- افهميني يا ريم أنا لا اقصد إيذاءك أو جرح مشاعرك بأي شكل من الأشكال و لكن والدتي لن ترضى بأن أتزوج إلا بمواطنة، وإذا أصررت على عكس ذلك فستحدث لنا مشاكل جمة و سنخسر بعضنا في النهاية .

لم يتمكن عامر من إنهاء كلامه، فريم لم تشعر بنفسها إلا و قد طارت يدها في الهواء لتصفعه بأقصى قوتها، ثم لكمته وركلته بعد أن قلبت الطاولة التي كانت بينهما عليه بكل ما علاها و هي تسبّه وتلعنه .

طبعا كانت فضيحة ما بعدها فضيحة في الكافيه الراقي الذي جلسا فيه، ولكنها في تلك اللحظات لم تهتم للأمر بتاتا، ولو رآها العالم أجمع في تلك الحالة لما اهتمت، ثم صرخت به تحت أنظار و سمع الجميع :

- ابن الكلب ! سترى ما سأفعله بك، سأفضحك أمام الجميع و سأخبر عروسك المستقبلية عن كل ماضيك القذر الذي تغاضيت عنه أنا، وسنرى هل ستتغاضى هي عنه أيضا.. فإذا فعلت فاعلم أنكما أنت وهي تستحقان بعض..يا"أنذال"!.

ثم بصقت عليه و انطلقت تركض لا تلوي على شيء بينما تكوم عامر على الأرض، و قد أخرسته و أقعدته المفاجأة، فما فعلته هو آخر ما كان يتوقعه من ريم الرقيقة و قام مبعثر الثياب و الكرامة يتعثر في أقدامه وهو يميز غيظا مما أصابه أمام الملأ .

عادت ريم من ذكرياتها لتلقي بنفسها على السرير وهي تفكر في أصلها كعراقية و حياتها في الإمارات، لقد ولدت فيها و عاشت حياتها بالكامل بين دول الخليج.. لم تذهب إلى العراق يوما و هي في واقع الأمر عراقية بالاسم فقط، فهي تلبس العباءات كالإماراتيات تماما و تتكلم مثلهن و تطمح لما تطمح له أي فتاة إماراتية، تريد الزواج بفتى الأحلام و أن تبني أسرتها الخاصة.. أما عن هويتها فهي نفسها لا تعرف .. لم تكن تفكر بالعراق قبل الحرب الأمريكية عليه، حينها فقط شعرت بالأسف لأجل وطنها.. حينها فقط فكرت فيه، ولكن من بعيد كما قد يفعل أي مشاهد عربي تجاه ما يرى من أحداث في تلك الأرض العربية الغالية.. هكذا حدثت نفسها في تلك الليلة.. نعم إن وطنها غال عليها لكنه لم يكن يوما مؤثرا فيها إلى هذا الحد.. ثم يأتي عامر و يقول أن كونها عراقية سبب كاف لما سيفعله.. ولكنها لم تكن عراقية يوما، فلماذا يحدث معها كل ذلك إذن ؟!

لكنها عادت تخاطب نفسها قائلة :

- إن الخطأ ليس في كوني عراقية أو هندية.. إن الخطأ في هذا المجتمع وتركيبته التي بالتأكيد ستقبل امرأة أمريكية و لكن من المستحيل أن تقبل عراقية.

لقد تبخرت وعود عامر لها في لحظة عندما عرضت عليه أمه فكرة الزواج فلم يخبرها بمن يريد بل تركها تقوده من يده كطفل صغير ليفعل ما تريده بحياته.

مالت ريم على جانبها الأيسر و أطبقت عينيها محولة تناسي ما حدث للحظات حتى تتمكن من النوم، لكن بلا فائدة فكل الخطط التي وضعتها مرت أمامها كقصة رومانسية تراجيدية.. ظنت نفسها أنها تبعد عن السعادة خطوة واحدة و لكنها في ليلتها تلك أدركت أنها و خلال كل ما حدث لم تخط خطوة واحدة نحو السعادة، وأن أمامها آلاف الخطوات لتقطعها.. هكذا فكرت.. وهكذا قررت أيضا.

ريم ستبلغ بعد أيام العشرين و يفترض أن يكون هذا العمر من أفضل سنوات حياتها، فكما يقال من الثامنة عشرة إلى العشرين تكون أحلى أيام البنات، و لما كانت قد فكرت في وقت سابق بأنها ستقضي تلك الأوقات الحلوة وما سيأتي بعدها مع عامر وقد تركها لأنها عراقية، فقد قررت أن تذهب للدراسة في العراق، وستتعرف على ذلك الوطن أكثر و ستحول كل حبها إليه و لن يهمها ما إذا كان الوضع فيه خطر على حياتها، وإذا لم يوافق أهلها فلن تستسلم لهم هذه المرة وستقاوم وتصر إذا رفضوا طلبها كما كانت ستفعل إذا رفضوا زواجها من عامر، فليست عائلة عامر وحدها

التي يمكن أن ترفضها، فعائلتها أيضا قد ترفضه لكن لأسباب أخرى غير متعلقة بجنسيته..هكذا حاولت إقناع نفسها بعناد.

قامت لتبحث في درج خزانتها عن شريط لأي مطرب عراقي حتى التقطت يدها شريطا لكاظم الساهر، فوضعته في المسجل برقة كأنها تضع طفلا في مهده، وخفضت معيار الصوت، ثم ضغطت زر التشغيل و أطفأت نور الغرفة و استلقت تحلم بالعراق و بما سيحدث لها هناك و من يعلم قد تجد الحب هناك أيضا، و في أسوأ الأحوال ستكون على الأقل قد تخلصت من أسرتها و لو قليلا وتقاذفتها الخواطر و الآلام على حين كان صوت كاظم يتسرب إلى كيانها، و هو يقول:

صبرا يا عمري لن تري دمعا يسيل ..
سترين معنى الصبر في جسد نحيل ..
فتفرجي هذا المسا رقصي الجميل..

* * *

obeikandl.com

نزل سيف من سيارته مندفعا بعد أن صفق بابها، وتأمل ساعته بينما كان يعدل ياقة قميصه بضيق و هو يتساءل في سره بملل :

ـ ما الذي يجعل جدي يستدعيني في أيام إجازتي؟! .. ذلك العجوز لم يكلف نفسه حتى عناء الاتصال بي بل كلف أحد مستخدميه إنه حتى لم يدعني إلى قصره بل أمر أن يلقاني في مكتبه ... هل يريدني في أمر ما في العمل؟، لا .. لا أعتقد .. لقد راجع كل ما فعلته أثناء وبعد انتهائي من عملي .. كأنه يخاف أن أسرقه!. لقد ضقت ذرعا به!.. إن علاقتي به لا تتعدى علاقة المدير بمستخدمه فإذا كان يستدعيني لشيء شخصي فسأترك هذا العمل حالا.

كانت هذه التساؤلات و أكثر تقتحم تفكيره و هو يشعر بأنه لا يجب أن يدخل تلك الشركة، رفع بنطلونه قليلا وهو يفكر بأن وزنه قد نقص كيلو أو اثنين ثم تذكر أن شركة جده كمعظم الشركات في الدولة تشترط على العاملين من الإماراتيين فيها الدخول بالملابس التقليدية و هذه الملابس تشمل جلبابا أبيض و غطاء الرأس " الشماغ "، أما باقي العاملين في الشركة فيجب عليهم ارتداء البدلة، و ابتسم ساخرا وهو يتأمل نفسه في زجاج السيارات المصطفة ..هو لم يلتزم بأي من الهيأتين، فقد كان يرتدي دائما ملابس تناسب سنه ولم

يكن يرتدي ملابسه التقليدية إلا في المناسبات.. تذكر والدته حين كانت تمتدح أناقته دائما حينها أراد الانتهاء بسرعة من تلك الزيارة المفروضة عليه لذلك الجد الذي لا يحمل له سوى مشاعر البغض.. لن يستطيع أن ينسى يوما ما فعله هو ووالده مع أمه و معه .

حين انفتح الباب الزجاجي العاكس للمدخل اندفع بقوة فاصطدم بشخص كان يخرج في نفس اللحظة و تناثرت أوراق كثيرة على أرضية المدخل.. رجع سيف إلى الوراء قليلا ورفع خصلات شعره الناعم عن عينيه فرأى ما أوقفه مكانه ثابتا.. رأى فتاة شابة صغيرة الحجم سقطت "شيلتها" عندما اصطدم بها و استقرت على كتفيها كاشفة عن شعر أسود جمعته في كعكة بينما تركت خصلتين منه تتدليان من جانب رأسها، وحين رفعت رأسها إليه بينما كانت تجمع أوراقها أخذ يتفحصها بجرأة.. يتفحص تلك الملامح الدقيقة الناعمة و تلك العينين المائلتين قليلا و قد رسمتها بخط أسود كما.. كما كانت تفعل والدته .

رمته بنظرة غاضبة وهي تلتقط آخر ما سقط منها، حينها انتبه سيف إلى أنه سرح فيها طويلا و لم يساعدها في جمع أوراقها كما يحدث في الأفلام، ثم لمح حقيبتها بجانبها على الأرض و قد وضعتها لحين تنتهي

من جمع ما سقط منها فأسرع و حمل تلك الحقيبة، ثم وقف أمامها مبتسما، و قال :

- آسف .. لم أنتبه.. تفضلي .

مد لها الحقيبة فأخذتها بهدوء و رفعت له حاجبها الأيسر كأنها تستنكره وقالت بصوت بارد :

- صار خير.. شكرا .

ثم أكملت طريقها خارجة أما سيف فلم يكمل طريقه داخلا و لم يستطع أن يبعد ناظريه عنها.. إنه يفاجيء نفسه، فلم تكن أي فتاة إماراتية لتثير اهتمامه فلماذا تكون هذه ؟! .. تأملها و هي تمشي بهدوء.. لو كان يؤمن بتناسخ الأرواح لقال أن روح أمه قد حلت في مشيتها و طريقة تصفيف شعرها و رسم عينيها، و لم يصدق عينيه حينما استدارت برأسها و طالعته ثم ابتسمت له نصف ابتسامة بالركن الأيسر من فمها مثلما كانت تبتسم أمه.

عند هذا الحد كان قد حزم أمره، سيلحق بها ، ما يحدث اليوم غير معقول، فهو لم يكن يوما من النوع الذي يلاحق الفتيات و بالذات الخليجيات منهن، أما في تلك اللحظة فقد ضرب بكل هذا عرض الحائط و لحق بها متجاهلا صوت زميله في المكتب الذي كان يناديه قائلا :

- إلى أين ستذهب ..جدك ينتظرك منذ ساعة !

obeikandl.com

فقال سيف من بين أسنانه:
- فليذهب إلى الجحيم !.
ثم انصرف بكل تفكيره نحوها ، لم يكن يعرف ما سيقوله لها أو ما الذي يريده منها، كل ما شغل تفكيره في تلك اللحظة هو سر ذلك الشبه الغريب بينها و بين أمه .. شبه لا يعرف كيف يصفه فهي لا تشبهها في ملامحها إنما تملك مظهرا خارجيا يعطيها نفس البعد الذي كان لأمه، ثم إنها تتصرف مثلها، تبتسم و تمشي مثلها، و كلما اقترب سيف منها كلما زاد إصراره على أن يعرفها أكثر و لما كان واثقا بنفسه كل الثقة لم يحضر كلاما و لم يتنحنح ليكلمها إنما لحق بها حتى أصبح بجانبها و قال مباشرة :
- هل معك سيارة ؟
نظرت له باندهاش و قالت :
- لا !..
فقال بملامح جادة لم يحاول تغييرها :
- تسمحيلي أوصلك ؟
صمتت قليلا و رفعت حاجبها الأيسر و ابتسمت بركن فمها و همت أن تقول شيئا ما، و لكنها حين رأته يبتسم بنفس طريقتها قالت كمن غيّر رأيه في شيء :
- حسنا... البيت الذي سأذهب إليه في شارع حمدان .

ابتسم سيف و أشار إلى مكان سيارته و مشى يصحبها إليها، و هو في شدة الاستغراب من موافقتها.. نعم كان يريدها و بشدة أن توافق لكنه لم يتوقع الأمر بهذه السهولة، فالإماراتيات يخفن من القيل و القال و أن تركب مع شاب لا تعرفه على مرأى من الجميع أمر أذهله و إن أعجب بجرأتها وثقتها بنفسها، فهي لم ترتبك و لم تخجل أو حتى تدعي الخجل بل تصرفت على طبيعتها، وهذا ما زاد من اهتمامه بها أكثر.

فتح لها الباب كجنتلمان و أغلقه خلفها بهدوء، ثم أخذ مكانه و قال محاولا أن يزيح التوتر الذي بدا يزحف عليه :

- لم نتعرف بعد... أعتقد أنك لا تعملين في الشركة فأنا لم أرك من قبل .

قالت :

- لا أعمل .. إنما أنا أتدرب لديكم على أعمال المحاسبة.

قال بلهجة العارفين :

- متدربة إذا .. طالبة أم خريجة تبحث عن عمل .

قالت و هي تبتسم :

- لا أزال طالبة .

سألها :

في أي سنة دراسية؟.. وأي تخصص؟

ردت:

Ookaboo.com

- سنة ثانية تخصص بيزنس .
قال بتشكك :
- كيف تتدربين في الصيف و الجامعات في إجازة.
قالت :
- أنا أدرس في الفصل الصيفي أيضا .. اختصارا للزمن الذي سأقضيه في الجامعة .
ساد صمت ثقيل لم يعد يسمع فيه إلا صوت تنفسهما، ثم قطعه سيف ضاحكا :
- لا نزال لم نتعرّف عن بعضنا ... أنا سيف عبد الرحيم .
قالت بابتسامة واسعة :
- حنان القحـ ......

ثم انسحبت ابتسامتها في لحظة و صمتت و عضت على شفتيها كمن زل لسانه و فضح سره ، تنّبه سيف لما ألم بها و ازدادت دهشته منها .. فهل خافت أن تخبره باسمها ؟.. لقد ركبت معه السيارة دون خوف و تحدثت معه بطلاقة ثم بقي اسمها من كل هذا سرا !.. أم إنها ابنة أحدهم من المعروفين أو أصحاب النفوذ، كانت هذه التساؤلات قد دارت في ذهنه في جزء من الثانية على حين استطردت الفتاة قائلة :
- حنان القحطاني..

حينها رد سيف غير مصدق :
- تشرفنا يا حنان القحطاني.
فأشاحت بوجهها إلى النافذة، و هي تقول :
- الشرف لي .

ثم سرحت بفكرها بعيدا.. لقد كدت أن أخطيء مع هذا الشاب الصيني ! .. هكذا حدثت نفسها.. إنه الشاب الوحيد تقريبا الذي تقرب منها و أعجب بها دون أن يكون قد سمع عنها .. فهي، و بلا فخر، أكبر "العابية " في الشرق الأوسط من خور فكان.. إنها من طراز""""الباد جيرل" ليس هذا فقط بل " فيري باد جيرل " على الطريقة الخليجية..هي مثال الفتاة الأسوأ التي يخاف الأهالي أن تشبهها بناتهم و لو من بعيد.. إنها الصورة المجسمة للفضيحة بالنسبة للآباء والجريئة المغامرة في نظر المراهقات، و الحقيرة السافلة بالنسبة لبنات الجامعات ، اللواتي يغرن منها في حقيقة الأمر.

تلقب بحنان " القحـ... "أ و "العاهرة " اسمها ذاك لفظة بذيئة تتحدى بلاغة اللغات في أن تجد مثل هذهالكلمة في معناها الذي جمع معنى الساقطة والسافلة و الحقيرة و فتاة الليل و الغانية و"الرقاصة" و" الصايعة" و "الشرشوحة" و غيرها من الأسماء

Oueikarane.com

والأوصاف في لفظة واحدة توحي بمنتهى الاشمئزاز والإهانة كأنها تخرج من صميم القذارة.

حنان في نظر الجميع تقريبا في مجتمع كالمجتمع الإماراتي كارثة بشرية تمشي على قدمين صغيرتين، بل يرونها أحيانا كأنبوب نفايات مشعة فيخاف الأهالي أن تقترب بناتهم منها أو من معارفها و لو من بعيد، وليس فقط البنات فالعائلات تخاف على أولادها االذكورأيضا منها.. فحنان تملك جاذبية خارقة كمغناطيس كبير يجذب الشباب إليها دون مجهود يذكر ،وهبها الله قدرة التأثير فلا تحل بمكان إلا و حل سحرها معها .. ذلك السحر الذي لم تستعمله سوى في اللعب بالشباب و على الشباب و مع الشباب و غيرها من المغامرات الكثيرة التي لا تعرف متى تبدأ أو متى تنتهي حتى حصلت على لقب "حنان العاهرة " عن جدارة .

في واقع الأمر حنان لم تكن على هذه الدرجة من السوء، فبالتأكيد هناك من هي أسوأ أخلاقا و طباعا منها و لكنها – حنان – كانت تفعل كل فعلة و أختها علانية، بلا خشية أو حياء ، و حين كانت زميلات درب " الصياعة " يقلن لها ناصحات أن تغطي على مغامراتها و صولاتها و جولاتها مستشهدين – ما شاء الله عليهن – بقول الرسول الكريم " إذا بليتم فاستتروا" كانت ترد عليهم ساخرة :

- و من قال لكم أني مبليّة !.

ميزة حنان هي صراحتها التي يسميها البعض وقاحة، بينما هي لم تكن تقصد الوقاحة أو الصراحة فعلا بل هي مقتنعة بأفعالها فإذا سألتها واحدة من القريبات منها قليلا: عما إذا كانت قد نامت في الفندق الفلاني مع الشخص الفلاني ، فإذا كانت قد فعلت ستقول نعم وبدون أدنى خجل أو تردد، و هي لا تعبأ برد فعل أي كان على اعترافاتها و أقوالها الصريحة و لا تهتم بما يقال عنها ،و حتى لقب حنان العاهرة لم يغضبها أويحزنها بل تبنته ليصبح " النيك نيم " الخاص بها فتدخل غرف المحادثات الإلكترونية"الشات"بهذا اللقب وتضعه على دفاترها الخاصة و على حاسوبها الشخصي بل حتى إنها تعتز بهذا اللقب و قد تغضب لو أطلق على غيرها ، هي على استعداد لأن تقول في وجه الجميع :
- أنا عاهرة... هذه هي أنا ... بعضكم قد يحبني و الآخر قد يكرهني.. لكني لا أعبأ بأي منكم .

* * *

تملكتها الحيرة بينما هي تلمح واجهات المحال وأشجار الطريق من نافذة سيارة سيف..الحيرة من خوفها من أن يعرف حقيقتها التي تجاهر بها.. ربما يكون قد سمع عنها فأولاد الحلال و بناتهم لم يتركوا خبرا و لا حكاية.حتى التي ألفوها بأنفسهم، إلا ونشروها على الملأ و تناقلوها و نقلوها و لا السي ان ان ، و البلد صغير كما يقال و يصعب ألا يكون شاب مثله على غير إطلاع بهذه الحكاوي و إلا لما تجرأ ودعاها لتركب معه فلابد أنه كان يعلم أنه لا فتاة إماراتية غير "حنان العاهرة " ستقبل بالركوب معه أمام الجميع

عادت لتستبعد فكرة أن يكون قد سمع بها من قبل فهي كخبيرة تعرف الشاب من عينيه و لا أحد يستطيع الكذب عليها أو خداعها..إنها سيدة المكائد بلا منافس، فهي كالعنكبوت تقع جميع الحشرات في شباكه، و لكنه من المستحيل أن يقع هو فيها ليس فقط لأنه يملك مادة دهنية في أرجله تمكنه من التنقل دون التصاق بل الحقيقة التي نسيها العلماء أبسط من ذلك .. لأنه هو صانع الشبكة .

إذا كانت حنان لا تعبأ بأن يعرف الجميع من هي فلماذا صححت جملتها إذن حينما أوشكت أن تخبره بـ"النيك نيم" الذي أصبحت تعتبره اسمها؟..لماذا

توقفت في آخر لحظة، وأخفت آخر حرفين من اسمها.. أم هل هي المتعة التي يشعر بها الشخص المشهور الذي يجد شخصا لا يعرفه فيتمكن أخيرا من أن يرى كيف سيعامله الناس إن لم يكن معروفا ؟ أو كالملك الذي يخرج متنكرا ليرى الناس على حقيقتهم ؟.. ولكنها في النهاية ليست أيا مما سبق و أن شبهتهم في شيء فقد اختلفت عنهم في أشياء، فشهرة عن شهرة" تفرق " و لكنها لا تخجل من نفسها و لا من حقيقتها.. إذا فلماذا؟!

تساءلت و قد بدأت تلك الحيرة تزعجها فهي لم يسبق و شعرت بهذا الشعور .. كانت كل الدروب أمامها واضحة و لكل سؤال إجابته ،إلا أن هذا السؤال الذي لم تجد له جوابا أصبح يزعجها، كنقاط ماء تتساقط تباعا بينما تحاول النوم فلا تستطيع حينها فعل شيء ، فلا هي نائمة و لاهي مستيقظة .

شعرت كأنها في طائرة و ليست في سيارة .. سيف كان يقود بطريقة أشعرتها بالثبات و الراحة فلا تموجات و لا تخبط في خط سيره ، ثم حانت منها التفاتة إلى يديه على المقود و انتقلت بنظرها إلى ساعديه ثم صعودا إلى كتفيه و إلى وجهه ...إنها تجده جميلا ، ضحكت لهذا الخاطر وودت حينها لو كان

يعرفها لأخبرته بأنه قد حصل على إعجاب حنان " العاهرة " ، لطار من الفرح بالتأكيد فليس من السهل أن يلقى شاب صيني مثله إعجاب فتاة يتصارع أجمل الشباب في البلاد من أجلها بينما هي تعابثهم لا أكثر .

تأملته أكثر و بدقة أكبر كأنها تتفحص حلية ذهبية ... يبدو مميزا ، أنفه الصغير أعجبها و عيناه رغم صغرهما جميلتان، و رموشه تبدو أثقل حتى من رموشها، التي تستعمل لها أحدث أنواع الماسكارا وحواجبه طويلة منتظمة كأنه فرغ لتوه من نتف الزائد فيها، ثم ذلك الشعر الأسود اللامع الذي لم تر في حياتها أنعم منه.. إنه حتى يبدو أنعم من شعرها ثم عادت لتتأمل شفتيه و خدوده حينها لم تستطع أن تفكر سوى في تقبيله و ما إن طرأت على بالها تلك الفكرة حتى ابتسمت بثقة و شعر سيف بها ، فالتفت و رآها تبتسم له فبادلها بابتسامة أكبر كاشفا عن أسنانه البيضاء المصفوفة فازداد إعجابها بثغره ، و قالت في سرها :

- إذا أردت أخذه إلى السرير فلن يأخذ مني ثانية لأحصل عليه و لكني سأنتظر لأرى مالذي سيحدث؟.. سأترك لهذا المحظوظ الفرصة التي لم أعطها لأحد .. لأتركه هو يعرض لي ما لديه من أجلي .

ثم خرجت عن صمتها و بادرته بالسؤال :

- حضرتك.. والدتك صينية ؟.

اتسعت عيناه بدهشة فلأول مرة يعرف أحدهم جنسية والدته الصحيحة ، فدائما كانوا يسألونه إذا ما كانت فلبينية أو يابانية، و كان يشعر حينها بالإهانة مبطنة في سؤالهم، أما حنان فقد قالتها بكل نعومة و بدت على طبيعتها فلا سخرية و لا كبر في حديثها، لقد شعر بها تضرب على وتره الحساس كمن يضرب على أوتار قيثارة، ولم يدر كيف خطر هذا على باله و ازداد إصرارا على إصرار في ان يتعرف على تلك الفتاة أكثر، و قال بسعادة و فخر :

- نعم .

قالت :

- إذا في هذه الحالة.. هل تستطيع الكلام بالصينية ؟

فرد بثقة :

- بالتأكيد !

و بدأ من فوره يتحدث الصينية بطلاقة و هو ينظر لها حينا و إلى الطريق أمامه حينا آخر.. كانت هي تستمع بتركيز محاولة أن تكشف صدقه من كذبه وما إن أنهى كلامه حتى انفجرت ضاحكة وقالت بمودة :

- روعة !... لم أصدق في البداية و لكن ما الذي قلته بالضبط .

قال متذاكيا و هو يبتسم :

- كنت أقول.. سأخبرك بذلك فيما بعد ، لقد اقتربنا من منزلك .

قالت و قد فهمت ما يريد :

- في هذه الحالة .. سنحتاج إلى تبادل أرقامنا الهاتفية.

* * *

obeikandl.com

(٤)

الفراشة السوداء

بدأ العام الدراسي و فتحت الجامعة أبوابها استعدادا لاستقبال طالبات مستجدات و أخريات عدن لاستكمال دراستهن، وأيضا لتوديع سيئات الحظ أو المشاغبات اللائي طردتهن إدارة الجامعة، و في حال كانت الطالبة مفصولة مثلا في نهاية العام فإنها لن تعلم بذلك إلا في بداية العام الجديد، بالإضافة إلى أن تلك الإدارة تتعمد إشاعة أسماء المفصولات من طالباتها إذا كان قد تم ضبطهن في "عمل غيرأخلاقي"، و بالطبع يكيف هذا العمل حسب قناعة المسؤولين، وهوهنا لا يعنى به مثلا الغش أو السرقة، بل يتلخص فقط - و في حالة البنات

obeikandl.com

بالذات ـ في أي علاقة كانت بينهن و بين الشباب خلال مدة إقامتهن في سكنات الجامعات ، خصوصا المقيمات اللواتي يأتين من بلدان أخرى كالسعودية و الكويت والبحرين و عمان و تونس و حتى إيران وبريطانيا، حيث كن يوضعن تحت الإقامة الجبرية كأنهن في سجن ، والأمر لا يختلف كثيرا بالنسبة للقادمات من الإمارات الأخرى، فالقاسم المشترك في النهاية هو أن الحظ رماهن في سكنات الجامعة وبالتالي تطبق عليهن نفس القوانين، منها مثلا: ممنوع الخروج من السكن إلا لكليات الجامعة، التي هي لصيقة بها، ثم من بعد هذه السكنات يوجد سور عال لا يوضع حتى في أخطر السجون مع بوابة حديدية كبيرة مشكلين معا صرحا منيعا لا يخترق .

في ذلك الحي الجامعي، كما يطلق عليه في بعض الدول العربية أو في المدينة الجامعية وكما تسمّيه دول أخرى أو سكن الطالبات كما يطلق عليه في الإمارات ودول الخليج، يسمح للطالبة بالخروج لمرة واحدة في الأسبوع بعيدا عن البوابات الحديدية و الأسوار الصخرية لكن بشرط أن يأتي و لي أمرها أو أقاربها لاصطحابها، كما قد يسمح لها بأن تخرج مع صديقة يوافق عليها الأهل والإدارة من الناحية " الأخلاقية"،

ثم يأتي بعد هذا قانون الحماية من الأشباح والجن، على حد تفسير الإدارة السكنية، لمنع الطالبات من الخروج إلى حديقة السكن، والتي تحاط أيضا بسور عال طوله ثلاثة أمتار و ذلك من بعد الساعة الثانية عشرة، والغرض من هذا القانون هو الخوف على بناتهن العزيزات من الجن الذي يخرج ليلا ! ، بينما في الحقيقية الخوف نابع مما قد تفعله الجنيات اللواتي قد تطرن من فوق سور السكن ليلا !.

في هذا السكن الجامعي تمنع إقامة الحفلات إلا بإذن من مديرة السكن و هذه الأخيرة هي امرأة شمطاء ، سوداء كالليل، منتفخة كالبرميل بعينين صفراوين دائما كمدمني المخدرات، و طباع سيئة كالضباع .. حينما ترتدي عباءتها السوداء و تغطي رأسها الضخم بمنديل أسود أيضا، تبدو كحزمة سوداء كبيرة لا شكل لها سوى أنها منفرة للغاية، ولأنها عبارة عن سواد في سواد ـ سوداء القلب و القالب كما يقال ـ فهي تحب أن تنشر ذلك السواد على الجميع و تعطي منه للصغير والكبير فلا تحرم أحدا، ولنا أن نتخيل شعور هذه النقطة السوداء في قلب الجامعة حين ترى الفتيات الشابات مرحات فرحات بحياتهن كالفراشات.. يأكل الحقد والحسد قلبها و كأن بينها وبينهن ثأرا قديما و كأنهن

مسؤولات عن سوء سحنتها و طباعها، و كأن كل واحدة منهن تذكرها بخيانة زوجها الدائمة لها بعد أن أضناه عذاب رؤيتها كل يوم على تلك الهيئة والنفسية المظلمة.. ظلام ليل ملأته الغيوم السوداء فلا نور قمر ولا لمعان نجوم ، لذلك أصبح يشعر أن حياته مع سيادة المديرة "هيام الرصافي" هي ليل دائم.

لم يكن زوجها المسكين حين تزوجها يعرف بأنها على تلك الحالة ، فزواجه بها زواج عائلات و زواج العائلات في الخليج- في السبعينيات- ليس كباقي الدول العربية، فهو لم ير العروس قبل زواجه منها ،و حتى أمه لم ترها بل كلم والده والدها – وكانا صديقين – ليخطب واحدة من بناته رغبة في توطيد العلاقة بينهما أكثر و لم يتوقع أحد أن تكون تلك الهيام بتلك الشناعة و البشاعة.

كان زوج هيام في شبابه وسيما تتمناه كل فتيات الفريج (القرية)، و كان مغرورا يعتقد بأنه سيتزوج بأجمل الفتيات و كثيرا ما تشدق بذلك أمام أصحابه ولكن إله العالمين شاء له غير ذلك، و صدم في ليلة العرس بوحش آدمي قد لطخ نفسه بالأصباغ ،الأحمر والأخضر و الحناء، في محاولة فاشلة تماما ليبدو من جنس النساء تقريبا، و تساءل مصعوقا:

- هل فعلا هذه المرأة المخيفة ستصبح بعد دقائق زوجي ؟ وكيف لي أن أعيش معها مدى العمر؟

هرع إلى والده يرجوه و يتوسل إليه أن يلغي فكرة الزواج نهائيا، و لكن الوالد رفض رفضا قاطعا و أرغى وأزبد خوفا على العلاقة التي تربطه بوالد هيام، والتي لم تكن علاقة صداقة فقط ، بل كانت علاقة حكمها المالقبل كل شيء ، ثم اخذ الوالد يهديء من روع ابنه، و يعده بفيلا كبيرة على حسابه الخاص ليعيش فيها وزوجته حياة سعيدة، وعندما وجده لا يزال مصرا على رأيه هدده بأنه سيتبرأ منه إلى يوم الدين " ولا هو ابنه و لا يعرفه"! إذا لم يتزوج هيام، مدعيا بأنها وإن كانت قليلة الحظ في الجمال فهي ذات خلق و دين فأذعن المسكين لأوامر والده و تزوجها على أمل أن يصلح حالها في المستقبل و يكتشف فيها شيئا جديدا يغطي على بشاعة مظهرها، و لكنه كان مخطئا للغاية، و ندم بعد فوات الأوان على إطاعته لوالده، فهي كانت أبعد ما تكون عن الخلق والدين، و أخذ سواد قلبها يظهر أكثر كأنما هي سعيدة فخورة بأفعالها الشنيعة، فهي لا تعرف إلى سجادة الصلاة موضعا وللقبلة اتجاها سواء في رمضان أو غيره من أيام السنة، و هذا من المستهجن للغاية في دول الخليج بالذات.

هيام نمامة، حقودة، حسودة ،بخيلة و تحب الكذب مثل عينيها وتكره الماء كره المرض و تتبجح بأنه يثير على جلدها حساسية، وكان ذلك الزوج المسكين يراها دائما "مبهدلة" " منكوشة " لا تهتم بمظهرها البتة، و تشخر في نومها حتى أنها لم تمر على الزوج المسكين ليلة واحدة لم تطربه فيها بسيمفونية شخيرها إلى أن زهقت روحه منها و لم يعد يطيق رؤيتها، وعندما حملت بأول أبنائه كان يسجل اسمها في هاتفه النقال بـ"أم العيال" ثم بعد أن أنجبت له ولدا يشبهها تمام الشبه كأنه " فولة وانقسمت نصين " ترك البيت لأيام يلعن حظه و حياته البائسة، و سافر لأيام نقاهة في تايلاندا و عاد وهو يسجل اسمها في محموله بـ" أمنا الغولة"!.

تأتي هيام الرصافي في بداية كل عام دراسي مكتئبة غاضبة بلا سبب يعرف، و تبدأ في ممارسة هوايتها الأزلية ألا و هي (الأذية) فتستعمل كل أسلحتها في سبيل إحالة حياة المشرفات و العاملات في مساكن الجامعة إلى جحيم لا يطاق من التأنيب والإهانة بسبب أو بدونه ، ثم وبعد أن تفرغ من هذه الواجبات اليومية و غيرها من التعقيد في المعاملات الإدارية والتخطيط لفصل إحدى المشرفات أو العاملات و استبدالها بأخرى

ممن يطعنها وينافقنها حتى تبدأ بالتجهيز لخطتها الكبيرة وهي العمل من أجل إزاحة عميدة شؤون الطالبات، لكونها هذه الأخيرة تتمتع بسلطة أقوى و بقيمة أكبرمنها ، وكلما تذكرت ذلك صبّت غضبها الدائم على الجامعة بأكملها، لتحيل حياة باقي الطالبات الجميلات - اللواتي تكرههن كرها عظيما- إلى حياة لا تطاق يعددن معها الأيام حتى تنتهي فترة بقائهن في الجامعة .

هيام الرصافي لا تكره جميع الطالبات.. هي فقط تغتم لمنظر ولحضور الطالبة إذا كانت جميلة و سعيدة مفعمة بالأمل ، و تكرهها أشد الكره و تصدر حكمها المسبق عليها ، بأنها فتاة " ألعوبان "و " مايعة " لم تجد من يربيها! .. و تذكرها في الحال باللواتي يكثر زوجها من الخروج معهن و خيانتها مع مثيلاتهن مرار و تكرارا، أما إذا كانت الطالبة ذات حظ قليل من الجمال ، ويا حبذا لو كانت ببشاعتها، و منافقة تتمسّح في سيادة المديرة هيام فإنها ستحظى بحبها ، وتعتبرها كاملة التربية و الأخلاق ، فتقف دائما إلى صفها في أي مشكلة كانت، و تدعمها كما تدعم أميركا إسرائيل وحتى لو كانت مخطئة، فهيام لا و لن ترى ذلك الخطأ أبدا طالما هي في صفها .

* * *

كان أن قررت هيام في ذلك اليوم أن تذهب لتتفقد القسم الجديد من المساكن والذي أعد لاستقبال الدفعة الجديدة، وقد أضمرت داخلها أن تبدأ في تفحص المستجدات من تلك الدفعة لترى من ستضع في قائمتها السوداء، و في نفس اللحظة التي ورد على خاطرها فكرة القائمة السوداء، رأت فتاة نحيلة جميلة جذابة ترتدي ملابس شديدة السواد و تضع عقودا معدنية و أساور و خواتم زينتها بجماجم، بينما صبغت شعرها باللون الأحمر وغطت وجهها بماكياج داكن على لون وهيئة تميّزعبدة الشياطين و القوطيين.

كانت تلك الفتاة تقف في مدخل السكن تنهي كتابة استمارة الغرفة، فاهتزت هيام طربا لرؤيتها، و لم يكن ذلك لسعادة تملكتها بوجود مثل تلك الفتاة و لكنها سعادة تشبه سعادة قط وجد فأرا مع الاختلاف طبعا، ولإعطاء الصورة حقها فلنقل إنها سعادة كلب وجد قطة ليطاردها ويحيل حياتها جحيما، ولم يثنيها عن عزمها ذلك الحزن الذي كان يغطي وجه تلك الفتاة ولا رقتها التي فشلت في إخفائها بالتظاهر بالعكس ، فبدأت هيام تبحث عن شيء فيها لتبدأ هجومها عليها،على حين

كانت هيفاء قادمة من خلفها ثم تجاوزتها و هي تقترب من تلك الفتاة ذات الشعر الأحمر و توقفت أمامها كأنها تتذكرها، ثم قالت :

- أنت كنت معي في نفس الثانوية .. صحيح ؟

فردّت الفتاة بضيق :

- صحيح.

تملكت هيفاء الدهشة من المعاملة الجافة التي عاملتها بها تلك الفتاة، ولكنها حاولت تلطيف الجو فقالت بمرح:

- اسمك ملك .. كنت في الفرع العلمي بالثانوية أليس كذلك؟

فردت الفتاة بملل :

- لا كنت في الفرع الأدبي.

قررت هيفاء أن تصمت بعد أن غضبت من ملك لطريقتها في الرد عليها واكتفت بهزة من رأسها وابتسامة اغتصبتها كنهاية للحديث بينهما وانشغلت بملء استمارتها الخاصة ببيانات الطالبة المستجدة، ولكنها تركت كل ما بيدها حين اخترق سمعها صوت حاد قائلا :

- مرحبا، مرحبا ببناتي الجديدات ..

obeikandl.com

التفت هي و ملك لتبصران ما لم يسرهما، فقد كانت هيام تعقد يديها على "كرشها" و تلوح على وجهها علامات الشر و اللؤم .. كان كلامها ساخرا كأنما قصدت لا أهلا ولا سهلا ببناتها الجديدات ، ثم أشارت إلى ملك – حيث كشفت عن بطنها – و صرخت بها :

- ما هذا الذي ترتدينه؟!!..هل هذا " تي شيرت " لك منذ كنت في الروضة.. أين ، بحق الله ، تظنين نفسك.. في الكباريه ؟!.

رمقتها ملك بكل غضب و احمر وجهها و لم تعرف كيف ترد عليها، بينما استطردت هيام سعيدة بإهانتها قائلة :

- نحن في هذه البلاد لدينا عادات وتقاليد و على من يفد إلينا أن يحترمها وليلبس ما يشاء في بلده .

عند هذه الكلمة لم تستطع ملك أن تكبح جماح غضبها فانفجرت فيها :

- لا دخل لك بملابسي !.. ثم من أنت لتكلميني هكذا ؟!.

انتفخت أوداج هيام بينما وزعت نظراتها على ملك وهيفاء و جمع من الطالبات اللواتي كن في نفس المكان و قالت بحنق :

- أنا مديرة السكن هيام الرصافي.. و لي الحق في التدخل في كل شيء يقع على أرض هذه المساكن .

أوشكت ملك أن ترد عليها لولا أن هيفاء سبقتها قائلة بسخرية :
- إذا من الأولى أن تهتمي لأمور تفيدك و تفيدنا بدلا من خلق المشاكل تفضلي بحلها!.. نحن لم نستلم غرفنا بعد و المكيفات لا تعمل في الغرف المؤقتة التي وضعتمونا فيها، كما أن الحشرات تطوف في المكان و لا يبدو أنك كلفت خاطرك حتى بمتابعة عمليات التنظيف لاستقبال الطالبات ، بالإضافة إلى أن الغسالات نصفها معطل، و...
قاطعتها هيام بغضب :
- كل شيء يأتي بأوانه .
فردت هيفاء بغضب أكبر :
- بل هذا أوانه !.. فإن لم يكن يوم دخولنا لهذا السكن أوان العيش براحة فمتى يكون ذلك ؟!!.. متى ستتذكرين و تنجزين ما عليك أولا ، فنحن لم نأت هنا لنتعرض للإهانة على يد " اللي يسوى واللي ما يسوى " .
صدمت هيام، و لبثت قليلا لا تعرف كيف ترد على هيفاء، ثم استأنفت صياحها قائلة :
- في الأساس.. ما دخلك أنت في الموضوع .
تبادلت هيفاء و ملك النظرات ثم ابتسمتا لبعض، على حين قالت ملك بلهجة طفولية :

ouarkanqi.com

- لها أن تتدخل فهي رفيقتي، كما أن ما قالته يخصنا كلنا .

بدأت الهمهمات تعلو بين الأخريات ممن شهدن الموقف، وشعرت السيدة المديرة بالعجز أمام الفتيات، وأحست بأنها ستخرج خاسرة في النهاية ، فقد كان في شخصية هيام الرصافي نقطة ضعف يلخصها المثل المصري القائل: " قالوا للفرعون إيش فرعنك قال ملقيتش حد يلمني ".. فهي تصرخ و تطيل لسانها لأبعد حد إذا رأت ضعفا أو استسلاما من الطرف الآخر، أما إذا ووجهت و رد لها كلامها كلمة بكلمة فإنها تصاب بحالة من العجز و الخوف لدرجة تفقد معها قدرتها عن الكلام، و تصبح عاجزة عن الرد كأنها أكلت سد الحنك، و ذلك لضعف شخصيتها الذي تغطي عليه بالصوت العالي ..المهم في تلك اللحظة لم تجد ما تقوله سوى " البرطمة " إلى أن أسعفها لسانها أخيرا فقالت بما جادت عليها به قريحتها :

- سنرى فيما بعد و لولا أني مشغولة لكنت ... لكان لي تصرف آخر .

خرجت هيام تجر أذيال الخيبة، حينها كانت ضحكات الفتيات تصيب سمعها كالسهام و قد حفرت اسم ملك على قائمتها السوداء، و قالت في سرها : - ملك هذه تبدو صاحبة مشاكل .. سأفتح عيني على اتساعهما في

مراقبتها، أما تلك الفتاة المحجبة التي اخذت تدافع عنها و تهاجمني فسأعرف اسمها و سترى ما سأفعله بها حتى تندم على تجرئها علي .
و ما إن أنهت حديثها مع نفسها حتى تعثرت في حجر كان بجانب درج المدخل فأطارته بقدمها بغيظ، و أخذت تلعن و هي تشعر بأن كل شيء في الدنيا ضدها.

بعد الموقف الذي كان، غيّرت ملك من لهجتها مع هيفاء و أخذت كل منهما تقترب من الأخرى بحذر، فبالنسبة لملك لم تكن ترتاح للفتيات المحجبات وبحكم تحررها الزائد عن حده فقد كانت تظن أن المحجبات يزدرين من مثلها و يحكمن عليها بسبب ملابسها المتحررة بأنها سيئة الأخلاق، و هذا نابع بالنسبة لها من تجارب سابقة، أما بالنسبة لهيفاء فقد كان حذرها خوفا من أن تعود ملك لمعاملتها بجفاء مرة أخرى، ولكن أيا من هذا لم يحدث و شعرت الاثنتان بأنهما قريبتان من بعض، و من يدري فلربما أصبحتا صديقتين في المستقبل ، و ما كان منهما بعد أن ارتاحتا لبعض إلا أن ذهبتا معا إلى كافيتيريا الجامعة لتريا ها و لتتجاذبا أطراف الحديث، و في الطريق رأت هيفاء شريهان تمشي بصحبة فتاة سمراء اللون متوسطة الحجم و الطول و تصبغ شعرها باللون

الأشقر، فأشارت لها من بعيد بالسلام، لكن شريهان طالعتها و لم تعبأ بسلامها و عادت لتكمل حديثها مع رفيقتها، و تساءلت هيفاء في سرها:

- لماذا لم ترد شريهان السلام؟ و لماذا تمشي مع تلك الفتاة الغريبة و لا تمشي مع ميرال، فهي قد رأتها عندما كانت تسجل في كلية الطب؟

عادت و نفضت تلك الأفكار من رأسها حين رن هاتفها النقال فردت كعادتها دون النظر إلى الشاشة متسائلة عمن يكون المتصل، فجاءها صوت وفاء كأنه قادم من بئر :

- هاي هيوفة .. كيف الحال ؟

- بخير.. كيف حالك أنت ؟

- تمام .. لا ينغص علي سوى افتراقنا، كنت أتمنى أن نكون معا في نفس الجامعة .

- لا يهم فمهما ابتعدت المسافات فلن تنقص صداقتنا شيئا .

- أكيد، أكيد .. لعلمك منال معي في نفس السكن .

- لوسي !.. غير معقول لقد كانت تقول أنها من المستحيل أن تدخل جامعة الإمارات .

- هذا قرار والديها .. فمن سيمانع أن تدخل ابنته جامعة مجانية ؟.

- و لكني كنت أظن أن هذه الجامعة حكر على مواطني الدولة الأصليين .
- في الغالب نعم ، لكن بالواسطات تجدين مدخلا لكل شيء .. ألا ترين ذلك معي.
ضحكت هيفاء ، وقالت :
- أكيد .. نسيت أننا في العالم العربي.
تنهدت وفاء وهي ترد :
- لا وحياتك في الزمن ده كله بالواسطات، ده إنت نسي إن احنا في العالم .. وبس .. يلاّ باي .

ودعتها هيفاء و هي تدخل الكافيتيريا بصحبة ملك، وبما أن الوقت كان عصرا و الشمس حارقة في الخارج على الطريق المؤدية من السكن إلى الكافيتيريا فقد كان المكان خاليا إلا من المستجدات اللواتي كن يستكشفن المكان و لمحت هيفاء ميرال تجلس و بجانبها فتاة شقراء نحيلة، و إلى اليسار جلست مهرة، التي تعرفها هيفاء بالشكل فقط، وقد بدون في تلك الساعة و هن يتضاحكن و يتمازحن في قمة المرح و الأناقة كأنهن آتيات من رحلة صيف لا يعنيهن منها سوى قضاء الوقت.. قالت ملك وهي تأخذ مقعدها و قد انتبهت لوجودهن :
- أين تحسبن أنفسهن !.. في عرض أزياء !.

ردت هيفاء بابتسامة و هي تجلس مقابلها :
- نحن في الجامعة لا في عرض أزياء و لا في كباريه . أليس كذلك ؟
ضحكت ملك وقد فهمت تلميحها و سألتها :
- دعنا من هذا.. ما هو تخصصك ؟
- إذاعة وتلفزيون .. وأنت ؟
- أنا أيضا إذاعة و تلفزيون.. صدفة رائعة أليس كذلك ؟
- بالفعل .. ما ذا تقترحين أن نطلب ؟
- لا أريد شيئا .. فقط أريد التحدث قليلا .
- حسنا .. لنتعرف أكثر .. أنا هيفاء عز الدين ..جزائرية.
- ملك سلامة .. مصرية .. و أنت على العموم تعرفينني منذ الثانوية .
- من بعيد فقط .
- نت إني مور (ليس بعد هذا) .
- أتمنى ذلك .
رن هاتف ملك، فرفعت الخط و هي تقول لهيفاء :
- تعالي نعد إلى السكن .. سآخذ مكالمتي في طريقنا .
ثم بدأت ملك تتحدث بصوت منخفض إلى أحدهم و كل ما ميزته هيفاء و التي كانت تسرح كثيرا أثناء حديث ملك .. هو " عيسى " و"لم أعد أفهمك " و "لماذا تعاملني هكذا" و " إن كنت لا تريدني فأنا لا أريدك "،

obeikandi.com

وما لم تسمعه كان أكثر، و لكن هذا كان كافيا لتفهم الموقف ، فيبدو واضحا أن أحدهم و اسمه عيسى هو "بوي فريند" ملك، يعاملها بطريقة سيئة، و يبدو أنها فهمت أخيرا أنه لا يريدها و بالتأكيد فهي أيضا لا تريده.. هذا هو الموضوع بكل بساطة ، موقف و كلام يتكرر يوميا مع ملايين الأشخاص،عندها تساءلت هيفاء :

- هل يهوى الناس عيش حياتهم كقصة رأوها آلاف المرات ؟!.. ألا يملون من الأحاديث المكررة ؟ لماذا علاقات الرجل بالمرأة دائما مكررة؟.. نفس المشاكل ونفس الأخطاء، و لا أحد يتعلم.

ثم واصلت حديث النفس للروح قائلة :

لقد امتلأت الدنيا بالمتذاكين ممن قالوا أن كل ما عايشه الآخرون يقع تحت قاعدة " يحدث للآخرين فقط "، فيتصورون بالتالي أن ذلك لن يحدث لهم أبدا بغض النظر عن "ذلك" إذا ما كان جيدا أو سيئا، حيث نرى كثيرا ممن يسخرون من قصص الأفلام و ممثليها، وبالذات الرومانسية منها، معتقدين أنهم لا يمكن أن يقعوا في تلك الأخطاء، و لا يمكن أن يعيشوا تلك الحالات، بل لا يمكن أن يقولوا ذلك الكلام، و تمتليء الدنيا بأولئك اللذين تشدقوا بما سبق ، ولكنهم عادوا في النهاية ليمثلوا تلك الأفلام و المواقف التي سخروا

منها بأنفسهم و الفرق بسيط .. أنهم يؤدونها على مسرح الحياة .

عادت هيفاء لتتأمل ملك بعد أن خرجت قليلا عن خواطرها فرأت وجهها وقد غطاه الحزن أكثر مما سبق، و بعد برهة عاد الغضب ليحل محل الحزن وجاء على بال هيفاء أنها لأول مرة ترى أحدا يحزن أولا ثم يغضب ثانيا، ففي عوائد الأمور يبدأ الغضب ثم يأتي الحزن بعد ذلك ،إما بسبب الغضب، أو بسبب ما سببه الغضب ذاته

أدركت هيفاء حينها أنها أمام إنسانة فريدة من نوعها ، ثم لاحظت شيئا آخر وإن لم يكن على ملك هذه المرة ،إنما على وجوه المارة في الطريق، فلم تعبر فتاة أو عجوز أو عاملة أو أستاذة أو دكتور،إلا و تراهم قد تفحصوها بأعينهم حتى خيّل لها أنهم يرون كائنا فضائيا و ليس شابة صغيرة لم تكمل ربيعها التاسع عشر بعد.. بعض هؤلاء المارة يستهجن مظهرها بتحريك رؤوسهم يمنة و يسرى، كأن لسان حالهم يقول:

- "لا حول و لا قوة إلا بالله " لرؤيتهم هذا المنظر الفظيع

عادت هيفاء لتتأمل ملك مرة ثانية لعلها تعثر على موضع الغرابة فيها، فلم تجد فيها شيئا عجيبا سوى أنها لو فكرت بأنها لا تعرفها مطلقا و لم ترها قبل تلك اللحظة ـ ما عدته أمرا صعبا للغاية ـ فستجد أنه ربما بسبب مظهرها النادر والفريد من نوعه من ملابس سوداء قاتمة و حلي الجماجم و عبارات الموت التي كتبت على قميصها، و ربما بسبب شعرها القصير الأحمر بخصلتيه الجانبيتين المبالغ في طولهما، لبدت مثل جنية بالنسبة لها ، و لكنها استطردت قائلة في سرها :

ـ لكنها جنية جميلة و هشة و تبدو أقرب للدمية .

و تساءلت مرة أخرى :

ـ لماذا نظرات الناس قاسية تجاه ملك ؟ هل بسبب أنها تثقب بطنها و تزينها بحلقة ذهبية لامعة؟ أم لأنها تثقب حاجبها و أسفل فمها و تزينها بلآليء سوداء؟.

وأضافت هيفاء، وكأنها تنفي وجود الأسئلة السابقة، قائلة :

ـ لكن هذه حرية شخصية و لا يحق لأحدهم أن يتدخل فيما تلبسه أو تفعله بجسدها ثم إني أراها جميلة .. كالفراشة السوداء ، عندما تراها للوهلة الأولى قد تخاف منها و تظنها شيئا آخر, و لكن ما إن تقترب

openkandil.com

منها و تدقق فيها حتى تكتشف أنها فراشة ستجدها باهرة و رائعة .. إني متأكدة أنه تحت هذا المظهر الجاف الأسود فتاة رقيقة و رائعة ،و سأعمل بنفسي على إخراجها من هذه الحالة التي تكتنفها.. إنها تبدو كمن يعيش في حزن دائم .. تبدو كطفلة ضائعة ولكنها في الأخير ستعثر على أمها!.

قالت هيفاء هذا بفخر، فهي كانت ترى دائما أنها الأذكى و الأقوى شخصية من بين جميع صديقاتها، وتعتبر نفسها أكثر حكمة، و في ذلك اليوم أعطت لنفسها الحق في معاملة ملك كالطفلة و العمل بناء على أنها في مكان والدتها ويجب أن تصلح من حالها بأي شكل كان، و كانت لا تكل ولا تمل من لعب هذا الدور كأنها منارة التائهات و منقذة المظلومات ممن ظلمتهن ظروفهن أو ضيّعتهن دروب الحياة، وربما هذا هو السبب في أنها لم يكن لها يوما عددا كبيرا من الصديقات، وترك الكثيرات لها بعد أن تساعدهن ، فالأطفال يتركون أمهاتهم بعد أن يكبروا و قد لا يعيدون إليهن شيئا مما بذلنه من أجلهم، بل قد ينسونهن.

لم تكن هيفاء تصرّح لنفسها بتلك الحقائق، و لكنها تتشدق دائما أنها الأخت الكبرى لصديقاتها، حتى

صارت تشعر و كأنها الأكبر سنا منهن، وأن عقلها أكبر من عقولهن على حد تفكيرها و اقتناعها .

أنهت ملك مكالمتها و هي غاضبة أكثر مما كانت، ثم أخذت تفكر في كيف وأين يمكن لها أن تصب ذلك الغضب، و حانت منها التفاتة فرأت فتاتين تمران وتتغامزان عليها فغضبت أكثر، و قالت بصوت عال :

- فاك هير..

اتسعت عينا هيفاء من الدهشة وانزعجت من أسلوب ملك الفظ، وقالت بحنق :

- لماذا قلت ذلك ؟ . ما ذا فعلت لك الفتاة ؟!

فردت ملك و هي تغالب رغبتها في الصراخ :

- ألم تري ما فعلته؟! إنها تتحدث عني وتسخر مني .. وأنا لا أعرفها حتى .

- لا تهتمي لها إذا.. إنها تافهة .. أتفه من أن تعيريها اهتماما، فأنت أكبر من ذلك .

صمتت ملك قليلا و قد احتقن وجهها و عادت لتنظر من خلفها للفتاتين اللتين لم تسمعاها و أكملتا طريقهما وهما تضحكان ،ثم قالت من بين أسنانها :

- بيتش !.

لم تكن هيفاء قد سمعت بتلك الكلمة من قبل، و إن أحست بوقعها على سمعها و طريقة نطق ملك لها أنها

obeikandl.com

شتيمة ما ، فعصرت رأسها و هي تحاول تذكر ما إذا كانت قد مرت عليها أو سمعتها في مكان ما، و لمّا لم تهتد إلى معناها سألت ملك قائلة :

- ما معنى هذه الكلمة ؟.

طالعتها ملك غير مصدقة وقالت :

- هل تمزحين معي ؟!.

تساءلت هيفاء :

- لا .. لماذا تقولين هذا ؟

قالت ملك و هي لا تزال غير مصدقة :

- لا يوجد من لا يعرف معناها.. هل تدعين أنك من الفتيات المؤدبات ؟!.

ضحكت هيفاء، و هي تقول :

- لا أقصد شيئا و لكني بالفعل لا أدرك معنى تلك الكلمة.

فردت ملك و هي تبتسم :

- على العموم .. إنها سبة تعني .... في الواقع لا أعرف معناها بالعربي .. لا أستطيع أن أشرحها لك .. المهم إنها عيب .

فقالت هيفاء و هي تعدل من وضع نظارتها :

- ما دامت عيب فلا داعي أن تتلفظي بها .. سيقول عنك الناس " قليلة الرباية"

ضحكت ملك، وهي تقول :

- ما أنا كده فعلا .

obeikandl.com

تملكت هيفاء الدهشة، فلأول مرة ترى من يفخر بصفة سيئة، فهي لم تتعود في حياتها على أن تفخر بالخطأ، بل كانت إذا أخطأت أو صدر عنها ما يعيب تخفي هذا لأمر مهما كان بسيطا، و تبالغ في إخفائه، كأنها تحافظ على سر من أسرار الدولة، وأخذت تفكر في الكيفية التي ستغيّر بها من تفكير ملك .

* * *

صرخت مهرة بصوت عال و هي تعود إلى الوراء بعد أن كادت سيارة "همر" صفراء أن تصدمها ، وأمسكت ميرال بها محاولة تهدئتها على حين صرخت الفتاة الشقراء التي كانت بصحبتهما في قائد السيارة قائلة :

- هل أنت أعمى ؟!!

و لكنها صمتت حين رأت رقم لوحة سيارته، و همست لميرال و مهرة قائلة :

أنه ..ابن أحد المسؤولين

نظرت مهرة بحنق إلى مؤخرة السيارة المندفعة، وقالت بينما نفضت ترابا وهميا عن ملابسها :

- سو وات

ocheikandae.com

فقالت ميرال مؤيدة :
- فعلا .. هل سيدوسنا لأنه ابن مسؤول؟ .. هل تخافين يا لمى؟!!.
قالت لمى و هي تبتسم بخبث :
- لا أخاف أبدا.. و لكني كنت أفكر بأننا سنتسلى اليوم
تساءلت ميرال و مهرة، وقالت لمى و هي تعبث بخصلات شعرها:
- لقد سمعت من الفتيات أنه و في بداية كل كورس من العام يأتي أبناء المسؤولين من الشباب لتفقد المستجدات من البنات .. حتى ينتقوا منهن..كما سمعت أيضا أن بعض البويات (المسترجلات) يعملن معهم فيراقبن الفتيات في السكن و في الجامعة، ويخالطنهن حتى يعرفن من التي على استعداد للتعرف على واحد منهم.. وهن أيضا يقمن بجس نبض الفتيات اللواتي يقع اختيار أبناء المسؤولين عليهن .
قالت مهرة باستنكار و قد عقدت حاجبيها :
- مستحيل !.. نحن في الجامعة و لسنا في سوق النخاسة .
قالت لمى بسخرية :
- قولي هذا لمسؤوليكم .. فهم لا يعرفون .
ردت مهرة بغيظ، و قد بدأ صوتها يعلو :
- لو سمحت احترمي نفسك .. ليس كل مسئولينا هكذا .

ردّت لمى بصوت عال أيضا :
- أنا محترمة غصبا عنك .. و كل مسؤوليكم هكذا .
حينها حاولت ميرال تلطيف الجو فقالت :
- دعكما من هذا .. و انظرا من القادم .
التفتت مهرة و لمى في وقت واحد إلى يسارهما، فأبصرتا نفس السيارة تعود ببطء بعد أن أخذت دورة في المكان ، فقالت لمى بتحد :
- حسنا يا مهرة .. سترين ماذا سيفعل ؟.. أراهن أنه سيعاكسنا .

لم ترد مهرة .. و دار بخلدها أنها عرفت الكثيرين من الشباب .. لكنها لم تجرب أبناء المسؤولين منهم .. وبما أنها ليست في أبو ظبي فلا شيء تخاف منه، وعزمت على أنها ستتعرف عليه، إذا حاول التقرب منها، ووقفت بزاوية يستطيع فيها رؤيتها بوضوح و أخذت تمثل أنها تنظر إلى ميرال و فهمت ميرال و لمى الحركة، فاندمجتا معها في تمثيلية" الانشغال"، وكأنهما لم يلمحاه من الأساس، و اقتربت السيارة أكثر، وبكل ثقة كقط يتمشى في شمس الظهيرة..اقتربت السيارة اللامعة من جهتهن إلى أن أصبح الزجاج الأمامي مقابل مهرة، و كانت النوافذ مغطاة بالمخفي الأسود، و ما إن توقفت أمامهن حتى أنزل الراكب

الزجاج ببطء و نزع نظارته الشمسية في حركة تمثيلية سخيفة وقال بثقة :

- السلام عليكم .

فردت مهرة فقط من بينهن :

- و عليكم

فابتسم كاشفا عن أسنان صفراء و قال :

- فقط و عليكم !.. لا تستطيعين رد السلام كاملا .. لا يهم لا يهم .. مشكورة على الأقل رديتي .. من معك لم يكلفن خاطرهن .

لم ترد مهرة بعد هذا أما ميرال و لمى فقد لبثتا صامتتين، و أخذت ميرال تتفحصه و قد ظهر الاشمئزاز على وجهها، فهو لم يعجبها البتة و كذلك الحال بالنسبة لـ"لمى" و إن حاولت الابتسام قليلا ، ثم قام الشاب بمد يده من خلال النافذة بوريقة صغيرة مثنية .. و لكن يده ظلت معلقة في الهواء لفترة لم تجرؤ فيها واحدة منهن أن تأخذها، و إن كن قررن أن تأخذها مهرة ، و لكزتها ميرال قائلة و هي تهمس حتى لا يسمعها الشاب:

- إذا أردت خذيها .. فلا يوجد أحد على الطريق .

تلفتت مهرة خلفها بينما، تنقلت لمى بعينيها في كل الاتجاهات لتتأكد، فلمحت عباءة سوداء قادمة من بعيد، فقالت :

obeikandl.com

- لا . لا تأخذيها إحداهن قادمة قد تكون المشرفة، أو واحدة من الطالبات و لن نسلم من السمعة التي سيسبغنها علينا !.

و لما طال انتظار الشاب قذف الوريقة بأطرف أصابعه لتستقر عند قدمي مهرة، ثم قال مخاطبا إياها :

- آسف على قيادتي المسرعة .. لو كنت أبصرتك لتوقفت على بعد عشرة أمتار.. و لفرشت لك الطريق رمالا .

و ابتعد بسرعة ،فانتظرت مهرة إلى أن غاب عن الأنظار و التقطت الوريقة وفتحتها، ثم قالت و هي تبتسم :

- رقمه مميز .. كله " ستات ".

فقالت لمى ضاحكة :

- أكيد كله "ستات".

و فجأة دوى صوت من خلفهن قائلا :

- أنت يا بنت !.. هل تعتقدين أني لم أرك ؟!.

صمتت مهرة و ميرال و لمى في نفس الوقت، و نظرن باتجاه الصوت وكانت هيام الرصافي قد وقفت خلفهن وقفتها المعهودة حيث تعقد يديها على صدرها ، ولمعت في عينيها نظرة نارية، و همت مهرة بالكلام و لكن فتاة أخرى سبقتها و كانت تقترب بتؤدة من الجهة المقابلة لهيام الرصافي حين قالت :

obeikandi.com

- ما الذي رأيته يا سيادة المشرفة.
احتقن وجه هيام و صرخت بها :
- لست مشرفة .. أنا مديرة السكن، المسؤولة عن كل المشرفات ... و بالنسبة لما رأيته يا حنان فأنت أدرى به .

حينها تنفست ثلاثتهن الصعداء بعد أن أدركن أن الخطاب لم يكن موجها لهن و أخذن يتفحصن " حنان " و كانت مشغولة بمضغ علكتها و نفخ البالونات أكثر من انشغالها بحديث هيام إليها ..لم تكلف خاطرها بالرد على العبارة الأخيرة، وأكملت طريقها ماشية و تجاوزت هيام و هي تفجر البالون و تطرق بكعب حذائها في محاولة ناجحة لإغاظتها، و إن تظاهرت هيام بعكس ذلك، وقالت و هي تستدير لتتابع حنان بعينيها :
- في هذه المرة لم يكن لدي الدليل لأقدمه للإدارة .. وإن كانت كلمتي تكفي .. و لكني أعدك في المرة القادمة سأسحبك بنفسي خارجا بعد أن تطردي من الجامعة .

كانت هيام ترفع صوتها ليصل المقطع الأخير من كلامها إلى مسامع حنان، و التي لم تعرها اهتماما، ثم التفتت لترمق مهرة و ميرال فاغتاظت من جمالهما واعتدال قدهما، بعد ذلك نظرت إلى لمى، التي لم تكن جميلة.. فقد كانت شقراء نحيلة، بلا ملامح مميزة، مجرد وجه عادي يمكن أن تقابله في أي مكان و لكنك

لن تفلح بتذكره، ولولا طلتها الأنيقة التي تميزت بها وغطت على أي عيب آخر فيها لنسيتها هيام، ثم إنها تقف مع نوع الفتيات اللواتي تحقد عليهن بدون ذنب جنينه.

وكرد فعل لحالة هيام المرضية أضافت البنات السابقات إلى قائمتها السوداء لا لشيء إلا لأنهن بدون رائعات مع بعضهن ، وأخذت تقارن نفسها بهن، حيث لا مجال للمقارنة، وكان هذا يزيدها حقدا على حقد وبغضا على بغض، و لم تكن هيام قد انتبهت لوقوف السيارة الهمر، و لما لم تجد في جعبتها شيئا يمكنها أن تؤذيهن به،اغتصبت ابتسامة صفراء متصنعة و قالت بتزلف :

- هل أنتن مستجدات يا حبيباتي ؟

فرددن في صوت واحد :

- نعم .

فأضافت هيام بخبث :

- و هل تقمن في السكن ؟

فرددن : نعم

تملكتها سعادة خفية و قررت أنه إذا وضعتهن الأيام في طريقها فلن ترحمهن، وتمنت بشدة أن تخطئن و لو

oboeikandi.com

خطأ واحدا، عندئذ يمكنها أن تحيل حياتهن في السكن إلى وضع لا يطاق ، ثم عادت لتتأمل مهرة و قالت في سرها :

- يبدو من أشكالهن أنهن " لعبيات " وبالتأكيد لن أعدم غلطة و لومن واحدة.. وآمل بأن تكون غلطة كبيرة .

و طفقت ترمقهن و استأنفت حديثها بعد هنيهة، فقالت موجهة كلامها لمهرة :

- من أي إمارة أنت يا حبيبتي ؟.

فقالت مهرة بفخر :

- من أبوظبي .

فاصطنعت هيام الفرحة، و هي تقول :

- آه بوظبي .. هلا بأهل بوظبي .. عموما أحب أعرفكم بنفسي أنا هيام الرصافي مديرة السكن .. فأي مشكلات تواجهكن، مكتبي و قلبي مفتوحان لكن في أي وقت .

لم تستطع ميرال و لمى كتم ضحكاتهما من أسلوب هيام الواضح الزيف، بينما أمسكت مهرة نفسها و إن ظهرت ابتسامتها على وجهها و هي تقول :

- شكرا .

ثم أمسكت بكتف ميرال، و ابتعدت ثلاثتهن عنها ساخرات ، بينما لمى تقول من بين ضحكاتها :

- هل رأيتن كيف تكلمنا ؟.. كأننا في الابتدائية !.

و قالت ميرال مقلدة صوت و حركات هيام :
- أنا هيام الرصافي مكتبي و قلبي مفتوحان، لكن .
فانفجرت مهرة و لمى ضاحكتين، بينما استطردت ميرال باستنكار :
- في أول يوم لنا في الجامعة و نقابل مثل هذه الأشكال! أولا السيارة الهمر الصفراء و صاحبها البشع.. وتأتي بعده هذه المرأة المخيفة لتتظاهر بالود .. هل رأيتن كيف كلمت تلك الفتاة ؟!.. ماذا كان اسمها ؟.
حاولت مهرة تذكر الاسم و هي تضحك، لكن لمى سبقتها قائلة :
- حنان .. قالت حنان .. بصراحة يا بنات تلك الفتاة شكلها من " إياهم " .
ابتسمت ميرال و هي تقول :
- نعم شكلها "صايعة" ..هل رأيتن كمية الماكياج التي تضعها على وجهها ؟!.. و كيف كانت تمضغ علكتها كأنها " رقاصة " في شارع محمد علي .
قالت مهرة مؤيدة :
- أنا معك .. تصورن، أعتقد أنها لم تكن ترتدي شيئا تحت العباءة !.
شهقت ميرال ولمى، و قالت الأخيرة:

- تلك المشرفة قالت بأنها ستطردها من الجامعة و لا عجب فمثل تلك الفتاة لا تتورع عن أي نوع من المشاكل .
فردت ميرال :

- لكن عليكن ألا تنكرن وقاحة تلك الهيام .. فقد كلمتها بذلك الأسلوب الفظ أمامنا ، ويبدو أيضا أنها تحب المشاكل، و من المؤسف أننا سنقابلها في السكن كثيرا.

وافقت لمى على كلام ميرال وكذلك مهرة ، التي أسرعت تدس الوريقة في حقيبتها كأنها تريد أن تنسى موضوع ذلك الشاب، و إن كانت قد عزمت في قرارة نفسها على التعرف عليه .. إنه لم يعجبها.، و لكن منذ متى كانت تأبه للإعجاب أو عدمه ؟.. ليس كل من عرفتهم أعجبوها، بل إنها تجرؤ على القول: أن لا أحد منهم قد نال إعجابها ، فالإعجاب مرحلة تسبق الحب وهي لم تمنح قلبها لأحدهم بعد ،.. فلا أحد يستحق .. نعم لا أحد يستحقني !.. هذا ما جال في خاطرها قبل أن يقفز خالد إلى ذاكرتها ،و تساءلت في سرها:

- كيف يكون حاله اليوم ؟.. لقد مر على آخر اتصال بينا شهر على الأقل

شعرت بوخز الضمير يتسلل إليها بسبب الأذى الذي ألحقته به.. أذى نفسي وأذى مادي ، فهي تكاد تجزم بأنها السبب في الحادث الذي تعرض له، فليس من الصدفة أن يحدث له ذلك بعد الإهانة التي ألحقتها به أمام الجميع ، و لكنها رأت أن ذلك الأفضل له و لها، حتى لا يعود هو بآمال كاذبة ، فهو بالذات لم تستطع اللعب به أكثر مما فعلت، و بالنسبة لها فهي تستحق أفضل منه، وبشكل أو بآخر لا يمكن له أن يرقى لمستواها ، فهي إذا فكرت في الارتباط يجب أن يكون الشخص الذي ترتبط به ذا مستوى عالي تستحقه، وعادت تتساءل باستغراب:

كيف لم يخطبني لحد الآن سوى رجال عاديين؟

شعرت بإهانة لتجرؤ أولئك على خطبتها ، و لم يكن أولئك " العاديون " في نظر مهرة إلا رجال أعمال ومشاهير المجتمع، لكنها اعتبرتهم أقل من مستواها ، و سرحت بتفكيرها في الخطط التي يجب أن تتبعها حتى تصل لمرادها.. فكرت بأنها في مرحلة مبدئية قد تجعل ذلك الشاب يتقدم لخطبتها وترفضه مما يعطيها قدرا أعلى، و ربما تصل من خلاله إلى الشخص الذي يستحقها و إن كان ذلك صعبا فهو ليس مستحيلا ، هذا ما قررته مهرة على حين عاد خالد يقتحم ذاكرتها،

فحاولت أن تشغل نفسها بالحديث في مواضيع مملة مع ميرال و لمى لعلها تنسى ما تفكر فيه، و لكنها لم تفلح، وتساءلت:

- لماذا يقفز ذلك الرجل إلى بالي كل مرة .. لقد أصبح كالظل لأي شخص آخر أفكر فيه .. هل يعجبني ؟!.. مستحيل !.. إن الإعجاب مرحلة أولى للحب

ولكنني لن أمنحه له .. إنه لا يستحق .. بل لا أحد يستحق .

* * *

obeikandl.com

(٥)

فراشة بغداد

عندما واجهت ريم والدها بقرارها الخاص بالسفر للدراسة في العراق رفض بشدة، و أنّبها على ذلك الطلب الذي لم يعتبره قرارا يخصها، بل يخصه هو بشكل مباشر، و أصر على أن تدخل أي جامعة من جامعات الإمارات، وتدرس الطب، حينها قالت و بهدوء لم يعهده والدها فيها :

- إذا أردتني أن أدرس الطب – حسب رغبتك – فسأفعل، و لكن إذا أردت إجباري على البقاء في هذه البلاد .. فلن أفعل أبدا .

غضبه حديثها و أثاره، فصرخ في وجهها، وأشرك إخوتها، وجلسوا يتشاورون فيما بينهم و كأن لا وجود لها إلا لتأخذ التأنيب و تسكت ، فانسحبت إلى غرفتها بجمود و لم تغير رأيها، فلحقت بها والدتها محاولة تهدئتها و ثنيها عن عزمها، وإن أخذت تغريها بأنها

obeikandl.com

ستشتري لها فستان حفلة لم ير أحد مثله ، فتساءلت ريم بهدوء قائلة :
- .. و ما المناسبة؟ .
صمتت الأم تفكر،ثم قالت :
- من دون مناسبة .
و لكنها استطردت بعد برهة :
- و لكن بإمكانك ارتدائه في عرس عامر ابن خالتك فاطمة .. لقد بعثت بالدعوة و أكدت على حضورنا.. لماذا تبدين واجمة هكذا ؟.. هيا، هيا قومي لنخرج وننتقي الثوب .
ومسكتها من يدها لتسحبها معها، لكن ريم شدت يدها بقوة و صرخت في أمها :
- لا أريد ثوبا و لا أريد الذهاب إلى أي مكان.. دعيني وحدي.. دعيني وحدي!
دهشت والدتها من رد فعلها ،و أخذت تؤكد لها أنهم "عملوا لها عمل "
وأسرعت تحضر البخور لتبخرها به، وتدعو بحق الإمام الحسين على من تسببوا في العمل الشيطاني لابنتها، و تركتها في حال أسوأ مما كانت عليه.
أجهشت ريم بالبكاء إلى أن آلمتها عيناها فتوقفت وهي أشد إصرارا وعزما على السفر إلى العراق .. إنها تشعر بالاختناق و كأن البيت وأصحابه يجثمون على

أنفاسها ، شعور بالضيق يكاد يقتلها، فضاقت الإمارات كلها عليها ولم تجد فيها متنفساً واحداً، وأيقنت بأنها هالكة إذا لم تسافر إلى لعراق وبقيت يومين لا يدخل جوفها طعام ، فخاف أهلها عليها وحاولوا معها بشتى الطرق بالترغيب تارة وبالترهيب أخرى.. فقد عرضت عليها والدتها ما تشاء حتى تغير رأيها، وهددها أخوها بحرمانها من الدراسة نهائياً إذا أصرت على رأيها ولكنها لم تستجب، واستحال لونها حالكا، فاضطرت العائلة في النهاية إلى الرضوخ لقرارها.

في الطريق إلى المطار شعر والدها كأنه يبعثها إلى حتفها، لذلك حاول ثنيها عن عزمها، بأن أخذ يذكرها بكل ما حدث ويحدث وما قد يحدث في العراق بعد الحرب عليها، وقال أخيراً:

- يا ابنتي، البلد أصبحت في أسوأ حال، ولا تتجه إلا إلى الخراب.. فمن العاقل الذي يذهب إلى ا لموت بقدميه؟

فسألته ريم :

- أو ليس حال البلد أفضل بعد رحيل نظام صدام حسين.. فما الذي نخاف منه إذا ما كان أسوأ ما كان في العراق قد ذهب عنا؟..

فرد والدها قائلاً:

- نعم، لقد رحل أسوأ ما كان في العراق، ولكن حل مكانه أسوأ ما في العالم بأكمله.. أرجوك فكري مرة أخرى، سأدخلك الجامعة التي تريدينها هنا، ولن تحتاجي لشيء أبداً.. هناك ستذوقين المعاناة مهما ساعدناك نحن مادياً، فأنا متأكد أنك ستتعبين معنويا، وقد تعودين محطمة الفؤاد، أو قد لا ...

ثم صمت خائفا مما كان سيقوله فهي قد لا تعود أصلا، و هذا أكثر ما كان يرعبه.

في تلك اللحظة شعرت ريم و لأول مرة أنها قريبة من والدها و حدثت نفسها بأن عائلتها و إن لم تفهمها يوما فهي ليست بالسوء الذي تصورته دائما، وتمنّت لو أخبرته : بأنها محطمة تماما في الإمارات ،وبأنها قد تتعافى من جراحها في وطنها .. ذلك الوطن الذي لم تتعلق به يوما .. ذلك الوطن الذي أصبح الانتماء إليه تهمة ، هذا ما أرادت قوله و أكثر لكنها لم تكن معتادة على مصارحة والدها بما يجول في خاطرها، و اكتفت بأن تنهدت و هي تقول :

- سأحرص على أن أبقى بعيدة عن أي مشاكل ... و الله يسهل .

تنهد والدها بعد أن يئس من محاولة إقناعها، وحمل حقائبها بهدوء ووضعها في نقالة الحقائب ليتم حملها إلى الطائرة، و أعطاها التذاكر في جمود كأنه غاضب

منها لإصرارها على السفر، لكنها كانت تتحرق شوقا لترى العراق لتلقي بنفسها فيه، فقبلته على عجل، وأسرعت تختفي من أمامه، في حين غرق هو في خواطره السوداء لما يمكن أن يحدث لها.

أسرعت ريم تركض بسعادة كأنها فراشة ترى الزهورلأول مرة، وأحست بالحرية كأنها تستنشق هواء روعة الطيران، و سبحت في أحلام اليقظة لما سيحدث لها في العراق.

* * *

كان سيف جالسا في مكتبه شاعرا بالأسى لانتهاء عطلته، شاغلا تفكيره في حنان.. لقد توطدت علاقته بها خلال فترة تدريبها، و حين عادت إلى الجامعة وتركت أبوظبي أصبحت الاتصالات بينهما يوميا..لقد عرف عنها الكثير وشعر أن ظروفها تشبه ظروفه، فهي تعيش مع والدتها الروسية بعد طلاقها من والدها، وهي المسؤولة عنها، ولا يتدخل والدها في أي شأن من شؤون حياتها بالمرة و كأنه لا يعرفها و لا تعرفه ... حينما أخبرته بذلك فكر بأنه أحسن حالا منها قليلا، فوالده يحاول التدخل في حياته بينما هو يطرده منها، ثم حانت منه التفاتة إلى الأوراق المكدسة على مكتبه،

obeikandl.com

إن أمامه الكثير من العمل الذي كلفه به جده كأنه يتعمد أن يتعبه، ثم قال:

- يبدو أنه لا يزال غاضبا مني بعدما أهملته و أسرعت خلف حنان.

استنتج سيف ذلك بينما تورّد وجهه بالسرور، فإن أيِ أمر يغيظ جده أو والده أو تلك العائلة يسعده و يفرحه، ثم انتبه إلى أن والده أيضا لم يسأل عنه منذ مدة و هو لم يعر لذلك اهتماما، إذ يبدو أنه غاضب منه أيضا، فضحك مستهزئا، و أمسك بالأوراق و أخذ يعمل بسرعة خارقة كأنه يتحدى ذلك الجد، و انتهى بأسرع مما توقع فلملم الأوراق و أعطاها للساعي ،و أكد عليه أن يوصلها إلى مكتب جده شخصيا، و كتب له في ورقة صغيرة أن يتأكد من الحسابات، ساخرا من كل إجراءات جده الاحتياطية في التعامل معه، وهمّ بالخروج مسرعا ،حتى يتجنب استدعاء جده ليكمل معه الحديث الذي لم يبدأه منذ إجازته، و لكن صوتا رفيعا استوقفه قائلا :

- إلى أين يا سيف؟!

التفت ناحية الصوت متأففا ليجد زميله سعيد يبتسم له ابتسامة لزجة لطالما كرهها سيف و قد وضّح له ذلك مرارا، لكن سعيد لم يتراجع أبدا عن سخافاته و فكرة التقرب و التودد إليه، كأنه هو صاحب الشركة مع علمه

بالعلاقة المتوترة دائما و التي تربطه بصاحب تلك الشركة،إلا أنه – سعيد - كان دائما يؤكد للجميع أن جد سيف يحبه، و أن إدارة الشركة ستؤول إليه، و لطالما حاول أن يقرّب سيف من جده ، و هذا ليس لطيبة في خلقه أو محبة للخير في نفسه، إنما كان يدّعم تصرفاته و أفعاله لغرض في نفسه.. ليستفيد من سيف في المستقبل، و في تلك اللحظة التي ناداه فيها شعر سيف كأن الحشرات طنت في أذنيه، فقال بضيق واضح :

- ما لذي تريده مني يا سعيد؟.. أنا مستعجل .

اقترب منه سعيد في لزوجة ووضع يده النحيلة على كتفه تحببا، ثم قال :

- لم العجلة ؟.. عموما لن آخذ من وقتك الكثير فأنا سأطلب منك خدمة .

نظر سيف لساعته و قال بضيق أكبر :

- قل ما عندك و سأرى ما أستطيع فعله .

فلوح له بملف أصفر و قال :

- أريدك أن تحل محلي في عملية التعاقد مع المستثمرين الأجانب .

رد سيف متأففا :

- إنه عملك .. لماذا لا تقم به أنت ؟!.

فقال بود مصطنع :

- عزيزي سيف لدي ظروف قاهرة ولولاها لما كنت أفوّت الفرصة لأذهب إلى دبي من أجل هذا العقد و.. أمرح قليلا .

قال هذا و هو يغمزه ضاحكا ففكر سيف قليلا..هو لن يذهب لداعي المرح بالتأكيد، و لكنه سيكون قريبا من جامعة حنان و قد تتاح له فرصة الخروج معها، فأخذ الملف من يده، وقال في لهجة رسمية :

- متى موعد العملية؟

فقال سعيد مسرورا :

- غدا سينتظرك المستثمرون الساعة السادسة في مطار دبي .. كن على اتصال بهم و .. اقضي وقتا ممتعا .

خرج سيف مسرعا دون سلام على حين وقف سعيد يتابعه، و قد اختفت الابتسامة عن وجهه، و حلت محلها نظرة خبيثة، و في نفس اللحظة أدار سيف رأسه له ليقول شيئا فلمح تلك النظرة التي يحاول سعيد إخفاءها بسرعة و في توتر ظاهر مشيرا له بيده مودعا فتوقف سيف و طالعه بنظرة ساخرة و هزّ رأسه، وأكمل طريقه دون أن ينبس ببنت شفة، و أخذ يفكر في الغاية التي يصبو إليها سعيد.. لماذا أراده أن يحل محله ؟!.. فهذه المهمة لا تتضمن عملا فقط، فالشركة ترسل موظفيها لمثل هذه التعاقدات لمدة يوم و ليلة في دبي

مع أن العملية تنتهي في ساعة أو أقل، و بالتالي يكون للموظف الموفد الحق في أن يقضي وقته كيفما يشاء ، فبأي منطق يترك سعيد تلك الفرصة له ؟ و ما هي الظروف القاهرة التي لديه ؟..هو لن يسأله و حتى إذا سأله فلن يقول الحقيقة، فما لذي يرمي إليه؟.. احتار تفكير سيف و لكنه كان قد عقد العزم على الذهاب واتصل بحنان يخبرها بأنه قادم ليراها.

* * *

جلست هيفاء تحاول أن تجد فكرة واحدة مناسبة لتكتب عنها فقد كانت مكلفة بواجب لتحديد المستوى الأدبي لطلبة كلية الإعلام، لذلك تمنت أن تكتب عن فكرة باهرة بأسلوب ممتاز و لم تكن لترضى بأقل من ذلك، و لما لم يسعفها الحظ بأي من الأفكار البراقة ألقت بالقلم و الأوراق بعيدا و قد تملكها الانزعاج وتساءلت:

- لماذا تأتيني أجمل الأفكار حين لا أكون بحاجة إليها ؟! وعندما أجلس بهدوء محاولة استعادة تلك الأفكار وأنا في قمة الحاجة إليها لا تطرق ذهني فكرة واحدة

opeikandi.com

هيفاء ترى أن الأفكار مثل الأشياء، فعندما نبحث عن شيء نجد كل ما لا نحتاج إليه إلا هو، و عندما لا نبحث عنه يقفز أمامنا، فقررت أن تحاول شغل نفسها بشيء ما لعل الأفكار تأتي مقتحمة رأسها و من ثم أوراقها، فأسرعت تمشط شعرها وغيرت ملابس النوم التي بقيت ترتديها طوال اليوم بعد نوم الظهيرة وخرجت إلى الرواق ، الذي بدا في عينيها مظلما أكثر مما كان، وهي في كل الأحوال لم ترتح في السكن الجامعي ، و أخذت تمشي متجهة إلى غرفة ملك فهي لا تعرف سواها في الجامعة بأكملها،

تأملت تقسيم السكن فأيقنت أنه لم يبذل فيه أي جهد في التخطيط و التنظيم فهو يبدو كمستشفى أو عنابر للاجئين، و ألوانه في غاية الكآبة حيث يغلب عليه اللون الرمادي ،و أينما نظرت لا تجد إلا إيّاه ،على طول الرواق اصطفت سلال القمامة، مضيفة على المنظر اللمسة الأخيرة في لوحة الكآبة.

حين انعكست صورتها على الباب المعدني لخراطيم الحريق بدت لنفسها كممثلة في فيلم رعب سخيف، فذلك المكان يوحي بأن أحدهم سيقفز بعد قليل ملوحا بسكين خشبية، و ضحكت لهذا الخاطر، عندها كانت تقف أمام غرفة ملك، فطرقت الباب و لكن لا مجيب، فأخرجت الموبايل من جيبها و حاولت الاتصال بها،

ولكن الرواق الذي كانت تقف فيه كان خارج التغطية فازدادت هيفاء ضيقا، و أقفلت عائدة من حيث أتت ولكن صوت ملك استوقفها حين قالت هامسة:

- هيه هيفاء .. أنت من كانت تطرق الباب ؟.

فردت هيفاء وهي تعود إلى حيث كانت ملك تقف مرتدية ثياب الخروج :

- نعم !.. لماذا لم تفتحي ؟.

فركضت ملك لتقابلها في منتصف الطريق و هي تقول بهمس :

- اخفضي صوتك !.. لا نريد أن نوقظ أحدا .

و أمسكت بيدها تسحبها معها على حين كانت هيفاء تقول هامسة أيضا :

- لماذا ؟.. و لماذا لم تفتحي الباب ؟.

لم تجب ملك و أخذت تجرها إلى السلم و نزلتا معا إلى ردهة الاستقبال ، حينها قالت ملك :

- هل باب السكن لا يزال مفتوحا ؟.

نظرت هيفاء إلى ساعتها و قالت :

- نعم .. الساعة الآن الثامنة مساء و السكن يغلق الساعة الثانية عشرة ليلا.

لمعت عينا ملك و هي تقول :

- رائع !.. اسمعي تعالي إلى الخارج سأخبرك بشيء خطير جدا .

opeikandi.com

لم تستطع هيفاء الرفض و سيطر عليها الفضول، وهي تتأبط ذراع ملك وتسرع في خطواتها حتى تتماشي مع خطوات تلك الأرجل النحيلة، و ما إن أصبحتا خارجا حتى ابتعدت ملك بها قليلا عن البنات اللواتي انتشرن أمام السكن يستكشفن المكان و يتحدثن إلى بعض ، ولم تكن واحدة منهن تفوت النظر إلى ملك و تفحص هيئتها و من ثم يبدأ الكلام عنها، وشعرت هيفاء بالضيق أيضا منهن فهي لم تكن محاطة بأعين الآخرين من قبل، و لذلك عذرت عصبية ملك في سرها، فإذا كانت هي تشعر بالانزعاج لمجرد أن الجميع ينظر تجاهها و إن لم تكن هي المقصودة، فكيف تشعر ملك وهي المقصودة بكل تلك النظرات و النميمة التي تتم من أمامها و من خلفها، ثم شعرت بأن النظرات قد انتقلت إليها و سمعت إحداهن تقول :

- أنهما عكس بعض!.

صدّقت رفيقاتها على كلامها ثم بدأن يتحدثن بصوت منخفض، فخمنت هيفاء سياق الكلام و نوعه و أخذت تقارن نفسها بملك، و حدثتها نفسها أنه لا وجه للمقارنة و لا للتفضيل بينها و بين ملك، فهي شيء والأخرى شيء آخر تماما..فملك من طراز الفتاة الأمريكية في الملبس و المشكل، و قد امتلأ جسمها بالثقوب التي وضعت فيها حلقانا ، فأذناها مثقوبتان

ثقوبا عديدة و أحد حاجبيها مثقوب، و أنفها و لسانها وشفتها السفلية و بطنها أيضا ، بينما هيفاء لا تملك سوى ثقبين فقط في أذنيها، و ضحكت لهذه المقارنة وإن كانت قد لاحظت أن ملك من يراها يعرف أنها في ما قبل العشرين من عمرها أما من يراها هي فيعطيها ما فوق العشرين ..إنها حقا تبدو أكبر من عمرها بكثير، كما أن هيئتها تشبه هيئة الفتاة المحافظة في السبعينيات، نظارتها التي تعدلها حين توشك على قول أمر مهم، و شعرها الذي تجمعه دائما خلفها وتصرفاتها المحترمة المبالغ فيها قد تجعلها في عيون الأهالي تبدو الفتاة المثالية، ولكن في أعين الآخرين تبدو متخلفة قليلا .. أزعجها هذا الخاطر فلمست شعرها في حركة لا تلقائية، بينما كانت ملك تقول :

- سنذهب وراء السكن حتى نتخلص من متابعة العيون الوقحة لنا .

كلما مشت هيفاء مع ملك، كلما ازداد المكان هدوءا وظلاما إلا من أصوات الحشرات و نور القمر..شدت هيفاء سترتها أكثر و قد بدأت تشعر بالبرد يزحف على عمودها الفقري إلى أن أصبحتا خلف السكن تماما، ووقفتا وسط الرمال تتفاديان بأرجلهما الحشرات والسحالي التي خرجت تبحث عن طعامها ، حينها شعرت هيفاء بشيء يمر على قدمها فحركتها بقوة،

وهي تصرخ ،فما كان من ملك إلا أن صرخت هي أيضا وطوحّت بحذائها فتملكت هيفاء الدهشة، و قالت بعد أن تأكدت أنها تخيلت وجود شيء على قدمها :

- ما بك ؟.. لماذا طوحّت أنت حذاءك ؟!.. ثم لماذا أتيت بي إلى هنا من الأساس ..أنظري إلى هذا المكان المخيف !.

ضحكت ملك و عرجت تحضر حذاءها، محاذرة أن تدوس قدمها الرمال ، وقالت :

- لقد اخفتيني حين صرخت ..هل رأيت كم نحن متوافقتان يا فتاة !.. لقد رميت حذائي حين فعلت أنت ذلك.. إني أشعر بك يا فتاة .

ابتسمت هيفاء و كررت سؤالها عن الغاية من حضورهما فشدتها من يدها، وأشارت إلى نافذة غرفة من غرف الدور الثاني، و كان السكن مكونا من دورين، ثم يأتي السطح بلا أي غرف أخرى ، لكن البناء في مجمله كان عاليا و يثير منظره من الخارج – في تلك الساعة التي خرجا فيها بالذات – شعورا بالانقباض ، شعور غامض لا يعرف له سببا.. هذا كان شعور هيفاء من المكان ، و تساءلت في سرها إذا ما كان هذا هو شعور ملك أيضا، ثم تأملت الشرفات وقالت بدهشة :

- هل أتيت بي إلى هنا لتريني المنظر الخلاب للشرفات الطبشورية المتسخة؟!.
فضحكت ملك ثم قالت بجدية:
- اقسمي أولا على أن لا تخبري أحدا .
ضيقت هيفاء عينيها في عدم تصديق، فقالت ملك بملل :
- كومون!.
فردت كمن يساير طفلا :
- حسنا، حسنا .. اتفقنا .. أقسم ألا أخبر أحدا.
و رفعت يدها في حركة تمثيلية دلالة للقسم فنظرت لها ملك نظرة من نوع :
- لقد وعدت، وانتهى الأمر.
ثم صفرت صفرة حادة مميزة كالتي يستعملها الأطفال كنوع من الإشارات حينما يلعبون، ثم فتحت نافذة من نوافذ الدور الثاني، و أطل منها رأس متوجس ، كحيوان يستطلع المكان، لكن بعد أن لوّحت ملك بيدها أطل بجسمه كاملا و لوح لها ضاحكا .. تأملت هيفاء ذلك الرأس .. إنه بشعر قصير وقميص بلا أكمام، و هي تلوح لملك بينما عضلاتها تلمع في ضوء الغرفة.. حينها انتبهت هيفاء إلى أن من في الغرفة ولد و ليس بنتا، فشهقت بفزع و قد جحظت عيناها و صرخت في ملك :

ope ikanar.com

ولد!.. إنه ولد!.. ولد في السكن ؟!!.
ثم أسرعت تبتعد عن النافذة و هي تلمس شعرها باحثة عن " الأيشارب" الذي لم يكن بالطبع معها فهي في سكن الطالبات ليلا، و السكن عموما لا يدخله رجال من أي نوع إلا عمال التصليح و الصيانة و هؤلاء يأتون صباحا فقط ، و تملكت هيفاء حالة من الفزع كمن ارتكب جريمة وألقت بظهرها إلى الجدار، وأخذت تمطر ملك بأسئلتها : من و ماذا و كيف و لماذا؟، في حين أخذت ملك تضحك و هي تحاول تهدئتها، ثم قالت هامسة :
- اخفضي صوتك و اهدئي قليلا فلا شيء يخيف .. هذا بشار !.
- من؟!.
صرخت هيفاء بصوت عال فوضعت ملك يدها على فمها و هي تقول بنفس الهمس :
- بشار صديقي.. لقد تراهنا أنا و صديقاتي على ما إذا كنت أستطيع إدخال أحدهم إلى هذا السجن المسمى السكن ،و تحداني الجميع بالقول : لا تستطيعين اختراق رجال الأمن اللذين ينتشرون في كل مكان حولنا ، فقبلت التحدي .. وكما ترين نجحت و فعلتها .
لبثت هيفاء فترة لتستوعب كلام ملك، ثم قالت بانفعال :

- فعلتها ! فعلتها .. هل فقدت عقلك !.. هل تعرفين ما قد يحدث لك إن وجدوه؟! سيطردونك من الجامعة بأكملها !.

ثم صمتت هيفاء تستجمع أنفاسها، على حين قالت ملك بهدوء :

- .. إذا وجدوه.. و هذا لن يحدث .. و على العموم إنها ليلة واحدة فقط و غدا صباحا سأخرجه كما أدخلته.

ابتعدت هيفاء عنها خطوة، وهي تنقل نظرها بين ملك وبين النافذة ، ثم رمقتها بحزم، و قالت :

- لن أسكت على هذا الأمر.

طالعتها ملك باستنكار و قالت بغضب :

- لقد أقسمت على كتمان السر !.

فهزت هيفاء رأسها موافقة و قالت :

- لكن هذا ليس سرا .. هذه مصيبة.

ثم أدارت ظهرها و أخذت تمشي مبتعدة عنها، بينما لحقت بها ملك منزعجة وهي تقول :

- انتظري.. إلى أين تذهبين ؟.. لقد وعدتني أنك لن تخبري أحدا .. ألسنا صديقتين ؟! و إلا لماذا تعتقدين أني أخبرتك بهذا؟ .

توقفت هيفاء بعد أن تأثرت بكلامها، و التفتت إليها قائلة :

- حسنا .. لكن بشرط .

obeikandl.com

فهزت ملك رأسها موافقة، فأكملت هيفاء قائلة :
- شرطي هو .. أن تخرجيه من السكن حالا .. لن يبيت هنا .
تأوّهت ملك غير مصدقة و قالت :
- لا يمكن!.. لقد اتفقت مع الشلة أنه يجب أن يبيت في السكن و إلا سأخسر الرهان .
طالعتها هيفاء بنظرة من نوع : يا إما هذا، يا إما أنت، قضي عليك.
فهزت ملك كتفيها باستسلام، و قالت :
- حسنا و لكن شرطي أنا أيضا هو أن تساعديني في ذلك ، لن أستطيع إخراجه في هذه الساعة من دون مساعدتك .
أطرقت هيفاء برأسها و أحسّت بأنها توشك على تغيير رأيها بمساعدة ملك لتصلح من حالها، لكنها خجلت من تركها وحيدة في الورطة التي وضعت نفسها فيها، فالأم أو الأخت الكبيرة لا تترك من هي مسؤولة عنهم حتى لو أوقعوا نفسهم عمدا في أي مشكلة كانت ، و تملكها الخوف من أن تعرف الفتيات في السكن بتلك الواقعة ففي هذه الحالة ستصبح سمعة ملك في الحضيض، و بالطبع سيتسرب الخبر إلى الإدارة ومديرة السكن هيام الرصافي لن تتورع عن إنزال أقصى العقوبة على ملك، و ستفصل من الجامعة،

Obeikandl.com

فحسب اللوائح و القوانين يعتبر إدخال شاب إلى مباني الطالبات جريمة لا تغتفر بل كبيرة من الكبائر..عند هذا الخاطر قررت مساعدة ملك بكل الوسائل فرفعت رأسها و قالت بهمس :

- حسنا .. ولكن اشرحي لي كيف أدخلته أولا.

وأخذت ملك تشرح لها كيف دخل صديقها بشار من الباب الرئيسي على أساس أن لديه أختا في الجامعة و بالتالي تركه رجال الأمن يعبر، بعدها بقيت أمامه العقبة الكبيرة المتمثلة في بوابة مبنى السكن و هي كبوابة الحصن المنيع و لا يمكن لجنس مذكر أن يخترق حاجز الأمن المرابط أمامها ، و لكن ملك كانت قد أعدت العدة بأن جعلته – و حسب الخطة التي رسمتها – يرتدي عباءة سوداء و نقابا ، و انفجرت ضاحكة و هي تقول لهيفاء :

- لقد كان منظره مضحكا .. و لكن تخيلي لم يشك أحد في أمره .. تصوري لقد مررنا أمام مكتب تلك الغبية هيام الرصافي ، و كانت تقف وقفتها المعهودة وتبتسم للفتاة المستجدة المنقبة .. كنت أتمنى لو رأيت ذلك الموقف .

وقفت هيفاء صامتة تتفحص ملك و هي في غاية الغيظ من سذاجتها، فهي تتصرف كالأطفال تماما و كأنها لا تعي حجم المشكلة التي أوقعت نفسها فيها و كأن الأمر

برمته مجرد مزحة لا أكثر ، ولكن هيفاء لم تلبث أن ابتسمت ثم ضحكت لذلك الموقف الذي وضعت نفسها فيه و بدت غير مصدقة أن هذا يحدث معها في الأيام الأولى للإتحاقها بالجامعة ، وما كنت تعتقد أن هذا السكن الكئيب الممل يخبيء، لها مثل هذه المفاجأة، فسحبت ملك من يدها و عادتا إلى السكن، و كل منهما تفكر في الطريقة التي ستخرج بها بشار، فإذا كان دخوله إلى السكن في الصباح صعبا فخروجه ليلا يعد مستحيلا، فالبوابات تغلق وتؤمن جيدا في الليل ،ودوريات الشرطة تحوم حولها، و بالتالي فخروجه في ذلك الوقت يمثل مخاطرة كبيرة ، لكن هيفاء كانت قد حزمت أمرها ، فهي ترى أنه من غير اللائق أن يبيت ذلك الشاب في غرفة ملك، كما أنها تخاف أن يفتضح الأمر، فأسرعت الخطى، و ما إن دخلت من باب السكن حتى التقطت المشرفة المناوبة ملك بعينيها كأنها كانت تبحث عنها و قالت بسرعة و هي تشير لهما لكي تقترب من مكتبها المغطى بالزجاج :

- ملك .. لو سمحت نريدك أن تفتحي لنا غرفتك .

صعقت ملك من وقع المفاجأة عليها، و قالت من بين أسنانها لهيفاء :

- قلت لك أن تخفضي صوتك ، يبدو أن إحداهن سمعتنا و بلغت المشرفة !.

لم ترد هيفاء، فقد كان عقلها يعمل بسرعة خارقة في محاولة لإيجاد حل ، فثبّتت نظرها على المشرفة.. إن مستوى مكتبها عال يصل حتى مرفقها، وبالتالي فهي لا ترى يدها، فما كان منها إلا أن مدت يدها إلى يد ملك لتسحب منها مفاتيحها وهي تقول بصوت عال:

- و لكن يا مدام .. ألا تملكين مفتاح سبير

فقالت المشرفة :

- نعم ، كنت سأصعد الآن لأفتح الغرفة ،و الأفضل أني وجدت ملك حتى تكون موجودة أثناء التفتيش .

فقالت ملك بصوت متهدج و هي تعبث في جيبها :

- أوه .. أعتقد أني أسقطته خارجا .. سأبحث عنه حالا .

ثم خرجت من الباب متظاهرة بالنظر إلى الأرضية، إلا أن المشرفة قالت بصوت حازم :

- توقفي يا ملك ..أريدك في مكتبي حالا .

ثم نظرت بطرف عينها إلى هيفاء، و قالت :

- لوحدك .

و كان هذا أكثر مما تمنته هيفاء، فما إن دخلت ملك المكتب و أغلقت المشرفة الباب عليهما، حتى أسرعت هيفاء تقطع ردهة الاستقبال و ترتقي درجات السلم وهي في غاية التوتر و العصبية، و ما إن وصلت إلى غرفة ملك حتى أولجت المفتاح في الباب، حينها تنبهت إلى أنها لا ترتدي الإيشارب فابتعدت عن الباب و فكرت

obeikandl.com

بالذهاب إلى غرفتها لكنها عدلت عن رأيها ... فلا وقت لهذه المثالية الآن .. هكذا خاطبت نفسها و هي تفتح الباب..

لم يكن بشار في الغرفة فأسرعت تغلق الباب وراءها، و فتحت خزانة الحائط ظنا منها أنه مختبيء فيها تحسبا لأي طاريء، و لكنها لم تجده هناك، و ما إن أغلقت باب الخزانة حتى فتح باب الحمام ليخرج بشار أمامها و هو يمسح شعره ، تفاجأت لحظة رأته و لكن حالها كان أفضل منه ، فقد فغر فاه مندهشا فقالت بسرعة و هي تحمل العباءة السوداء التي وضعت على الكرسي :

- أنا صديقة ملك ، لقد أخبرتني كل شيء.. لا وقت للدهشة الآن ستأتي المشرفة لتفتيش الغرفة، ارتدي هذه و أسرع معي .

لبث بشار للحظة يقلب نظره بينها و بين العباءة التي مدت يدها بها إليه، فصرخت فيه:

- هيا .. لا وقت لدينا لنضيعه .

وألقت بالعباءة في وجهه فأسرع يلبسها و هو في حالة من عدم الاستيعاب ، و بدا كأنه روبوت ينفذ أوامر هيفاء التي تجاوزته لتقف أمام الباب منتظرة أن يأتي خلفها، و ما إن انتهى حتى تبعها، فالتفتت إليه و حينها أوشكت على ضربه بحذائها، فقد كان يتبعها بدون أن

يرتدي غطاء الرأس .. صرخت فيه وهي تعود إلى الداخل و تدفعه بيدها :

- بربك !.. ضع شيئا على رأسك هذا .

فأسرع يرتدي النقاب بينما سحبته هيفاء من كتفه و هي تأمره بأن يركض معها، و انطلقا يقطعان الممر ثم انحرفت في اتجاه غرفتها و فتحت الباب بسرعة ودفعته إلى الداخل و أغلقت الباب بعنف و هي تلهث من القلق و وأخرجت الموبايل من جيب سترتها، وطلبت ملك..رنات كثيرة حتى جاءها صوت ملك مهزوزا، بينما ارتفعت أصوات مختلفة على خلفية صوتها على حين كانت تقول :

- هيفاء ..أنا في ورطة..اسمعي قد يأتون لتفتيش غرفتك أيضا، لقد سألوني ما رقم غرفة الفتاة التي كانت معك .

صرخت هيفاء قائلة :

- ماذا ؟.. ليس من حقهم تفتيش غرفتي، أنا لم أفعل شيئا .. لن أسمح بذلك .

و لكنها لم تتلق ردا إذ أغلقت ملك الخط في توتر واضح، وأخذت هيفاء تنظر لبشار الذي بادلها النظرات قلقا و قالت في سرها :

- ماذا أفعل الآن ؟ أين يمكن أن أخفيه ؟.. لا يمكنني أن أتجول به في أروقة السكن فقد تخرج البنات من

غرفهن لأي سبب، و حينها سيكون تفسير مشي فتاة منقبة في هذه الساعة صعبا و مثيرا للشكوك.. و لا يمكن أن أنزل به إلى غرفة المخازن فقد تكون مغلقة .. أما غرفة أدوات التنظيف ستكون ضيقة عليه كما أنها بعيدة، وقد نلتقي بالمشرفة أو واحدة من بنات الطابور الخامس الذي جندته الإدارة لمراقبة الأخريات .. إنني في ورطة !

و جاءها الحل كمصباح أنار في رأسها كما يحدث في أفلام الكرتون، فهيفاء تعمل بكامل طاقتها الذهنية حين تكون في المواقف الصعبة..إنها من ذلك النوع الذي يعمل تحت الضغط كأحسن ما يكون، فقد لمعت في ذهنها فكرة أن تضعه في آخر مكان يتوقع أحد وجوده فيه... ستخفيه في أعلى مكان في المبنى بكامله .. سأخفيه على السطح !... هكذا قررت، و قالت له محاولة شرح الموقف بأقل قدر من الكلمات :

- أسرع لن ينفع أن أخفيك هنا ستخرج من غرفتي حالا، و سترى في نهاية الرواق على يدك اليسرى بابا خشبيا مميزا غير كل الأبواب الرمادية هنا .. هل تفهم ؟.. حسنا ستدخل لتجد سلما ملتصقا بالحائط فأصعد عليه، ثم في نهايته ستجد غطاء ارفعه، وحاول إخراج نفسك إلى السطح، هيا بسرعة ولا تنسى أن تغلقه خلفك .

وقف بشار قليلا، ثم قال :
- و أين ستكونين أنت ؟.
قالت و هي تشده من مرفقه بقرف كمن يشد كيسا من القمامة :
- سأراقب الطريق .. هيا أسرع .

و نفذ بشار أوامر هيفاء بالحرف كأنه يؤدي دورا مدرسيا بإتقان .. خطوة، خطوة، أما هيفاء فقد كانت تراقب المكان بعين صقر و مع أنها كانت قد نزعت نظاراتها في غمرة انشغالها و توترها إلا أنها كانت في تلك اللحظة تستطيع أن ترى النملة و لو على بعد ميل، ثم أخذت تركض كالأرنب لتراقب جميع المنافذ و الطرق المؤدية إلى باب الغرفة، التي تؤدي بدورها إلى السطح حيث اختبأ بشار، و ما إن تأكدت أن كل ما خططت له قد حصل حتى أسرعت إلى غرفتها، وأغلقت الباب على نفسها و تنهدت فأمامها الكثير حتى تتنفس الصعداء، وأخذت تدعو الله من كل قلبها أن تمر تلك الليلة عليها بسلام .

* * *

صرخت ريم كمن اقتلعت عيناه، و قد اختصر العالم كله في عينيها في تلك اللحظة بالمنظر الرهيب الذي

اصطدمت به، و شعرت كأن سكينا حادة قد اخترقت صدرها و اقتلعت قلبها من مكانه، و للحظات نسيت كل ما كان من حياتها السابقة ،و اختفى من أمامها كل ما أرادته أو تمنته يوما لحياتها القادمة و فقدت الإحساس بكل شيء آخر سوى ذلك المشهد الدامي .

حدث ذلك عندما أوقف رجال مقنعون مدججون بالسلاح الحافلة التي كانت تقلها مع الطلبة في الطريق إلى الجامعة ، و أمروهم بالترجل منها، و ما إن نزل آخر طالب كان في تلك الحافلة حتى ظهرت سيارات الشرطة و الدبابات الأمريكية من اللامكان، و سرى التوتر بين الجميع كسريان النار في الهشيم، وبدأ رجال الجيش الأمريكي بإطلاق النار عشوائيا، و رد المقنعون بشراسة على حين تبعثر جميع الطلبة راكضين صارخين في اتجاهات مختلفة، و قد تملكهم فزع رهيب، فمنهم من ذهب في اتجاه الجنود الأمريكان لعلهم يحمونه من المقنعين، ومنهم من ذهب في جهة المقنعين لعلهم يحمونه من الأمريكيين و قلة منهم سقطوا على الأرض، و لم تعد أقدامهم لتحملهم.

لم تعرف ريم هل هم موتى أم أسقطهم الخوف فأسرعت هي مع من ذهبوا بعيدا عن كل هذا ، فلا لجأت للمقنعين و لا هي استجارت بالجيش الأمريكي، إنما أطلقت لساقيها العنان في اتجاه الشوارع التي خلت

في تلك الساعة من الناس ، و لم تدر بنفسها و لا بحالها، و لم تحفظ ذاكرتها شيئا عن الأماكن التي مرّت عليها و لا الأزقة التي اخترقتها، بينما كانت الطلقات النارية تزداد كأن الحرب كلها اختصرت في تلك البقعة من بغداد، و كل ما كانت تشعر به هو الفزع من أن يكون هناك من يلاحقها.. الفزع من أن تكون الطلقات تلاحقها .. الفزع من أنها إذا نظرت خلفها لثانية واحدة سيخترقها الرصاص.

شعرت ريم أن الموت يلاحقها كما تلاحق هي حياتها في تلك الساعة، لم تتوقف لثانية واحدة حتى لتستجمع قواها أو تأخذ أنفاسها، فاللثانية ثمنها في هذه الحالة وهو ثمن قد يكون غاليا جدا ..أحست بأنها في دوامة، حيث كانت تدخل في زقاق و تخرج إلى آخر إلى أن اصطدمت عيناها في أحد تلك الأزقة بثلاث جثث ملقاة على الأرض أمامها، وكانت إحداها بلا رأس، و قد تدحرج ذلك الرأس المفصول على مقربة من قدميها ،بينما كانت الجثتين الباقيتين في حالة يرثى لها من التشويه المتعمد، و قد غطت الدماء المكان، كادت أن تسقط فوقها و هي تصرخ.

في تلك اللحظة بالذات لم تخف ريم من الجثث أو من الطلقات، التي لم تعد تسمع لها صوتا و لا صدى، إنما

شعرت بألم رهيب يخترقها كالسهام و سقطت على ركبتيها ثم على وجهها و فقد ت الوعي .

لم تر ريم في حياتها مثل ذاك المنظر، فهي لم تكن تتابع الأخبار بل كانت منذ الصغر تهرب من نشرة الأخبار كمن يفر من ألسنة النيران .. كانت تخاف أن تقع عيناها على ما يكدرها و يفسد مزاجها العالي، فقد كانت رقيقة الطبع يؤلمها منظر طائر جريح أو مكسور الجناح، فكيف بمنظر بشر و قد قتلوا وقطعوا و مثل بهم بأشنع الطرق؟.

أفاقت لتجد نفسها في المستشفى، عرفت ذلك من اللحظة التي فتحت فيها عينيها لتجد المصباح الأبيض المميز للمستشفيات فوق رأسها، وبقيت للحظات بلا حراك و عادت تفاصيل الحادث إلى رأسها .. ضغطت على رأسها بقوة محاولة أن تبعد تلك الذكرى و ذلك الصداع الذي كان يضرب رأسها، ونظرت حولها لتجد الكثيرين غيرها ممن رموا على أسرة في حالة يرثى لها، و كان المستشفى متسخا، و كل الممرضات مشغولات و لا أثر لطبيب واحد، فالحالات الخطرة كثيرة.

دعكت عينيها ثم قامت مترنحة من السرير، لم تحتج للبحث عن ملابسها فحالة المستشفى لا تسمح بتغيير ملابس المرضى، و تأملت حولها الجرحى وقد فطر

قلبها فهم يتألمون في ملابسهم المغطاة بدمائهم، وتساءلت:

- أيعقل هذا ؟.. و كيف يحدث هذا معها؟.

لم تتخيل في حياتها كلها أن ترى ذلك الموقف وازدادت حزنا و الألم يعتصر قلبها، ومع ذلك فقد بدت أحسن حالا من الجميع في ذلك المستشفى ، ومن كانوا في أحسن حالاتهم طالعوها بفضول كأنها من كوكب آخر، فملابسها أنيقة رغم التراب الذي غطاها بعدما سقطت أرضا، كما أنها كانت تنظر للجميع في دهشة مزجت بالألم، بينما هم قد تعودوا على تلك الآلام، ولم يعد للدهشة عندهم مكان، فما يحدث ليس غريبا و أهل العراق يعانونه يوميا منذ سنوات، ولكن ريم لم تقارن نفسها بهم بل انسحبت في هدوء محاولة أن تلملم شتات نفسها، و فكرت في سرها أن تترك السرير لآخرين يحتاجونه أكثر منها بعد أن رأت بعض الجرحى جالسين في ممرات المستشفى يتلقون الإسعافات الأولية وهم على الأرض..آلمها المنظر و تمنّت لحظتها لو كان بيدها شيء .. أي شيء لتقدمه لهم.

شعرت في تلك اللحظات و هي تخطو خارجة من باب المستشفى بانتماء عجيب لأولئك المعذبين، و شعرت بحقد رهيب على الأمريكان و الإرهابيين.. فالطرفان وعدا بالعمل على أمن و سلامة العراقيين، ولكنها لا

ترى أي من هذا بأي شكل كان، و شعرت بغصة و هي تفكر في الناس الذين يضطرون لمعايشة كل هذا، فهي و من هم في مثل حالتها يمكن أن يرحلوا لحظة ما يريدون ..هي لديها حياة أخرى في مكان آخر بعيد عن كل هذا، أما أهل بلدها الجريح فإنهم لا يملكون مفرا مما هم فيه ، ولم تستطع أن تفكر في شيء لحظتها سوى في العراق و أطفال العراق وأهل العراق.

لم تكن ريم عروبية يوما و لكنها تساءلت:

- لماذا لا يساعدنا العرب بدل أن يساعدنا الأمريكان ؟.. و متى سينتهي هذا العذاب؟.. و متى سيمكنني أن أعود لوطني فأجده آمنا يصلح العيش فيه ؟.. متى ستنتهي غربة روحها ؟

خواطر و تساؤلات كثيرة ازدحمت في رأسها، و هي تعبر الشارع بينما قطعت سيارة إسعاف طريقها فتابعتها بعينيها ، وقد انحدرت منهما دمعات كبيرة تباعا على وجنتيها.

* * *

انتفضت هيفاء حين طرق بابها بقوة وجرأة لا تملكها سوى المشرفة المناوبة في تلك الليلة، فقامت

openelkanah.com

بتردد و فتحت الباب لتجد ملك تقف بين المشرفة ورئيسة العاملات كمجرم يقف بين الضابط و"شاويشه".. بدت ملك وكأنها تحاول قول شيء بعينيها، و إن بدت مرتاحة نوعا ما، على حين قالت المشرفة برسمية مبالغ فيها :

- مساء الخير .. إذا سمحت سنقوم بتفتيش الغرفة .

ثم دفعتها برفق و دخلت دون انتظار أن تسمح لها بذلك، في حين كانت هيفاء تشتعل غيظا، و أوشكت على البدء بإلقاء محاضرة في احترام الخصوصية على مسامع المشرفة و رئيسة العاملات ،لكن كل ما أوشكت على قوله تبخر حين اتجهت المشرفة أول ما اتجهت إلى الكومودينو و فتحت أدراجه ،ثم انتقلت إلى أدراج المطبخ و تحت المفارش، حينها أدركت هيفاء بمزيج من الدهشة و الراحة نوعا ما .. أنها تبحث عن شيء صغير ، إذ لا يمكن أن يختبيء شيء بحجم بشار في درج خزانتها مثلا، والتفتت إلى ملك التي هزت برأسها و غمزتها بينما وقفت رئيسة العاملات بينهما في محاولة لمنعهما من الاتفاق على خطة ما، فطالعتها هيفاء من رأسها إلى أخمص قدميها ثم رمقتها بنظرة ساخرة، ثم قالت بثقة و هي متأكدة من خلو غرفتها من الممنوعات :

- هذا يكفي !.. ما لذي تبحثين عنه بالضبط .

رفعت المشرفة رأسها بعد أن كانت تنظر تحت السرير و قالت :

- آسفة على إزعاجك ..هذا تفتيش روتيني تقوم به الإدارة في غرف الطالبات .

تبادلت مع ملك النظرات و قالت باستنكار :

مادام تفتيش روتيني فلماذا تقومين به في غرفتي وغرفة ملك فقط .. أريد أن أراك تفتشين كل الغرف الأخرى كما تفعلين معنا تماما .

رمقتها المشرفة بنظرات حادة ، و قالت و هي تمشي متجهة نحو الباب :

- نحن قمنا بهذا فعلا .. تصبحين على خير .

قالت ملك من بين أسنانها :

- كذابة !.

سمعتها هيفاء فهزت رأسها موافقة، و ما إن خرجت المشرفة و تابعتها حتى صفقت ملك الباب بقدمها و هي تضحك، بينما تعلقت هيفاء بها منتظرة التفسير فأسرعت ملك تقفز على سرير هيفاء و هي تقول :

- اهدئي بالا يا عزيزتي فهي لم تكن تبحث عن بشار إنما كانت تبحث عن "السيجار" !

رفعت هيفاء حاجبيها مبدية عدم الفهم، فتابعت ملك:

- كانت تبحث عن سجائري ، بالتأكيد واحدة من "بصاصات" الطابور الخامس قد رأتني أدخن خلف

السكن أو شمت رائحة الدخان المنبعثة من غرفتي .. ولكن الله ستر، لم تجد غير الولاعة .
قالت هيفاء بارتياح :
- الحمد لله .. لو كانت سمعت شيئا عن بشار لقلبت السكن حتى تجده .
لوّحت ملك بيدها وهي تقول :
- لو ترين كيف تصرفت أمام المشرفة.. لقد كنت في غاية التوتر و أخذت أوّلف الكذبة تلو الأخرى، و أعطي تفسيرات و أسبابا لم تطلب مني، كأن لسان حالي يقول :
- لو كنت تظنين أني أدخن وأخفي صديقي في غرفتي وأن لهيفاء علاقة بالموضوع ، فأنت مخطئة .
ضحكت هيفاء و تنهدت بارتياح، بينما قالت ملك بمرح :
- ولكن أين أخفيت بشار ؟!.
فأشارت هيفاء بأطراف سبابتها لأعلى، فقالت ملك غير مصدقة :
- في السطح!!.. أنت مجنونة أكثر مني .
و قامت تفتح الثلاجة لتأخذ مشروبا يخفف حرارتها التي ارتفعت من التوتر بينما أخذت هيفاء تفكر في الكيفية التي تخرج بها بشار من السكن، و شعرت بالصداع يكاد يفجر رأسها ، لكن الأفكار جاءتها مرة

obeikandl.com

واحدة ووجدت أكثر من خطة لتخرجه بها، فبإمكانه مثلا أن يتنكر في ملابس عامل من تلك التي تترك أحيانا في المخزن ، و هناك حل آخر هو أن يقفز من على السور و تأتي سيارة ما لأحد أصدقائه من شلة ملك وتأخذه وغير ذلك الكثير، لكنها وجدت نفسها في غاية الإرهاق .. إرهاق نفسي وجسدي مما حدث لها تلك الليلة، كما أن كل حل طرحته و فكرت فيه ينطوي على خطورة كبيرة، خصوصا و قد أصبحت العين عليها و على ملك بعد موضوع السجائر الممنوعة حسب لوائح و قوانين سكن الطالبات.

شعرت هيفاء أن ما حدث تحذير إلهي، و كأنهاإشارة بأن تلك الليلة ليلة منحوسة ليخرج فيها بشار و خافت من أن ينقلب ما خططت له عليها و على ملك و تقعان في ورطة ،وحدّثت نفسها :

- ما حدث من تفتيش كان ورطة اجتزناها معا، و لكن النجاة من مشكلة أمر رائع و ممكن حدوثه أما النجاة من مشكلتين فصعب و " مش كل مرة تسلم الجرة "

عند هذا المثل فاتحت ملك بما اعترى فكرها و قد قررت بأن يبقى بشار في السكن تلك الليلة، و لكن على السطح، فابتسمت ملك و هي تمسح فمها بظهر يدها في محاولة لتبدو خشنة و صعبة، و قالت :

- كوول .

* * *

تأملت شريهان وجهها في مرآة الحمام، وهي تحاول تعديل ماكياجها لتبدو في مستوى ميرال ، في ذلك اليوم كانت قد عرّفت ميرال بصديقتها الجديدة التي تعرّفت عليها في الجامعة، و لأن ميرال قد فقدت أعضاء شلة الفايف ستار بعد أن سافرت كل واحدة لتدرس في بلدها و لم يبق لها سوى لمى فقد أخذت تخطط لبناء الشلة من جديد، حيث تضمنتها هي و لمى و مهرة و سمر صديقة شريهان الجديدة، لأنها بدت لها من نفس " الستايل "، و فكرت أخيرا بضم شريهان معهن لا لشيء إلا لأن سمر تصحبها معها في كل مكان تذهب إليه .

في ذلك اليوم كانت مهرة قد خططت للخروج لتلتقي بـ"سلطان" و سلطان هذا هو الشاب الذي رقمها، والترقيم في الخليج ،لمن لا يعلم، كمن يوشم خروفا بوشم، فيقول ذلك الواشم : لقد وشمت ذلك الخروف، و هذا هو حال المرقم فهو يقول بين أصدقائه بأنه رقم فلانة و علانة، و كأنه يضع علامة من نوع ما عليها، و إن كان هذا لا يمنع الباقين من وضع علامتهم أيضا، و يتم الترقيم بعدة طرق، منها: أن يلقي الشاب ورقة

كتب فيها رقمه عند قدمي الفتاة فيسهل عليها وضع قدمها فوقها كأنها قطعة نقود وجدتها ثم تلتقطها بسرعة، ومنها أن يعطي الشاب الفتاة الورقة المعهودة يدا بيد في أثناء مشي سريع مصطنع، وعندما يصطدم بها عامدا و كأنه في أحد الأفلام الجاسوسية يسلم الميكروفيلم للعميلة دون أن ينتبه المارة، و هذه الصورة تتكرر في كل يوم و في كل شارع من شوارع الإمارات تقريبا ، ثم هناك من يمد الوريقة من نافذة سيارته كما فعل سلطان في البداية.

هناك أيضا المنظر المضحك كمنظر الجواسيس اللذين يحدثون بعضهم دون النظر في وجه بعض، فترى الشاب أو في بعض الأحيان الصبي الذي لم يتجاوز العاشرة يقف إلى جوار فتاة و ينظر إلى الأفق كأنه يستلهم قصيدة أو يرتشف من حقائق الكون ويتكلم ناظرا للمجهول، و في هذه اللحظة يكون قد نطق رقمه المكون من أرقام متشابهة في العادة ليسهل على الفتيات حفظه، وبالفعل تسجل الفتاة الرقم في ذهنها بسرعة و منه إلى الموبايل ليبدأ المسج أوالميس كول و من ثم المكالمة، فالتعارف فالمقابلة و الطلعات والدخلات.. و هلم جرا ، و كل على حسب مزاجه، ونادرا ما تعطي فتاة رقمها للشاب في الشارع فهي هكذا تكون "رخيصة" و "عيب"!، أما إذا أخذت هي

الرقم فهذا أمر عادي، ففي النهاية هو من سعى إليها وليست هي ، و الشباب عموما يزدرون الفتاة التي تسعى إليهم و يقللون من قيمتها ، فإذا كان أحدهم يموت و يتحرق شوقا للتعرف إلى إحداهن، و قامت تلك الأخيرة بإعطائه رقمها سابقة إياه ، فإنه لن يتركها بالطبع، و لكنها ستسقط من عينه على حد قول الشباب ذوي الخبرة في أمور التعرف و غرام التليفونات.

في الإمارات و دول الخليج العربي عموما تتوطد العلاقة على التليفون في معظم الأحيان، و بالتالي فغرام الموبايل أو التليفون هو الغرام الشائع هناك وفي أحيان كثيرة يتطور الوضع إلى أن تكون العلاقة بمختلف مراحلها على الموبايل، و هذا في الحالات التي يخاف فيها الحبيبان من الناس و كلامهم وهذا قليل، أو في حالات البنات المتحرقات شوقا للغرام و الهيام، لكن الأهل يقفون لهن بالمرصاد فلا فرصة " للتزويغ" أومغافلة حراسهم الدائمين المقيمين ،و يبقى حلم "الدون جوان" و الوردة بين أسنانه يداعب خيالهن كل يوم وليلة وساعة، و ترغبن في أخذ الوردة ثم تتحول الرغبة إلى قرار.. وفي النهاية يقررن أخذها بأي شكل كان، فيغدو الغرام على خطوط شبكة الاتصالات هو الحل الوحيد الآمن المتاح، و الأذن تعشق قبل العين

أحيانا، مما أوجد ظاهرة مقززة و مرضية بالدرجة الأولى و هي " السكس فون "

في تلك الحالة يمارس العاشقان بالخيال أولا، ثم بالكلام و التأوهات و تبادل العبارات غير اللائقة حتى يصلا لحالة من الاستثارة و النشوة كما في الممارسة الجنسية الفعلية، وإن كانت حالة غرام الموبايل تشبه العادة السرية إلا أنها تختلف عنها في أنها لم تصبح سرية تماما، فصوت كل منهما يصل للآخر و السر إن خرج من صدر صاحبه لم يعد سرا.

على العموم فبالنسبة لمهرة فهذه مرحلة لا يمكن أن تصل إليها أبدا فهي تأنف من هذه الحالة لا لشيء إلا لأن مستواها العالي كونها بنت الحسب و النسب لا يسمح لها بذلك، كما أن أحدا لا يستحقها كما تعتقد دائما اعتقادا يقينيا ،و إن كانت تبحث عن صورة معينة لذلك العظيم الذي يستحق مهرة الفاتنة، و الأمر لديها أشبه بالتفاح و البطيخ .. فهي تحب التفاح و لكنها إذا رأت بطيخة تضع على رأسها تاجا و تجلس في المقام العالي فهي بالطبع ستأكل البطيخ، و أن كان قلبها في التفاح، فالأولوية للمقام العالي الذي يناسب مقامها حتى و لو كان قرعا.. أو بطيخا .

و بطبيعة الحال و حسب لوائح سكن الطالبات فلا يمكن لمهرة أن تخرج من السكن بمفردها، مما اضطرها لطلب ميرال لمرافقتها، و انتشرت الفكرة بين أعضاء الشلة فما كان منهن إلا أن هاتفن أولياء أمورهن لإرسال التصريح الذي يمكنهن من مرافقة ميرال و مهرة صاحبتي التصريح الدائم، و تذمرت كل منهن سرا و علانية من الإجراءات الطويلة و المعقدة للسماح بخروجهن من بوابة الجامعة ، مما دفع لمى إلى القول مخاطبة سمر و هي تملأ بيانات أوراق التصريح :

- ما كل هذا ؟!.. كأننا نملأ تصريح الخروج من معتقل، ثم لماذا يجب علينا الاتصال بأهالينا لنحصل على موافقتهم كأننا في الابتدائي؟ ة ثم لماذا يجب أن يرسل والدي صورة من جواز سفره بالفاكس تتضمن إقرارا منه بالسماح لي بالخروج مع صديقتي و هو في كامل قواه العقلية !

ضحكت سمر ضحكة مكتومة و هي تقول :

- نعم ، و ليس هذا فقط بل يجب أن تتصل المسؤولة عن السكن هيام الرصافي و تتأكد بنفسها من شخص الوالد، و أنه هو بالفعل من أرسل التصريح.. بالله عليكن من الذي سيرسل جواز سفر الوالد غيره ؟!!.

ooalkanah.com

اتسعت عينا شريهان و هي تسمع هذه المعلومة، فهي تعرف أن والدها لن يوافق أبدا على منحها أي تصريح، فاحتالت لتحصل عليه ، وهي تذكر يوم جاء ليسجلها في تلك الجامعة خصيصا لأنها تحضر على البنات الخروج نهائيا بدون موافقة ولي الأمر، وقال لهيام الرصافي التي كانت تقف على رأسه وهو يملأ استمارة السكن لشريهان:

- لا يسمح لابنتي بالخروج من السكن نهائيا إلا بموافقتي الشخصية أو بحضوري.

حسب اللوائح و القوانين إذا خرقت شريهان هذه القاعدة و أخرجت قدمها شبرا من حدود المبنى السكني ،أو حدود قسم البنات من الجامعة فستفصلها الإدارة في الحال .

بلعت شريهان ريقها بصعوبة و هي تفكر فيما قالته سمر، و تخيلت مصيرها لو علم والدها بحيلتها، فهي موقنة بأنه لن يسمح لها بأن تتخطي خارج عتبة غرفتها لو استطاع ، فطلبت المساعدة من أخيها شادي الذي حصل على صورة من جواز سفر والدهما، و أرسل التصريح بدلا عنه ، لكنها بعد أن سمعت بأن الحيّة البشرية هيام الرصافي ستتأكد بنفسها، أدركت أنها هالكة لا محالة فلا مجال للخداع هنا ،غير أن

ذهنها تفتق عن فكرة مدهشة فاتصلت بسرعة بشادي و ناشدته بأن يبعد والدها عن الهاتف قدر الإمكان، وأن يرد هو على الموبايل و يدعي أنه هو والدها.

تخوف شادي في البداية و لكنه قرر مساعدتها بعد توسلاتها، وحين استراحت نفسيا و اطمأن بالها أخذت تتأمل رفيقاتها، و قد انزوت كل واحدة منهن بعيدة عن الأخرى تتحدث بصوت منخفض على الموبايل، ومابين الابتسامات و الضحكات و طول المكالمات استطاعت شريهان أن تخمن من الطرف الآخر لكل منهن، وتأملت هاتفها بتعاسة.. إنها الوحيدة بينهن التي لا يرن هاتفها مطلقا إلا حين يتصل شادي أو الخالة منيرة، أو يتذكرها والدها فيما ندر و لا يتصل إلا ليشدد عليها أن تهتم بدراستها دون حتى أن يسألها عن حالها، و يغلق الخط و ينساها، أحيانا يمر أسبوع كامل دون أن يتذكرها، ولكنها يوم تعود إلى أبوظبي تراه أول الواصلين ليقلها حين تنزل من الباص خوفا من شباب القسم الطلابي في نفس جامعتها، حيث تتصادف عودتهم أحيانا مع موعد وصول باصات الطالبات.

لطالما شعرت شريهان بالإحراج من الطريقة التي يعاملها بها والدها أمام الجميع ،فهو يأتي مسرعا ليأخذ حقيبتها من يدها و يدفعها بيده لتتحرك أمامه إلى

السيارة، والويل لها إذا نظر شاب نحوها أو رماها بكلمة إعجاب فإنها تكون المذنبة في نظر والدها ، وقد يمطرها بوابل من المحاضرات عن ملابسها الفاضحة وماكياج الحفلات الذي تضعه على وجهها،و حتى عطرها لم يسلم من وصفه له بأنه مركز، مثير تستعمله متعمّدة لجذب الشباب إليها، بل إنه حتى قد يعذر الشاب الذي عاكسها كونها هي التي أغرته على حد اعتقاده.

تأملت شريهان ملابسها بفتور و تساءلت في سرها:

- كيف يمكن أن تكون ملابسي فاضحة؟

هي لم تكن ترتدي يوما شيئا ضيقا أو مكشوفا، وحتى في ذلك اليوم الذي تعلم أنها ستقابل فيه الكثير من الشباب فقد ارتدت بنطلونا و قميصا بسيطا بني اللون واسع التفصيل، بينما ارتدت لمى و سمر الجينز الضيق الذي احتارت شريهان في الكيفية التي استطاعتا " حشر" نفسيهما فيه، كما أن القميص القصير يرتفع شبرا كلما تحركتا أو رفعتا يديهما في حركة بسيطة، وقالت شريهان في سرها :

- إن كمية الماكياج التي تضعانها قد تبلغ أربعة أضعاف ما وضعته أنا .. "صيّع".

ولكنها لامت نفسها على نعت صديقتيها بالصيع، و إن شعرت بالغيرة ليس من مظهرهما و لكن من الحرية التي تتمتع بها صديقاتها .. كلهن ، لمى وميرال وسمر و حتى مهرة المواطنة، مع أن الإماراتيين و الخليجيين عموما معروفين بالشدة والحزم تجاه بناتهم، إلا أن كل بناتهم يتمتعن بحرية أكثر منها بكثير، مع أنها ترى بوضوح أنهن يستعملن حريتهن تلك في كل ما يعيب كما تعتقد و رأت أنهن لسن أهلا لهذه الحرية .. بينما هي تستحقها .. تستحق أن يعطيها والدها بعضا من تلك الحرية و لو قليلا من الانطلاق .. هي لم تخن ثقته يوما و لكنها عادت تهز رأسها و استطردت قائلة:

- منذ متى أعطاني الثقة، لقد كنت دائما عنده موضع شك بل و اتهام .. اتهام بأشياء لم أفعلها و لم أقلها و لم أفكر فيها.. إنه يعاملني كأني قنبلة موقوتة يخاف أن تفجر فضيحة و كأن كوني بنت جريمة لا تغتفر .. دائما يراني ناقصة العقل و الدين كما يقول عن جنس النساء، حتى إنه يفرق بيني و بين أخي الأصغر ويجعله في موضع سلطة علي، و لولا شخصية شادي المتسامحة لأمسيت أكره أخي أشد الكره ، فأنا دائما تحت الرقابة من والدي و عندنا يغيب ينقل ملكيتي إلى شادي أو خالتي منيرة أو واحدة من عماتي المقيتات.. إنني بسببه .. لا أملك حياة عاطفية .

لامت نفسها عن هذا التفكير ، فالمجتمع العربي قد يقبل – نوعا ما – أن تطالب الفتاة بحريتها، و لكن أن تخرج عن حدودها و تطالب بحياة عاطفية غير الحياة الزوجية فهذا كثير بل و يعتبر وقاحة، و رأت شريهان أن لا حق لها أن ترغب بشيء حرام أو عيب بل يكفي أن ترغب بحريتها على ألا تتضمن الحرية العاطفية،

عادت تتأمل الشلة و قد اكتمل العدد بعد أن نزلت ميرال و مهرة إلى ردهة الاستقبال، و قد تزينت مهرة كأنها في الطريق إلى حفلة ، وقالت شريهان في سرها :

- لا تبدو مهرة كمن يخطط لفسحة البريئة..و لكن ميرال تبدو رائعة بهذه الملابس الرياضية البسيطة، يبدو أن أحدا لا ينتظرها اليوم .. إنها مرافقة لمهرة إذا...

قطع عليها أفكارها ظهور شذى فجأة من باب السكن و قد ارتدت تنورة قصيرة كشفت عن ساقيها حتى الركبتين، و التفت بقميص وردي مزيّن بأزهار حمراء صغيرة، وتحمل كتبها عائدة مسرعة من الجامعة لتملأ هي أيضا تصريح الخروج، وما إن وقع نظر شريهان عليها حتى صعقت ، و نقلت نظرها بين ميرال و شذى و قد وقفت كل منهما مصدومة لمرأى الأخرى واحتقن وجه ميرال غيظا، فآخر ما تريده هو وجود عدوتها

اللدود معها في نفس الجامعة و في نفس السكن ، وليس هذا فقط بل في نفس مبنى السكن أيضا، أما شذى فقد تجاوزت الصدمة بسرعة، ولو كانت عيناها تطلق الرصاص لحولت ميرال إلى مصفاة بشرية ، لكن مهرة تدخلت لتهدىء ميرال و لتمنع قيام صراع الجبابرة في ردهة الاستقبال، و قالت بسخرية :

- انظرن من هنا !.. هلا يا شذى ..لم نتوقع هذه المفاجأة السارة.. يبدو أنك خارجة أيضا .

في نفس اللحظة دخلت هيام الرصافي من الباب لتبدأ دورتها في البحث عن أي مخالفة أو مشكلة لتكبرها، ولما لم تكن شذى قد قابلتها من قبل فقد تكلمت بحرية في وجودها، و قالت في محاولة لإزعاج ميرال :

- نعم فأنا لدي موعد .. على عكس إحداكن هنا..

ثم نظرت إلى ميرال بسخرية و استطردت :

- سأقابل حسام في صحارى مول..هل تريدينني أن أسلم لك عليه؟ .

ابتسمت ميرال بتشف، و هي تراقب تأثير كلام شذى على وجه هيام الرصافي التي كانت تتابع الحديث بشغف و سعادة، فقد أنعم الله عليها بفتاة جميلة براقة مغرورة تتشدق أمام مسؤولة السكن هيام الرصافي، بأنها ستذهب لمقابلة شاب و تقولها هكذا بدون اعتبار،

openkanai.com

فضيقت عينيها على طريقة المتحري الذي كشف المجرم متلبسا، و ما كان منها إلا أن سحبت التصريح من يد شذى بسرعة خاطفة و عقدت يديها، وهي تقول أمام ذهول شذى:

- أهلا، أهلا بطالباتي الجديدات.. إذا ستذهبين لمقابلة حسام ؟.. ماشاء الله .. أنعم و أكرم على التربية والأخلاق، ثم ما هذا الذي ترتدينه..هل ستذهبين لمقابلة السيد حسام هذا في غرفة النوم ؟!

ضحكت ميرال من كل قلبها و شاركتها الباقيات الضحك باستهزاء، في حين كانت شذى توشك على الانفجار، و تحول وجهها إلى حبة طماطم كبيرة، أما هيام الرصافي فقد سعدت و طربت لسكوتها فاستطردت قائلة بحدة :

- أعطني بطاقة هويتك و تعالي معي إلى المكتب، وهذا التصريح سيلغى، سأتصل بولي أمرك لأعرف رأيه بالموضوع .

وهجمت على مرفقها كالكماشة و خرجت بها تصحبها إلى المكتب في حين تنفست شريهان الصعداء بينما قالت ميرال و هي تمسك بيدها :

- اسمعي يا شري، أريدك أن تأتي معي .

ثم التفتت إلى مهرة و استطردت :

- مهرة سألحق بك فيما بعد .. أنا و شري سنذهب في مشوار صغير و أنت ابقي مع لمى و سمر و سأعود إليكما سريعا .

حاولت مهرة الاعتراض فهي تريد مقابلة سلطان مع ميرال ثم تتركها وتنفصل عنها بعد ذلك، حتى يأخذ سلطان عنها فكرة مفادها أنها لا تأتي لمقابلته بمفردها و حتى لا يعتبرها " صايعة" خرجت لمقابلته ركضا بمجرد أن تعرف عليها بواسطة التلفون .. فكرت بأن تدعي أمامه و أمام نفسها بأنها ستخرج مع ميرال وتراه بالمرة !، و لكن ميرال لم تترك لها فرصة الاعتراض

و أسرعت تسحب شريهان وراءها و هي تخرج من باب السكن في خفة، بينما كانت تشكر الظروف التي دفعت بعدوتها شذى إلى الكلام عما تخطط له أمام مديرة السكن .. سيتسنى لها أن ترى حسام و أخذت تفكر فيه ..وقالت محدثة نفسها :
- إذا فهو قد أتى من أبوظبي متعبا نفسه في الطريق الطويلة فقط ليرى شذى! أولم يكن يستطيع أن ينتظر ويراها في عطلة الأسبوع ؟.. هل لا يطيق صبرا عنها!

obeikandi.com

أثبت نفسها على سعيها لمقابلته فهو لا يتوقعها هيإنما يتوقع شذى.. إنه لا يريدها هي إنما يريد شذى، و حاولت أن تكذب على نفسها فتعللت بأنها ذاهبة لتنهي علاقتها به و لكنها عادت تتساءل في سرها :

- ألم أنه علاقتي به في آخر مكالمة ؟ و حذرته من أن يعيد الاتصال بي بأي شكل كان .. فكيف أذهب الآن إليه بنفسي؟.. ماذا سيقول عني ؟.. هاهي ميرال تعود لي باكية يائسة.. لا ، لا لن يحدث هذا أبدا يا حسام .. سأمنحه اليوم آخر فرصة، إن لم يعد لي فأنا لا أريده، لن أحاول إرضاءه بأي شكل كان .

حاولت ميرال أن تخفف عن نفسها، ثم قالت لشريهان :

- سنذهب إلى صحارى مول، و بالتأكيد سنجد حسام هناك ينتظر في " كافيه " كعادته هناك سأنتهي منه نهائيا ... تعرفين يا شري أنه لم يعد يهمني البتة ولكني أريد أن أعرف رده النهائي فقط .. فهو دائما يتركني أهدد و أتوعد ويسكت كأنه البريء و كأني أظلمه وأملي عليه ما أريد لذلك، فاليوم أريد أن أسمعه .. هل تفهمين ما أقصد يا شري ؟.. أنا لا أحاول استعادته أبدا كما تعلمين !.

هزت شريهان رأسها موافقة و ابتسمت لها مشجعة، فلأول مرة تحدثها ميرال و كأنها صديقة قريبة ، و إن كانت لم تصدق كلمة مما قالته ، فهي تبدو كمن يفعل شيئا غير مقتنع به من الأساس و يكلم الآخرين عن خلفية فعله ذلك دون أن يطلب منه التفسير، و كأنه يعترف بعكس ما يقول، و شريهان ترى أن ميرال قد تعلقت بحسام كما لم تتعلق بأحد ما قبله، فقد عايشت الكثير من مغامرات ميرال العاطفية منذ الإعدادية وحتى الثانوية و كانت تغيّر "البوي فريند "كما تغيّر جواربها، و لم تكن لتعبأ بأحدهم، فقد كانت كل علاقة بالنسبة كحكاية أخذت وقتها و انتهت .

* * *

ما إن وقع نظر شريهان على حسام حتى عذرت ميرال لتعلقها الزائد به، و حسدتها في سرها و لعنت حظها، و أخذت تفكر بأنها لم يكن لها صديق أبدا، لكن لماذا لا تتعرف على الشباب مثل صديقاتها؟.. مثل الجميع، إن ما يمنعها ليس أنها لا تريد بل هو أنها تخاف.. تخاف من والدها و تخاف من عماتها وتخاف من الناس .. و خوفها يتحول أحيانا إلى ذعر فتبقى مكانها.. تأملت ميرال و هي تقترب من حسام بعد أن

تركتها لتقف بعيدا لتنتظر نهاية المقابلة و لتتركها على راحتها .

رن هاتفها قاطعا عليها تأملها، و ما إن أدركت أن والدها هو المتصل حتى تملكها خوف شديد لم تستطع إهماله و ردت متوقعة الأسوأ، و لكنه كان فقط يذكرها بواجباتها كالعادة و يتأكد من موعد عودتها إلى أبوظبي، ولم تستطع أن تجيب لفترة، وأخذت ترنو لميرال و قد احتضنها حسام، و لم تدر لماذا كذبت على والدها و أخبرته بأن محاضراتها ستنتهي متأخرة لذا ستعود في الحافلة التي تصل الساعة الثامنة، وأضمرت في نفسها أن ترافق ميرال في الحافلة التي تصل في الثانية ظهرا و هي تتوقع أن حسام لابد و أن يوصل ميرال يوم الأربعاء إلى منزلها بعد المصالحة التي تأملتها من بعيد.

التفت ميرال و أشارت لها لتأتي، فتحركت شريهان ببطء و قد علا الحياء وجهها ، ما إن اقتربت منهما حتى قالت ميرال و ابتسامة تشرق على وجهها:

- هذه شري .. زميلتي في الجامعة .

مدت شريهان يدها لكن حسام فاجأها و احتضنها على الطريقة الأمريكية وقبلها على وجنتها، و هو يقول :

- هاي شري .. نايس تو ميت يو

لم تستطع شريهان أن ترفع عينيها نحوه ، و احمر وجهها من الخجل فضحكت ميرال، بينما حاول حسام أن يخفف من إحراجها، فقال وهو يتوسطها هي وميرال و قد أمسك بذراعيهما :

- لن أستطيع أن أجلس طويلا معكما ، لدي موعد عمل في أبوظبي، و لكن يجب أن أدعوكما على شيء .

جلستا في باحة مطاعم " الفاست فود " و تركهما حسام ليسجّل الطلبات فاغتنمت شريهان الفرصة، وقالت بسرعة :

- ميرال ! ماذا حدث بينكما .. تبدين سعيدة .

ابتسمت ميرال و هي ترد :

- لم أكن حزينة من قبل .. و على العموم لقد اعتذر لي، و قال بأن شذى بالنسبة له لا تتعدى كونها صديقة وأنها و الأخريات لديه سواء ، و لكن ...

و صمتت ميرال و قد اتسعت ابتسامتها حتى بانت أسنانها، فسألتها شريهان بلهفة :

- و لكن ماذا ؟.

فردت بصوت تمثيلي هادىء واثق :

- و لكن أنا غير الكل .

و ضحكت بثقة بينما قالت شريهان بتردد :

- أعلم أن هذا ليس من شأني .. و لكني أود أن أسألك ... هل علاقته بك جدية هذه المرة ؟.

obeikandl.com

اختفت ضحكات ميرال و رمقت شريهان بنظرة جادة ثم أدارت وجهها ناحية حسام، و بقيت صامتة حتى عاد، و كانت شريهان تفكر هل تعتبر سكوتها إجابة بنعم أم بلا، وعادت تتأمل حسام و تبتسم له فيبادلها بابتسامة أوسع و أخذ يوزع نكاته و ضحكاته بينهما، حتى وجدت شريهان نفسها تضحك من قلبها وإن كانت ميرال قد نغصت عليها انبساطها بتلك الجلسة فأحست بأنها تتعمد إحراجها أمامه، فكل ما تقوله تعلق عليه وإذا وجه لها حسام سؤالا تولت ميرال الرد، لدرجة شعرت فيها أنها مجرد شيء يخص ميرال و كان هذا إحساس حسام أيضا، و إن شعر بالشفقة على شريهان التي بقيت طوال الجلسة محمرة الوجه تهرب بعينيها منه، ثم أنه لاحظ أنها لا تقول شيئا إلا و تنظر لميرال كطفلة تراقب رد فعل أمها الصارم على كلامها، و بدت خائفة متوترة و لشد ما دهش عندما قامت عن كرسيها و قالت :

- ميرال ممكن أروح الحمام ؟

فأشارت لها تلك الأخيرة بيدها و استمرت تكلم حسام، و كأنها لم تنتبه لغرابة تصرف صديقاتها، وأخذ حسام يتساءل في سره :

- هل قالت بروح الحمام أم ممكن أروح !.

وظن أنه سمع خطأ و إن كان تسلط ميرال أزعجه للغاية، إلا أنه كان سعيدا بمصالحتها، و اتصلت شذى به مرارا و تكرارا إلا أنه لم يأبه لذلك ، وهذا ما أسعد ميرال لأبعد حد .

تذكرت ميرال اتفاقها مع مهرة فنظرت إلى ساعتها، ثم قالت :

- حسام حبيبي مضطرة أروح .

عدل حسام سترته وهو يقول :

- أنا أيضا.. أوكي حياتي ،أراك يوم الأربعاء في أبوظبي .

ثم احتضنها و أسرع يختفي، و مضت ميرال في طريقها وهي تحاول الاتصال بمهرة، ثم تذكرت أنها قد نسيت شريهان، فاتصلت بها تستعجلها وأخبرتها بأنها ستذهب مع مهرة و أن عليها أن تنتظرها في نفس المكان حتى تعود و أغلقت الخط في وجهها وهي تسرع الخطى لتلحق بمهرة .

* * *

في هذه الأثناء كانت مهرة جالسة في سيارة سلطان منتظرة بفارغ الصبر أن ينتهي من سرد قصصه المملة

على مسامعها ، فقد أخذ يحكي عن عائلته ورحلاته و سفرياته العديدة، و أين يقضيها و كيف،؟ و عن أصحابه و معارفه من الشخصيات الكبيرة و أصحاب النفوذ و القرار، و من كل هذا لم تهتم مهرة إلا بموضوع أصحاب النفوذ فسألته عن الشيخ الشاعر حامد المعروف ، فقال بكل فخر :
- طال عمرك هذا من أعز أصدقائي .

و أخذ يحدثها عنه متطوعا بذكر مناقبه و أفضاله عليه، و ما إن سمعت مهرة ذلك حتى حدثتها نفسها بأن ذلك الشيخ قد يكون هو من يستحقها و أخذت تنظر لسلطان و هو يتحدث باستعلاء واضح، و كلما تحدث عن حامد أكثر كلما نقص في عينيها أكثر، فهو في النهاية ابن أحد المسؤولين الذي لم تسمع عنه أبدا، فأين هو من فتاها الذي وضعته في رأسها و ابتسمت بثقة و هي تفكر في الطريقة التي ستستغل بها سلطان للوصول إلى حامد ، و أخذت تتخيل مستقبلها المشرق بسعادة، و قطع عليها أفكارها صوت الموبايل، فترجلت من السيارة وأخذت تستعجل ميرال لتأتي و تنقذها من ذلك السخيف الذي أوقعت نفسها معه، و ضحكت ميرال و هي تقول :

- يوم لك و يوم عليك.. لأول مرة أسمع مهرة تنادي على من ينقذها !.

قالت مهرة و هي تبتعد قليلا عن سلطان الذي اقترب منها :

- على العموم يا حياتي لم أخرج خاسرة بالنهاية من هذه المقابلة .. لدي ما أحكيه لك .

ثم التفتت إلى سلطان و قالت :

- أعذرني .. يجب أن أذهب .

فقال و هو يطالعها بإعجاب استمر منذ بداية الجلسة و حتى تلك اللحظة :

- لماذا ؟.. لا يزال لديِ الكثير لأقوله لك .

فقالت مهرة بلهجة ذات مغزى :

- و أنا أيضا .. لكن صديقتي تنتظرني ، كما أني لا يمكن أن أتأخر عن السكن فبعد الساعة التاسعة يغلقون المبنى .

قال كمن خاب أمله :

- إنها ساعة مبكرة.

أومأت مهرة برأسها و هي تمد يدها في حركة رسمية لتسلم عليه، فأسرع يلتقطها و غطاها بكفه، بينما استطرد :

- هل سأراك الأسبوع القادم ؟.

فقالت بطريقة البنت " الثقيلة " :

- لا .. الأسبوع الذي بعده قد يكون لدي وقت لأقابلك .

و سحبت يدها بمرونة و أخذت تختال مبتعدة عنه و قد تركت في نفسه تأثيرا كبيرا، وطفق يتأملها إلى أن اختفت عن ناظريه و هو يمني نفسه برؤيتها مرات أخرى ، و لشد ما أدهشه أنه بدا ضعيفا أمامها كأنها هي من يتحكم بزمام الأمور و لكنه كان يحب المرأة الصعبة ، إنها تشكل تحديا بالنسبة له ويحب أن يتعب لينالها، و بدت في عينه أروع من البنات الجميلات اللواتي عرفهن طوال حياته، و بدت له كأنها ملكة، وهو الذي ظن أنه اختبر كل أنواع البنات من مختلف الفئات و الجنسيات، و أصبح صاحب خبرة في الأمور "إياها"، إلا أن مهرة دمرت دفاعاته كلها، و أخذ يخطط من جهته لإيجاد الطريقة المثلى في التعامل معه، وأخرج الموبايل و أسرع يطلب رقما وما لبث أن قال :
- كيف حالك يا سعيد ؟.. لماذا لم تأت هذا الأسبوع ؟.. من سيف هذا ؟.. نعم تذكّرته، لقد حكيت لي عنه من قبل، دعك منه لن يفيدك غيري في هذا الموضوع ... المهم اسمعني جديا .. أنا " رقمت" بنت و لا أروع .

و أخذ يسهب في الحديث عن مهرة و جمالها ورقتها وأناقتها وشخصيتها، و طلب منه أن يسأل له عنها في أبوظبي، و كان سعيد يعرف مهرة عز المعرفة، ويعرف قصتها مع خالد في آخر مغامرة لها قبل الجامعة ، و لا يزال يذكر سخريتها منه و عبثها به أيضا، و لا يزال حقده عليها كامنا في نفسه كما لو أن القصة حدثت بالأمس، و لكنه فضل لغرض في نفسه ألا يخبر سلطان عنها، ليرى كيف ستتصرف مهرة معه، و أخذ يثير سلطان أكثر و هو يمتحدها، و يخبره كيف أنها حلم شباب أبوظبي ورجالها أيضا، و كيف أنها بنت "صعبة" لم يستطع أحد أن يأخذ منها شيئا، فسعيد يعلم بحب سلطان المرضي للتحدي و عدم قبوله للهزيمة ، وازداد سلطان إصرارا على إصرار بأن يحصل على مهرة تلك بأي طريقة كانت ، فقال سعيد بمكر :

- أعتقد أن الذوق لا يجدي معها نفعا .

ثم وعده بأنه سيساعده و أغلق الخط و قد وضع مهرة في رأسه، و أقسم على أن ينزلها من عليائها، وشكر الأقدار التي ساقتها إلى سلطان وهو من أصدقائه اللذين يملكون المال و العضلات أحيانا ، لكنهم لا يملكون ما يملكه سعيد، فهو ليس بصاحب مال- قدر ما

يملكون – و لكنه صاحب أفكار جهنمية، و قد بدأت فكرة شريرة تعربد في رأسه وهو يخطط لما سيصب في مصلحته في النهاية، وقرر أن يذهب لزيارة خالد الذي لم تكن علاقته به قوية.. لقد فكر أن يضرب عصفورين بحجر واحد، فهو سيتقرب من سيف عن طريقها بصورة أفضل، ويستعمل خالد في خطته للانتقام من مهرة ، ومن يدري ربما سيستفيد من سيف أكثر مما خطط له ؟!.

* * *

oneikandl.com

(٦)

الفراشة والبومة المظلومة

كانت حنان تجلس مأخوذة بحديث سيف.. بدا لها كأنه قادم من كوكب آخر، لم يحدثها شاب من قبل كما فعل هو.. لم يقل لها كم هي جميلة و أنه يحبها و أنه يريد كذا وكذا، و لم يحدد طبيعة العلاقة بينهما و كانت تشعر معه أنها على سجيتها.. تشعر بالراحة و الحيرة أيضا، فهي لم تتعود هذا الأسلوب من أحد، وتأكد لها أنه لا يعرف عن حنان " العاهرة" شيئا، فكل ما يعرفه عنها أخذه منها، ولم تدر هل تشكر الرب أم تلعن الحظ الذي عرفها به؟

سيف يعاملها كأنها الليدي حنان، بينما تعودت على أن يعاملها الجميع على أساس أنها هي لا أكثر ولا أقل، و أخذت تستمع إليه وقد سرحت بفكرها .. إنها تضطر إلى ارتداء ثوب الاحترام عندما تحدثه، فلم تتح لها ولو

obeikandl.com

فرصة واحدة لتفلت بلسانها اللاذع و تطلقه كما تعودت، و رغم أنه لم يفرض عليها أسلوبا معينا في الكلام إلا أنها وجدت نفسها تجبر على ذلك، و شعرت بأنها إنسان جديد، وأنها سعيدة بالتعرف إليه فعلا و إن نغصت عليها سعادتها فكرة أن يعرف حقيقتها.

لقد أيقنت حنان أنها تريد أن يبقى معها و لم تكن تفهم في أمور الصداقة أو الحب، فكل من أحبتهم من قبل كان الحب معهم عبارة عن تسلية و رقص و شرب و ليلة او اثنتين في فندق أو فيلا، وما دون ذلك كان بالنسبة لها قصصا أو أحلاما رومانسية لا وجود لها في الواقع، و بالنسبة لها بالذات لم تتخيل أن تكون من الحمقى الذين يضيّعون وقتهم في الأحلام الوردية، و لكنها في ذلك اليوم رأت أنه لا بأس من أن تكون حمقاء إذا كانت الحماقة هكذا، فهي معه تختبر أحاسيس جديدة لم تحلم حتى بوجودها من قبل، وعاودها شعور أنها غريبة عن نفسها و أنها تفقد ذاتها، وعاتبت نفسها لأنها نسيت من تكون وضحكت لضحكه و سعدت بسعادته و ظلت هناك أسئلة تحيّرها، هي :

- هل سيستمر سيف معها إذا عرف حقيقتها ؟!.. وإذا استمر معها فهل سيبقى كما هو أم سيتحول إلى النقيض ؟.. هل سيعاملها على أساس أنها الساقطة صاحبة السمعة السيئة؟.

إن هذا آخر ما تستطيع احتماله، و شعرت فجأة أنها بدأت تخاف على سمعتها لا لشيء إنما لأجله، و كلما فكرت بأنه عاجلا أم آجلا سيعرف حقيقتها كلما ازدادت توترا و حيرة.. حاولت شغل تفكيرها فبدأت تسأله عن عمله في الشركة وأخذت تمتدحها وامتدحت المدير العام ،وهي تقول :

- إنه مدير متميز وناجح ،وهذا ما أغراني بالتدريب في شركته..كما أنه رجل خلوق، وأسلوبه في التعامل لطيفا

ضحك سيف وقد تملكه العجب من أن تمتدح حنان جده وقال في سره:

- إن ذلك العجوز ذو طباع نزقة، وأنا لم أخبرها أنه جدي، فهل يعقل أن تجده رجلاً خلوقاً؟.

ثم خاطبها معلقا على كلامها:

- أخالفك الرأي، يبدو أنك لم تعرفيه على طبيعة فهو عجوز ذو طباع سيئة، ولم أعهده يعامل أحداً بأسلوب عالٍ..بل على العكس يعامل الناس بأسلوبٍ متعالٍ!

شدد سيف على الكلمة الأخيرة بينما أخذت حنان تجادله وأخذ بدوره يجادلها ووجدت في ذلك النقاش طريقاً لتبعد تفكيرها عن مخاوفها وفي النهاية هز سيف رأسه، فقالت حنان بمرح:

- هل تستسلم؟!

رد سيف بثقة:

ـ أنا لا أستسلم أبداً، ولكن اسمعي..هناك قصة في الحكايات الصينية القديمة تقول أنه في يوم تقابل ديك وبومة في وقت الغسق فتعارفا وأخذت البومة تحكي عن النجم الذي زيّن السماء وأن له نوراً فضياً رائعاً وأنه صغير الحجم ويختفي أحياناً، فكذّبها الديك وأصر على أن النجم الذي يزين السماء له نور ذهبي قوي وأنه كبير الحجم ولا تستطيع أن تدقق النظر فيه، واستمرا يتجادلان ثم افترقا كل إلى شأنه، وظل كل واحدٍ منهما مصراً على ما قاله.. أ تدرين لماذا؟ لأن البومة كانت تقصد القمر والديك كان يقصد الشمس..

ابتسمت حنان وقد ازدادت إعجاباً بأسلوبه وقالت:

ـ لكن هذا يعني أن كلا منهما كان يقصد شيئاً غير الذي قصده الآخر، بينما أنا وأنت نتكلم عن نفس الشخص..

أومأ سيف برأسه: أن لا، وقال بتذاكي:

ـ عليك أن تعرفي أن القصص الصينية لا تأخذ أبداً المعنى الواضح، لأنها قديمة كتبها حكماء يقصدون دائماً المعنى الأبعد بكلامهم، وأعتقد أن المعنى المقصود هو أن كلاً منا ينظر للأمور من وجهة نظره الخاصة، وعلى العموم لا أزال أصر على رأيي في ذلك العجوز.

ضحكت حنان وهي تقول:

ebelkandar.com

- حسناً، حسناً..أنا التي تستسلم!..ثم استطردت:
لكن..هل تعتقد أني أشبه البومة؟
ضحك سيف بودٍ وقال:
- أنا أعتقد أن البومة رائعة.. والناس يظلمونها حين يقولون: أنها شؤم.. وعموماً أنا أحب البومة.

أمسكت حنان بيده في حركة لا تلقائية وهي تفكر في البومة المظلومة وكم تشبهها، طالعها سيف بودٍ ظاهر وشبك يده في يدها كمن هو ذاهب إلى حفلة بينما أخذت حنان تسرح بخيالها بعيداً وهي تنظر إلى البحيرة بعد أن أصر سيف على أن يراها، فهو لم يزر الشارقة من قبل وقد ملّ من دبي... شعرت حينها كأنها تعيش في فيلم قديم من أفلام أبيض وأسود المصرية حيث البطل والبطلة يمشيان على ضفاف النيل، وسعادة خفية تسللت إليها بينما كانت تحاول ألا تنجرف إلى تلك الحالة التي لا تعرف لها اسماً، وظلت تقاوم تفكيرها في سيف، ولكن أنّى لها ذلك و قد أصبحت حين لا تكون معه تفكر فيه، فكيف إذا كان معها وبجانبها كتفاً بكتف؟، وتمنّت أن تقترب منه أكثر ، إلا أنها خافت من أن تفسد علاقتها معه، وهي لم تستطع أن تحدد هل هو معجب بها أم أنه يحبها ؟

سيف يعاملها كصديقة، و لكن كصديقة غالية جدا ويبدو سعيدا بصحبتها، وعلى العموم فالشيء الذي

تأكدت منه أنه لا يعبث معها و لا يعبث بها، وعادت لتحدث نفسها بأنها لم تقابل شابا مثله من قبل، وأنه من المستحيل أن يوجد مثله، هي لم تمسك عليه و لو هفوة أو خطأ في علاقتهما.. لم يرشقها بنظرة شهوانية يوما، و لم يرمها بكلمة جارحة كانت أم عابثة في أي لقاء كان بينهما، لكنها توقفت عن الغوص في خواطرها عندما وصلت إلى السؤال الدائم في كل العلاقات المعتادة:

- إلى أين ؟.. إلى أين تمضي معه ؟.. إلى أي حد قد تصل ؟

لم تتخيل نفسها تصل معه إلى حيث كانت تصل مع جميع من عرفتهم، وليس ما يمنعها شعورها إنما شخص سيف ، تراه مثال آخر الرجال المحترمين، وحاولت أن تبتعد قدر الإمكان عن تساؤلاتها ومخاوفها فأخذت تمازحه و تحكي له عما يحدث معها في الجامعة مع إغفال التفاصيل الخاصة بمغامراتها و ملاحقة شرطة الجامعة لها و غيرها الكثير مما قد يعطيه و لو إشارة بسيطة عن أي نوع من الفتيات تكون هي، ثم وجدت نفسها تحكي له عن أمها للمرة المليون، وقد تملك سيف الشعور بأن أمها تشبه أمه في ما مرت به في حياتها، ومع أنه تجنب ذكر مشاكله مع عائلته من جهة والده كما لم يخبرها أن جده صاحب

الشركة إلا أنه لم يترك صغيرة و لا كبيرة عن والدته إلا وذكرها.

أدركت حنان مدى تعلق سيف بأمه حتى بعد وفاتها و استغربت من أن يكون لسيف تلك الشخصية القوية، رغم أنه حين يتحدث عن والدته يتحول إلى طفل صغير، و تأكدت حنان أن أمه تمثل في نفسه نقطة حساسة وحزينة،إلا أنه لا يتعب من الكلام عنها ، لذلك كانت تحدثه عن أمها تقربا إليه فيحدثها هو عن أمه، وانتبهت إلى أنها كانت دائما تجعل أمها بعيدة عن الناس فهي لا تحكي عنها لأحد خوفا من أن تمس بكلمة تكون هي السبب فيها على أساس أنها أم حنان " العاهرة"، و رغم أنها كانت لا تخجل من طبيعتها ومغامراتها المشبوهة إلا أنها لم تكن ترضى أن تلام والدتها أو تذكر بما يعيب ، لكن مع سيف الوضع يختلف .. وجدت نفسها تحكي و تحكي حتى أدق التفاصيل عن والدتها و حياتها معها ، و لكنها تنبهت إلى شيء جديد فقالت بمرح :

- هل تعلم .. حكيت لك كل شيء عنها و لكني لم أخبرك باسمها .

فقال سيف بسرعة :

- لا.. لم تقولي !.

فقالت و قد وجدت جديدا تحكيه :

- اسمها ماريا و غيّرته بعد أن تزوجت بأبي إلى مريم.. ولكنني أفضل ماريا، دائما أناديها به.
فقال سيف بمرح :
- عموما المعنى واحد. لكنه اسم جميل .. هل أخبرتك أنا باسم والدتي؟.
فقالت بسعادة :
- نعم.. اسمها نيووي ،
- وهذا اسم الآلهة السماوية في الثقافة الصينية، أليس كذلك ؟.. لقد تعلمت الكثير عن الصين منك .
ابتسم سيف حتى بانت نواجده، وأذهله تذكرها لكل تلك التفاصيل عن أمه، وازداد اعتزازه و إعجابه بها، لكنه ما لبث أن قال بحزن شديد لم يدر كيف تملكه في تلك اللحظة :
- هل تعلمين يا حنان أن قصة والدتك تذكرني بمسرحية ميديا للشاعر العبقري يوريبيدس .
قالت حنان و هي تشعر بأنها لا تستطيع مجاراته:
- من ؟
قال سيف شارحا :
- إنه شاعر إغريقي ، له مسرحية تراجيدية رائعة تحكي قصة بدأت رومانسية ثم انتهت بمأساة، و كأن هذا الشاعر يعتقد أن الرومانسية تصل في النهاية إلى عكس ما هو رومانسي، لكن النقاد رأوا أنها ضد

obeikandl.com

الرومانسية بصورة هائلة، وأن الشاعر يدمر الرومانسية باعتبارها حالة قصيرة لا تدوم وكأنها سحابة صيف، أما في رأيي أنا فهي حكاية الظلم والخديعة التي تحدث في حياتنا اليومية للكثيرات من مثل أمي و أمك .

قالت حنان بفضول أذهلها، فهي لم تكن تعبأ بكل تلك الأمور الأدبية و الثقافية :

- ما هي القصة ؟.

قال سيف و هو ينظر للساعة :

- سأحكيها لك فيما بعد ، يجب أن أعيدك الآن للجامعة الساعة قاربت التاسعة .

قالت حنان :

- ليس مهما بإمكاني أن أتأخر قليلا .

فتساءل :

- لكنك قلت أنهم يغلقون البوابة الساعة التاسعة، وإذا عدت متأخرة فقد تقعين في مشاكل مع إدارة السكن .. أليس هذا ما قلته ؟!.

فقالت حنان و قد ضيّقت عينيها في خبث :

- بلى .. ولكن أنا لي أساليبي .

ولكنها استدركت بعدما طالعها سيف باستغراب :

- مسؤولة السكن صديقة شخصية لي و ستعينني في هذا الأمر.. إلا إذا كنت أنت مستعجلا ؟.

ob e ikan d l.com

فرد سيف بسرعة :
- لا ،لا ، أبدا .

* * *

ابتسمت حنان بسخرية و قد علا وجهها الاشمئزاز من فكرة أن تكون هيام الرصافي صديقة شخصية لها، و لكنها شكرت ذكاءها في إنقاذ الموقف ، فماذا قد يظن سيف بها ؟.. فلا ينقصه الذكاء حتى " يفهمها و هي طايرة " كما يقول المثل المصري ..كانت هذه الأفكار تدور في رأسها على حين قالت :

- أكمل القصة .

فأخذ سيف يحكي لها و يشرح ما لم تفهمه من مصطلحات غريبة و أسماء عجيبة لدرجة شعرت معها بأنها في حضرة البروفيسور سيف، بدا لها كأنه عالم بكل شيء ، فثقافته في عينيها تبدو محيطية،إذ لم تقابل في حياتها يوما شخصا يضيف لمعلوماتها قدر ما يستطيع سيف أن يفعل في جلسة واحدة أو يروي لها قصة أو أسطورة مما كان يحكيه لها، فكأنه يأخذها إلى عالم ساحر أخاذ، و هو حاضر البديهة .. لديه دائما ما يقوله و يربط أقواله و حكاياته تلك بحياتها و حياة الناس، و يشعرها أحيانا بأن الأساطير حقيقة و أنها

obeikandl.com

حدثت يوما ما، فهو يصفها كأنه رآها و عايشها لدرجة أشعرتها بأنها أميرة في أساطيره ، أشعرتها أنها خيال .. أنها أسطورة، فرغم أن أسلوبه غريب و جديد عليها إلا أنه رائع، و أصبحت ترى أن كل من حدثوها في الماضي كان حديثهم ضياع وقت ، فكلهم يقولون نفس الشيء و يحكون القصص التي تراءت لها في تلك اللحظة من أسخف ما يكون، و لم يمض على حديث سيف معها وقت طويل حتى تأثرت بما حكاد عن ميديا في مسرحية الشاعر" يوريبيدس" الذي لم تستطع حفظ اسمه، و قالت في سرها :

- لم أكن لأتخيل يوما أن يأتي شاب و يحكي لي عن مسرحية لشاعر إغريقي .. أكيد أني كنت سأسخر منه كل السخرية.. إن هذا الشاب الصيني ساحر حقا .

و أخذت تتفحصه بعينيها .. لا يبدو إماراتيا في أي شيء ، و هي لم تقابل شابا من أبناء جلدتها إلا و وجدته نفس النسخة عن الذي قبله و الذي سبقه ، أما سيف فكان شيئا آخر ..لقد كان ساحرا.. مميزا ، ويسهل عليها أن تعتبره صينيا، فليس فيه شيء من عرب شبه الجزيرة ، فلا هو بأسمر و لا هو يشغل كل فراغه بالبنات و المغامرات العاطفية، كما أنه لا سيتعرض ثقافته، ولولا اللهجة الإماراتية التي يتحدث بها

لاعتبرته صينيا تماما ، و لشد ما طاب لها ذلك، فما كل هذا بالنسبة لها إلا شيء جديد في حياتها فلم تعرف أو تسمع عن قصة كقصتها و قالت في سرها:

- أصلح لأن ينتجوا فيلما عن حياتي.

أخجلها ذلك الخاطر، وعادت تتأمل قصة ميديا، هي أسطورة ساحرة وخلابة لكن مؤلمة في الحين ذاته، وأخذت حنان تقارن بين ماريا والدتها وبين ميديا الساحرة والأميرة، ولقد وجدت في تلك القصة الكثير مما يشبه قصة والدتها مع الاختلاف طبعا في ما فرضته الأسطورة كطبيعة موقف و زمان، فميديا كانت امرأة تملك كل ما تمنته يوما.. أميرة و ساحرة تعيش في قصر والدها ملك "الكولخيس" و حدث أن هاجم "ياسون" وهو يحاول تنفيذ مطالب عمه ،حتى يعيد له مملكته التي استولى عليها، وهي مطالب تعجيزية كما عودتنا الحكايات، هاجم مملكة أبيها ليحصل على جزة الكبش الذهبي، و روح قريب له سجنت هناك، و حاول ياسون هذا كل ما استطاع، لكنه فشل و كاد والد ميديا أن يقضي عليه، ولكن ميديا كانت قد وقعت في حبه فساعدته في محنته و حققت له في النهاية ما أراد،وقتلت أخاها من أجله بعد أن كان على وشك الإيقاع بياسون في كمين نصبه بحنكة ودهاء، لكن دهاء ميديا كان أكبر، و هربت مع ياسون عبر البحار

وتخلت عن الجميع لأجله .. تخلت عن كل شيء في سبيله، و توقعت في المقابل حبا أبديا عارما، و كان ياسون قد وعدها بكل شيء .. بالنجوم إذا أرادت و قبل كل شيء بالحب، وعدها بأنه سيظل ذاكرا لفضلها عليه إلى الأبد، و قد وثقت فيه ميديا ثقة عمياء و أنجبت منه ولدين، و لكنه عندما وصل إلى بلاده رفضها أهله والمجتمع اليوناني بأكمله ومرت أحداث كثيرة ساعدته و ساندته ميديا فيها دائما، إلا أنه في النهاية تركها هي وأولادها ليتزوج بابنة ملك آخر بعد أن فشل في اعتلاء عرش مملكته.

هاجت ميديا وثارت، و قرر ذلك الملك أن ينفيها هي وولديها بعيدا خوفا من انتقامها، وعند هذه النقطة تبدأ المأساة و يأخذ خط الأسطورة بالتحول الدراماتيكي، وتنتقم ميديا في النهاية انتقاما رهيبا، فتقتل الملك وابنته بسحر رهيب ،ثم تقتل ولديها لتترك ياسون يتعذب إلى الأبد كما عذبها .

شعرت حنان بأن القصة أصابتها في الصميم ، فأمها ماريا كانت تنتمي لأكبر العائلات في موسكو، وحدث معها تقريبا كما حدث لميديا، ووقعت في حب والد حنان و ساعدته في كل ما احتاجه عندما جاء لإجراء صفقة تجارية كاد يخسر فيها كل شيء،إلا أن ماريا و بنفوذ

عائلتها استطاعت أن تحيل فشله إلى نجاح باهر فعرض عليها الزواج، فوافقت إلا أنه في ذلك الوقت كان يصعب عليه العودة إلى الإمارات بزوجة مسيحية، فأسلمت لأجله حتى تقبلها عائلته، ولكنها كانت من أسرة متشددة ناهيك على أنها من الأرثوذوكس المتدينين والمتعصبين لدينهم أشد التعصب، فمجرد فكرة زواج ابنتهم من رجل عربي و مسلم كانت كارثة الكوارث، و قد هُددت بحرمانها من كل شيء

و بشطبها من تاريخ العائلة بالكامل إذا أصرت على رأيها، بل و إنهم ضربوها و هددوها بالقتل ،لكنها لم تتزحزح قيد أنملة عن قرارها، فهربت معه و لكنه ما إن وصل إلى الإمارات حتى تحول إلى النقيض، وفاجأها في إحدى الليالي بأنه يريدها أن تعود لروسيا فذهلت، صدمت، ثم أخبرته أنها حامل، وقد قررت البقاء مهما كان الثمن، فعودتها إلى روسيا مستحيلة، و لا مكان تذهب إليه و لن يقبلها أهلها أبدا، فما كان منه إلى أن اشترى لها شقة و كان يزورها مرة كل أسبوع ثم أصبحت مرة كل شهر، ثم تقلصت إلى مرة كل ثلاثة أو أربع شهور، و في النهاية لم يعد يأتي و أصبح يلقي لها بالمال كأنه يمن عليها به ثم أخبرها بقراره بالزواج

من ابنة عمه، وعليها هي و ابنتها أن تبقيا بعيدتين عنه وعن حياته.

حينها فعلت ماريا المستحيل لتربي ابنتها بنفسها وبحثت عن عمل يناسبها و كان من الصعب أن تجده في"خور فكان" بل وجدت التعصب يواجهها هناك أيضا .. تعصب للجنسية بالذات و كأن الوظائف المحترمة و الشريفة فقط للإماراتيات و العربيات أو الأمريكيات، أما الروسيات فمن الطبيعي أن تعملن كراقصات أو في شبكات الدعارة، ووقعت في مشاكل كثيرة لتنأى بنفسها عن هذا الطريق ،لكنها اضطرت في البداية للرضوخ مرة أو اثنتين و أخذ الناس يخوضون في سمعتها في تلك المنطقة الصغيرة، و التي تسمع كل القصص فيها،و قد تضخمت و أصبحت الشغل الشاغل لبعض الناس، فقررت ماريا في النهاية أن تلجأ للعمل الخاص، فسافرت إلى روسيا في زيارة عمل خاطفة وأسرعت في العودة خوفا من أسرتها هناك، وأخذت تستفيد من تعليمها العالي في إدارة المشاريع الصغيرة للشركات الروسية ذات الفروع في الإمارات.. وهكذا شقت طريقها و لم تعد تحتاج لأي شخص و قد نشأت حنان التي سمّاها والدها كأن هذا حقه لوحده ثم تركها و لم يتدخل بعد ذلك في حياتها بأي شكل من الأشكال .

شعرت حنان بالدموع و قد ترقرقت في عينيها، وتماسكت بقوة فهي لم تتعود البكاء، ولأول مرة تشعر بذلك الأسى ..لأول مرة تفكر في والدتها لتدرك كم ظلمتا معا، و تذكرت مواقف من خلال علاقتها مع ماريا كما كانت تناديها، مواقف تثبت أنهما كانتا صديقتين دائما، و لطالما ساعدتها والدتها في الكثير من المشكلات التي ورطت نفسها فيها، و ضحكت و هي تتذكر ما حدث معها في السنة الأولى من الجامعة حينما هربت من السكن ليلا لتقابل أحدهم فاكتشفتها دوريات الشرطة التي كانت تحوم في المكان و طاردتها، تمكّنت من الهرب و نجحت في الاختباء في مبنى لم يكتمل بعد، ولمّا لم تجد مفرا مما هي فيه و لا سبيل للعودة ولا للخروج اتصلت بوالدتها لتنقذها، فلم تؤنبها ولم تصرخ فيها، إنما استقلت سيارتها، وكانت في دبي، فتمكّنت من الحضور بسرعة و أخفتها في سيارتها إلى أن خرجت بها من منطقة الخطر، و بالطبع لم تشك الشرطة أبدا في أن يكون لتلك المرأة علاقة بحنان،التي اختفت كالزئبق و أعادتها في الصباح إلى الجامعة بعد أن خبأتها في خلفية السيارة.

تتمتع حنان بذكاء حاد و انسجامها مع والدتها كان السبب في نجاتها في ذلك الحادث، و كثيرا ما أعانتها وساندتها في كل المواقف التي تعرضت لها، و لطالما شكرت الله على أن والدتها لا تجالس" الحريم " إياهم، و دائما في انشغال و بالتالي لم يتناه إلى مسامعها ما تخوضه حنان من مغامرات، و إن كانت تترك لها كل الحرية في التصرف، و تسمح لها بأن تعيش حياتها كيفما تشاء، و لهذا فهي لم تعبأ يوما برأي أحد سوى والدتها، زاد من قوة تلك العلاقة أن ولدها لم يعتبرها ابنته يوما.. لم يعطها شيئا سوى اسمه، لذك كانت تحتقره جاء ذلك واضحا في إجابتها،عندما سألها سيف عن شعورها نحو والدها وعمّ إذا كانت تكرهه، فأجابت بهدوء :

- لا يمكنني أن أكرهه.. يا سيف ليس بإمكانك أن تكره دودة أو حشرة تمر بجانب قدمك .. أنت ستشمئز منها و قد تدوسها و في النهاية أنت تحتقرها، ولكنك لن تكرهها أبدا، فهي أقل من أن تعطيها حتى الشعور بالكره .. إنه خسارة حتى أن يكون من الحشرات !.

وحين طالعها سيف بغير تصديق قالت بهدوء أكبر :

- هذا هو شعوري فعلا، و هو شعور يريحني من أن أتعب نفسي و قلبي في التفكير فيه و لومه .. ألست

معي أن هذه العينة من الناس أقل من أن تعتبرها موجودة من الأساس .

هز سيف رأسه موافقا و قد شعر بالشفقة على حنان، وأخذه تفكيره إلى موضوع زواج الإماراتيين من أجنبيات، فهو يسمع دائما عن الضرر الذي يقع على المجتمع الخليجي للزواج من أجنبيات، إلا أنهم ـ كما استنتج من تجربته وتجارب الآخرين من حوله كحنان ـ هم الذين يوجدون المشكلات، و لقد تأذت الأجنبيات وأولادهن أكثر مما تأذى ذلك الرجل أو مجتمعه العظيم!..

والد حنان وغيره كثيرون لا يحملون أدنى حس بالمسؤولية و لا يزالون محصورين في الأفكار القديمة الضيقة كأنهم رجال الكهوف، فهم يتمتعون كيفما شاؤوا و أينما شاءوا، ثم يلقون بزوجاتهم و أولادهم دون أدنى رحمة أو مراعاة لمشاعرهم .

تذكر سيف هذا، وأحس بالغضب يفترسه، و شعور خفي بأنه يريد أن يفعل شيئا ما يريحه نفسيا، و لم يدري ما هو هذا الشيء ؟.. هل ينتقم من جده ووالده وتلك العائلة ؟.. و لكن كيف؟ !.. كيف يؤذيهم مثلما آذوه أم هل يسافر للصين و يترك كل الماضي وراءه ؟..

لكنه لا يستطيع، فلا يزال لديه أحباب هنا أمثال: خالد وحسام و حنان .

* * *

قلّ الاتصال بين خالد و أصدقائه، فكل واحد منهم مشغول بحياته، وقد غلب على خالد في الآونة الأخيرة حزن مقيت، وحاول سيف و حسام بكل الطرق إخراجه من تلك الحالة دونما فائدة، فابتعدا عنه قليلا لعله يعود إلى سابق عهده و ظنا أنهما قد ضغطا عليه كثيرا ففضلا أن يتركاه يأخذ وقته حتى يفيق من صدمته مع مهرة التي أحبها بجنون، وقد ترك خالد عمله بأن أخذ إجازة طويلة و بقي في فيلته لا يخرج إلا لماما، و قطع علاقته تقريبا مع الجميع حتى أهله، فلم يعد حارس بوابته يرى أحدا يزوره، ومع أنه هو الذي فرض على نفسه هذه العزلة إلا أنه لام أصدقاءه و بالذات سيف .. فكيف ينساه صديق طفولته؟!. لم يعد يتصل به إلا ليسلم عليه فقط ، ويغلق الخط بسرعة كأنه يقوم بواجب ليس إلا.

قام خالد بتغيير كل أرقامه و أوصى الحارس بألا يدخل أحدا عليه،و بذلك أحكم إغلاق صومعته عليه

واحترف الحزن..أصبحت حالة العاشق المتألم حالة مرضية عنده، وليمعن في تعذيب نفسه كان يذهب بسيارته كل يوم أربعاء ليرى مهرة، وهي في طريقها إلى منزلها أو واقفة مع صديقاتها، وحاول عدة مرات أن يحادثها ولكنه أحجم خوفا منها، و حاول الاتصال بها أيضا لكنه كان يتوقف قبل أن يضغط آخررقم شاعرا بقيود تمنعه من ذلك .. قيود كثيرة ، منها كرامته، فهو لم يركض وراء فتاة أبدا ، ثم قيود العادات و التقاليد فغالبا ما تملكه شعور بالذنب لمجرد تعرفه بها، وذلك يعود إلى التربية الدينية الصارمة في وقت من أوقات حياته.

شعر خالد في تلك الليلة و هو يجلس في الصالة وحيدا كئيبا بأن الله غاضب عليه و لذلك فهو يتعذب، فقام ليصلي عساه يرتاح لكنه لم يشعر بذرة من الراحة فاستعاذ من الشيطان و أخذ يقرأ من المصحف لكن بلا فائدة، وبقيت حالته مسيطرة عليه و تملكه غضب لايوصف و قبض على أقرب تحفة إليه
وألقاها بكل غيظ على الحائط .. حين تناثرت الشظايا شعر بمتعة .. متعة التدمير .. لم يرتح و لو لثانية مما هو فيه و كأنه في عذاب مقيم، لكنه اكتشف ليلتها أن للتدمير متعة يخالها البعض راحة و تفريغ لشحنات

الغضب لكنها في حقيقة الأمر ترد تلك الشحنات أضعافا، هكذا شعر عندما ارتدت الشظايا إليه .. و هناك فرق بسيط هم إذ أن التدمير أعطاه فوائد فوق هذا .. أعطاه متعة .

تناهى إلى مسامعه صوت مشاجرة في الخارج فاقترب من النافذة، فتراءى له شاب و قد خلع" عقاله " و أخذ يلوح به في وجه الحارس ،الذي كان في حالة يرثى لها من التوتر فهو خائف من سيده إذا ما سمح له بالدخول و خائف في نفس الوقت من اللكمات التي قد يتعرض لها على يد ذلك الشاب الهائج المصر على الدخول ، فما كان من خالد إلا أن أسرع خارجا و هو يصرخ :
- ما هذا الذي يحدث هنا ؟!

فوجد سعيد يقف غاضبا على وشك أن ينفجر من الغيظ.. كان خالد يعرفه معرفة سطحية و علاقته به لاتحتسب علاقة من الأساس و كان يذكر امتعاض سيف الدائم منه و من حضوره المستمر مع الشلة بدون أن يدعوه أحد. و لكن خالد يذكر أيضا يوم الحفلة حين جاءه و سلّم عليه و هنأه على سلامته ، فأشار للحارس أن يدعه يدخل فتنحّى الحارس جانبا و هو يشيح

بوجهه عن سعيد الذي تخطاه بفضاضة، وهو يقول مخاطبا خالد :

- أبو الشباب !..ما هذا يا رجل ، ناطورك الأحمق مصر على أنك مسافر!.. ولكنـي كنت متأكدا من وجودك .

قال خالد و هو يسلم عليه :

- أنا من أمره بذلك .. تفضل إلى الداخل .

و مشيا، يد أحدهما بيد الآخر، و قد حز في نفس خالد أن يتذكره شخص كسعيد بينما نسيه أصحابه، و كأنه لم يوجد في حياتهم يوما أو ارتاحوا منه .

جلس و سعيد في الشرفة، بينما أخذ ذلك الأخير يحكي و يحكي و خالد لا يستمع له أساسا و لمعت في ذهنه فكرة، فقال ببراءة مفتعلة :

- ما بال صديقك سيف هذا ؟.

فانتبه خالد على اسم سيف و تساءل :

- ما باله ؟.

قال سعيد و هو يصطنع الود :

- كلما اقتربت منه بحسن نية كلما وجدته يصدني.. توسط لي عنده فأنا أحبه وأحترمه و لا أريد سوى صداقته .. و ثقته ؟.

ابتسم خالد بمرارة و قال :

- إذا رأيته سأخبره !.

obeikanal.com

وساد صمت ثقيل بينما كان سعيد يشغل مخه و يضع الاحتمالات في رأسه ليُنجح مخططاته، ثم قال بعد هنيهة :

- اسمع يجب أن أعرفك بصديقي سلطان.. إنه ابن أحد المسؤولين. و سيكون عندي الأسبوع القادم .. أنت تعلم أني أملك فيللا في دبي قريبة من الشارقة .. بإمكاننا قضاء وقت ممتع ما رأيك ؟.

قالها سعيد و هو يغمز لخالد الذي لم يبد متحمسا بالمرة، وإن هزرأسه موافقا ، فقال سعيد بتبسط :

- قل لي ... هل تعرف فتاة اسمها مهرة ؟.

انتبه خالد كمن لدغته عقرب و لم يكن يدري أن سعيد يعرف ما حدث معه، فقال بدهشة :

- مهرة !... مهرة من ؟.

ابتسم سعيد في سره و هو موقن بإصابته الهدف، ثم فقال :

- لا أذكر اسم قبيلتها و لكن أعتقد أن اسمها مهرة عبيد .. إنها فتاة جميلة الكل يتحدث عنها.. ألا تعرفها ؟.

بدأ خالد يتحفز و قال بعصبية :

- لا، لا أعرفها .. لماذا تسأل ؟.

فقال سعيد كمن لا يعنيه الأمر :

- لا شيء ، فقد سألني سلطان عنها و قال إنها من بنات أبوظبي و تدرس في جامعة بالشارقة، فقلت في

نفسي لأستعلم عنها لعلها تكون واحدة من ضيفات فلتي!.
كان خالد يوشك على الإنفجار بيد أنه تماسك و سأله :
- ماذا تفعلون في تلك الفيلا بالضبط ؟.
ضحك سعيد و هو يقول :
- ماذا تفعل مجموعة من الشباب !.. يتسلون لا أكثر بالطبع .. أنا بالذات لا أذهب إليها دائما و أعطي مفاتيحها لأصدقائي المميزين طبعا ليقضوا أوقاتهم السعيدة هناك .

ثم تظاهر بالنظر إلى ساعته و كأنه تذكر موعد ما فأسرع يستأذن من خالد وتركه فريسة للانفعال والغضب، واتصل سعيد بسيف ليسأله عن رحلته فوجده فرحا للغاية و شكره لأول مرة ، ثم أخبره سعيد بأن خالد يبدو في حالة سيئة و أنه يحتاج له بجانبه، حينها شعر سيف بالذنب لإهماله خالد في الفترة التي تلت لقاءه بحنان ،و تعجب في سره من اهتمام سعيد بزيارة خالد كأنه يلعب دور الملاك الذي ينتقل بين الجميع و ينثر أعماله الخيرة و يصلح بين الناس.

حتى ذلك اليوم كان سعيد يقدم متطوعا خدمات متعددة لسيف دون أن يستفيد منه شيئا في المقابل، بل

obeikandl.com

على العكس فسيف يعامله بكل تكبر وجفاء، و مهما حاول سعيد مداهنته و مهما بدا للجميع ودودا طيبا فسيف يشعر من طرف خفي أنه يكرهه، و ما فعل أو قال أو قدم شيئا في مصلحته إلا و كان في ذهنه هدف غير جلي ، وعلى العموم سيف لا يرتاح لسعيد و يشعر دائما أنه لم يكشف عن وجهه الحقيقي بعد، و ربما هذا نابع من طبيعة سيف الحذرة، وهو دائما يردد أنه يقلق من الأشخاص الودودين جدا، على أرض الواقع ويصعب عليه تصديق أنهم موجودين أصلا ..

أسرع سيف في نفس اليوم إلى خالد و اعتذر منه عن انشغاله و أخذ يحدثه عن حنان، و عن لقائه بها و غير ذلك الكثير، بينما كان خالد سارحا بفكره كعادته في الآونة الأخيرة، ثم سأل سيف عن الجامعة التي تدرس فيها حنان وحين أخبره قال بوجوم :

- نفس الجامعة التي تدرس فيها مهرة .

حينها غضب سيف و قال باحتدام :

- مهرة، مهرة، مهرة !ألا تفيق من هذا الكابوس الذي وضعت نفسك فيه.. لو كنت مكانك لاحتقرتها، ثم لشطبتها من ذاكرتي و تابعت حياتي !.

فقال خالد بهدوء :

- لست مكاني .

obeikandl.com

صمت سيف و استمر يطالعه لفترة شعر فيها أنه لا يعرفه .. أنه يرى إنسانا آخر غير خالد زعيم الشلة المحبوب ، فقال و قد هبّ واقفا :
ـ اسمع يا خالد انتبه لنفسك و حاول أن تعود لحياتك السابقة و إلا ستخسر أكثر مما قد تتصور ... بالله عليك! أنظر إلى أين أوصلتك مهرة التي تصر أن تبقى سجينها !.. إنها جعلتك تخسر نفسك و تخسر من حولك .. دعنا نعد كما كنا .. أصدقاء ألقوا بالهموم بعيدا .
لم يرد خالد لفترة ثم وقف هو أيضا و مد يده مصافحا، و هو يقول بجمود :
ـ مع السلامة .

لبث سيف في مكانه لوهلة مصدوما ثم مدّ يده وهو يطالع خالد بنظراته معاتبا ، وخرج وهو يلعن اليوم الذي ولدت فيه مهرة هذه.. إن خالد لم يعد كما كان .. نظراته خاوية بلا روح .. تصرفاته غريبة لم بعهدها منه و كأنه فقد عقله، و كل ذلك بسبب الشيطان الذي تمثل في صورة مهرة . هذا ما كان سيف يقوله و هو يقود سيارته ليلتقي بوالده في الشركة و قد أخطره بأنه يريده في أمر هام، وابتعد بفكره قليلا عن خالد و أخذ يتساءل عن كنه الأمر الذي يريده فيه والده و جده ،

ebelkanadi.com

فهما يحومان حول شيء لا يستوضحه كأنهما يريدان قول شيء بطريقة غير مباشرة فلم يستطيعا .

عندما وصل وجد سعيد بانتظاره على باب الشركة وأخذ يسلم عليه بالأحضان و يتودد إليه بحرارة غريبة و سيف في حيرة من أمره، وأوشك سعيد أن يقول شيئا حين رنّ هاتف سيف ، كان والده يستعجله، فدفع سعيد برفق بعيدا عنه، وأسرع إلى المصعد في طريقه للطابق الثالث عشر طابق الإدارة

كان سيف يكره ذلك الطابق لأسباب شخصية و على اعتبار أن الرقم ١٣ رقم نحس ، و ما إن فتح المصعد حتى أسرع يخترق المكاتب المصطفة ليقف أمام السكرتيرة و الفضول مسيطر عليه، أوشك على أن يقدم نفسه، لكنها انتصبت واقفة و هي تبتسم بتودد، وأشارت له بالدخول على الفور.
كان والده و جده فقط حول طاولة الاجتماعات، فخطا مقتربا ووقف بجانب كرسي والده، و قال :
- السلام عليكم .
فردا في آن واحد :
و عليكم السلام و رحمة الله و بركاته ... تفضل اجلس يا سيف .

جلس سيف بثقة و أخذ يطالع جده الذي كان يبتسم له ووالده أيضا، حينها لم يستطع أن يتمالك نفسه أكثر فقال بعد أن طال صمتهما :

- خير إن شاء الله.

فقال جده بهدوء :

- دائما أنت متسرع يا بني ... افتح الأوراق التي أمامك حتى تفهم قراري .

ربّت والده على كتفه و سيف في منتهى الدهشة والاستغراب من ذلك الود المفاجيء و أخذ يقلب الأوراق و الحسابات و التقارير التي وضعت أمامه، كلها تقارير عن عمله بالتفصيل و هو عمل يفخر لقيامه به على أكمل وجه وتساءل في سره :

- هل أرسلا في طلبي ليلوماني أم ليشكراني على عملي هذا ؟.

ثم قال بهدوء مخاطبا جدّه :

- أي قرار تتحدث عنه ؟.

فتبادلا النظرات، ثم قال له والده :

- قرار ترقيتك لنائب المدير العام .

عقدت المفاجأة لسان سيف و لم يعد يفهم ما يدور حوله و لم يستطع أن يستوعب موافقة جده على مثل هذا الأمر و قال في سره :

obeikandl.com

- يبدو أن والدي ألحّ عليه في هذا .. يظنان أنهما سيعوضانني سنين معاناتي وأمي بمنصب رفيع في شركتهما !.

وأخذ يرمقهما بنظرات حادة، و قد تحولت دهشته إلى غضب فكل ما حاولا التقرب إليه زاد بعدا عنهما، و هو يدرك أنه لا يزال في أول الطريق حتى يصل إلى منصب كهذا ،ثم إنه لم يفعل المستحيل حتى تكون هذه مكافأتة..تبسم ركن فمه الأيسر، وقال :
- شكرا ... لن أستطيع أن أقبل هذه الترقية .

فرماه والده بنظرة حادة بينما عقد حاجبيه الكثيفين، واعتبر رفضه إهانة شخصية. فأزبد فمه وهو يقول :
- القرار صدر و انتهى و سيعمل به .. أنا لا أفهمك يا فتى !.. كنت أنتظر منك شكري بدل أن ترفض و تهينني بهذا الشكل، كان عليك أن ..
فاحتد سيف قائلا، و هو يقف :
- لن أشكرك على شيء أبدا.. هل تفهم أبدا !.
كان الوضع على وشك الانفجار و خيّل لسيف أن جده يوشك على القفز من كرسيّه ليمسك به و يدق عنقه ، غير أن والده هب واقفا وهو يقول :

- هذا يكفي يا سيف .. أعتذر يا أبي .. و أنت تعال معي!.

وأمسك بيد سيف ليخرجه من المكتب فانفلت منه بقوة، و خرج مسرعا و في ثوان كان جالسا في مكتبه يفكر بالأمر، فجاءه سعيد، و قال بتظرف :

- ما هذه الأخبار الرائعة التي سمعتها؟.

فطالعه سيف و قال :

- ماذا ؟.

فأخذ سعيد مجلسه بجانبه و هو يقول في سعادة، وقد وضع يده على فخذ سيف :

- سمعت أن جدك قرر تعيينك المدير العام و أعطاك حرية تعيين نائبك؟

فقال سيف :

- سمعت خطأ ... لقد عيّنني نائب المدير العام .

غارت الابتسامة من وجه سعيد، و قال بدهشة :

- لكن جدك قال لوالدك أنه سيعيّن أكبر أولاده مديرا عاما .. أنا متأكد مما أقول.

أطرق سيف برأسه قليلا، ثم قال :

- إذا هذا هو سبب توددّك إلي..كنت تريد أن أعينك النائب العام .

openkandi.com

لم يرد سعيد و تغيّرت ملامحه، و أخذ يطالعه بحدة، فاستطرد سيف قائلا :
- إذا أعلم يا سعيد، أني أكره المنافقين أشد الكره بل وأحتقرهم أيضا
و سأعمل كل جهدي حتى لا تنال منصبا يفوق ما تستحقه .

لم ينبس سعيد ببنت شفة وقام من فوره، واختفى لمدة نصف ساعة، ثم عاد ليجد سيف لم يبرح مكانه، وطالعه ذلك الأخير باستعلاء، فتقدم سعيد منه بكل حقد و ضرب بيده على الطاولة، و قال :
- لقد ارتكبت خطأ شنيعا عندما جعلت مني عدوك يا سيادة النائب .. هل تعرف من كان جدك يقصده بأكبر أبناء والدك ؟.. لقد كان يقصد أخاك من زوج أبيك ..إن جدك ووالدك لم يعتبرانك موجودا من الأساس .. أو لست أنت أكبر أبناء عبد الرحيم ؟!!. لكن لا ، لا أحد كان يعتبرك كذلك .. غيرِي ، والآن حتى أنا فهمت قيمتك يا .. سيادة النائب الكبير .

ختم سعيد كلامه بضحكة شامتة و تحرك ببطء مبتعدا عن سيف الذي أقعدته المفاجأة، وازداد حقدا على عائلته، و قد فهم أن جده عين أخاه الأصغر الذي لا

يفهم شيئا في أعمال الشركة، ليكون المدير العام لمجرد أن ذلك الأخ من إماراتية، من بنات العائلات ... و لكن من عيّنه النائب؟..هل فعل أخوه ذلك ؟.. إنه حتى لا يعرفه حق المعرفة . أم هل هو والده ،الذي أصر على ذلك ليعوض عليه ؟

لم يعد سيف يفهم شيئا في تلك الشركة فترك مكتبه وأسرع يقود سيارته منطلقا، لا يعرف أين هو ذاهب، على حين كان سعيد في مكان ما من أبوظبي و قد قرر أن يعدّل في مخططاته، و أصبحت مشاعره تجاه سيف كلها حقد وغضب، و لم يستطع أن ينسى إهانة سيف له أمام موظفي الشركة، وقال في سره :
سأجعلك تندم على ما قلته..و الأيام بيننا أيها المغرور .

* * *

عادت ريم إلى الإمارات، و طوال الوقت في الطائرة كانت تتحاشى بتفكيرها كل ما مضى و تمنّت أن تمحي ذكرياتها السابقة، وشعرت بالذنب و هي تنزل في مطار أبوظبي.. شعرت كأنها هربت و تركت أصدقاءها وأحباءها في العراق هناك في مواجهة الموت وحدهم

..شعرت بأنها ضعيفة و بأنها جبانة وكأنها خانت كل من عرفتهم في بغداد..شعرت بالضيق و بالحجاب الأسود يخنقها كأنه أفعى التفت حول رقبتها فسحبته بقوة و قالت في سرها :

- هذا يكفي لم أعد أحتمل كل هذه القيود .. في كل مكان.

و ما إن نزلت من الطائرة حتى قادتها قدماها إلى الحمام حيث لبثت زمنا تنظر في المرآة و قد سرحت بأفكارها، و تخيلت لو أن هذه التي تراها هي ريم أخرى حياتها تختلف عن حياتها هي .. حياتها أسهل و أجمل و أقل تعقيدا وأقل كآبة..كان هذا الخاطر يتملكها منذ كانت صغيرة فتبتسم دائما في المرآة حتى لا تكون هي السبب في تعاسة ريم الأخرى التي تعيش في المرآة، فحتى لو كانت حزينة تقطر ألما تبتسم.. كانت والدتها تعتقد بأنها تبتسم لنفسها، وأنها معجبة بذاتها، ووجدت في هذا حلا دائما عندما كانت ريم تزعجها ، لكنها في ذلك اليوم في المطار لم تستطع أن تبتسم بل أجهشت بالبكاء.. لقد كانت تودع بقايا أحلام الطفولة، فأحلامها السابقة كلها تلاشت ، فلم تبق ريم التي تعيش في المرآة سعيدة ؟ إنها مثلها .. إنها حزينة و ستبقى كذلك.

خرجت من الحمام و قد احمرت عيناها و شعرت بأنها فقدت الكثير، وكأنها في تلك الوقفة أمام المرآة فقدت ريم .. فقدت ذاتها ، و أسرعت تضع حجابها الأسود، وهي ترمق رقم والدها على شاشة الموبايل فأجابت، و أخبرته بمكان وقوفها، و ما إن رآها حتى احتضنها بسعادة، تعجبت ريم منه و قالت في سرها :

- مصائب قوم عند قوم فوائد .

سلمت على والدها بفتور و هي تستمع للخطط التي وضعها لها، فقد قرر أن تلتحق بجامعة الشارقة لتدرس الهندسة المعمارية، و ستقيم بالطبع في سكن الطالبات و تعود في نهاية كل أسبوع ، و ستفعل و ستفعل .

كانت ريم تستمع إليه كالمنومة مغناطيسيا، و تهز رأسها حين ينتظر منها جوابا ، ثم لم تدر كيف سقطت في نوم عميق خال من كل شيء سوى الظلام.

* * *

(٧)

فراشات الليل

انتصف العام الدراسي واقتربت عطلة الشتاء.. وفي تلك الفترة تكونت ثلاث مجموعات في سكن الطالبات مبنى "أ" فكانت المجموعة أو"الشلة" الأولى والأكثر صيتاً وشهرةً في الجامعة بأكملها هي شلة " الفايف ستار"، وتضمنت ميرال ومهرة ولمى وسمر وأخيراً شريهان، أما شلة حنان "العاهرة" فقد تضمنتها هي وشذى ودعاء المعروفة باسم فيفي عبده وليمونة التي لا يعرف أحد اسمها الحقيقي، وأمامة صديقة شذى من أيام الثانوية.

كانت ليمونة وأمامة من أشهر الشاذات في الجامعة بأكملها ثم تأتي الشلة الثالثة التي تكونت منها هيفاء وملك وريم، التي ألحقت بهم متأخرة فتعلقت بهما بشدة، وشعرت بمنتهى الراحة وبدأت تنسى تدريجياً

obeikandi.com

أحزانها وتنغمس معهما في مغامراتهما وقد كانت مغامرات كثيرة بحق.

المجموعات السابقة مضطرة للتعامل مع هيام الرصافي، التي ترفق تقاريرها عن الطالبات و ملفات كل واحدة منهن، وقد وضعتهن في رأسها وحرصت أشد الحرص على إيذائهن..أحياناً كانت تخلق الفرصة من تحت الأرض وتخرج بأفكار كالفخاخ تضعها في طريقهن لتمسك عليهن أخطاء تخولها قوانين الجامعة أن تنذرهن رسمياً بها، فإذا وصلت الإنذارات إلى أربعة تبقى للطالبة فرصة واحدة قبل الفصل، وهناك مراحل قبل هذا تتضمن التعهدات الكتابية والإنذارات الشفوية.

وأخذت هيام الرصافي تحاول في استماتة واستبسال كأنها تحارب خصوم حرب شعواء لا رحمة ولا شفقة فيها فأمطرت ملك بسيل من التعهدات والإنذارات الشفوية بسبب تدخينها المستمر.

كانت ملك تدخن منذ سن الرابعة عشرة من عمرها، فأصبح من المستحيل عليها أن تمتنع عنه لمدة خمسة أيام تقضيها في الجامعة، و رغم أن هيام تغاضت عن بعض الطالبات اللواتي كن يدخن في غرفهن بعلمها، وقد أصبحن في النهاية من حاشيتها، كما كانت الكثيرات منهن مواطنات من نفس جنسيتها، أما ملك فهي مصرية وجميلة و "ملفتة"، وهذا بالنسبة لهيام

من أكبر الكبائر، وبالنسبة لشذى فقد رشقتها بالتعهدات بسبب الملابس الفاضحة والشفافة على حد تعبير هيام، أما شلة الفايف ستار فاتهمتها بالإزعاج واختلاق المشاكل، أما عن موقفها من حنان فحدث ولا حرج.

تطوّعت هيام بنشر الحقائق والأكاذيب عن حنان وغيرها من تلك المجموعات في مباني السكن كلها، فلم تكن هناك طالبة أو مشرفة إلا وقد سمعت الفضائح والقصص والأكاذيب عن تلك الشلل، وخاضت الجامعة بأكملها في سيرتهن وأصبحن كالأسطورة، مع أن كثيرات ممن تحدثن عنهن دون أن يعرفوهن يوماً كن أشد سوءاً وأخبث فعالاً منهن، وفي النهاية فقد ظلمت أولئك الفتيات كثيراً والفضل، كل الفضل، لهيام الرصافي، وكلما شوهت سمعتهن كلما ازدادت رضا عن نفسها، ونامت مرتاحة في سريرها كأنها انتقمت منهن لذلك السبب.

لوائح وقوانين الجامعة كثيرة تحمل طابع التعسف، وقد تفننت سمر في اختراقها بطريقة احترافية تجعلها تفلت من العقاب كفأر مقتحم للمصيدة فيحصل على الجبن ويترك المصيدة تغلق على نفسها.

كانت الشبهات تحوم حول سمر دائماً ولكن بدون إثبات، وتحترق هيام غيظاً وهي تحاول الإيقاع بها بلا فائدة، وترسخت لدى عميدة شؤون الطالبات، التي تعلو

هيام في الرتبة الإدارية وفي الدرجة العلمية، قناعة بأن سمر هي الطالبة رقم اثنين بعد " حنان العاهرة" في خرق القوانين باحترافية عالية، وبأنها ابتكرت بدعة الهروب من السكن ليلاً والعودة صباحاً متخفية في السيارات والباصات الموثوق بها بالنسبة لرجال أمن البوابة الرئيسية، وبذلك حتى تصبح داخل مبنى الجامعة نفسه تختفي الخطورة وتخرج لسانها للجامعة وقوانينها وعميدتها ومسؤولة سكنها هيام، وبالتالي فقد أعطت العميدة الضوء الأخضر لهيام الرصافي لتفعل ما تريده في سبيل القضاء على تلك العناصر المفسدة في الجامعة، وعلى العموم لم تكن هيام تحتاج للضوء الأخضرأو الأحمر، فهي ستعمل ما تشاء،وبدأت بإشعال نفوذها في السكن بتعيين "الباصات" من الطالبات لتوقع سمر في شباكها، فإذا حدث ذلك فستفصل سمر من السكن والجامعة بأكملها بلا جدال، فهذه كانت من كبرى أماني هيام الرصافي، وكادت أن تثبت عليها تهمة الهروب من السكن بعد التمام الليلي لولا مساعدات صديقاتها، والتمام الليلي هو طريقة ابتدعتها إدارة السكن للتأكد من وجود الطالبات داخل المبنى بعد إغلاق بوابته الرئيسة، وهي البوابة الكبرى التي تغلق على جميع المباني وتوقيت غلقها في السادسة مساءً، أما غلق المبنى نفسه فيكون في الثانية

عشرة مساءً ويتم التمام الليلي بأن تأتي الطالبة من بعد السادسة ولحد الثانية عشرة لتثبت وجودها، فإذا لم تأت الطالبة تتصل المشرفة بها فإذا لم ترها، و وجد موبايلها مغلقا فيقلبون الدنيا عليها حتى إذا وجدوها فإنهم يعاقبونها بتعهد على عدم إهمال التمام مرة أخرى، أما إذا لم يجدوها فالويل لها، فهذا يعني أنها هاربة من السكن فيتصلون بأهلها، وقد تفصل إذا ثبتت عليها التهمة بأي شكل من الأشكال، وكانت سمر وحنان وغيرهما إذا أردن الخروج من السكن يتسللن بعد التمام ويقفزن من على السور، في الوقت الذي تنتظرهن سيارة أحدهم " ولا من شاف ولا من دري" وغيرها من الطرق والوسائل الكثير.

سمر كانت تميل لشريهان ميلاً جسدياً، بيد أن شريهان لم تكن تنتبه لذلك، فهذا آخر ما تتصوره منها، مع أن سمر تقترب منها وتقحمها معها في أعمالها غير المشروعة، وسمر لم تكن لتكتفي بالخروج مرة واحدة في الأسبوع بتصريح من أهلها، لهذا زوّرت مرة في أوراقها وحصلت على بطاقة تثبت أنها ليست مقيمة في السكن، فأصبحت تخرج بحريتها وكادت هيام أن تمسك بها لولا أنها استنجدت بشريهان التي شهدت في صفها كذباً، فأنقذتها من عقاب محقق، وبعد هذه الحادثة ابتكرت أسلوباً جديدا حيث تعرّفت على فتاة تشبهها في

صورة الهوية، وصاحبتها.. كانت تلك الأخيرة لا تقيم في السكن ولكنها تملك رخصة لقيادة السيارة، وأصبحت سمر تنتحل شخصيتها غير أنها ضبطت متلبسة لسوء حظها بعد أن مرت بالصدفة بجانب سيارة هيام الرصافي، فلاحقتها تلك الأخيرة وهي تشكر حظها وتكاد ترقص طرباً، وتوقعت هيام أن سمر ستفصل أخيراً، إلا أن العميدة خيّبت ظنها، واكتفت بتوجيه إنذار نهائي لها، وهذا يعني في لوائح تلك الجامعة أن أي خطأ آخر مهما كان بسيطاً يعني الطرد النهائي، فوجهت سمر كل جهودها إلى خطتها القديمة في الهروب من السكن بعد القفز على السور، ولم تكن واحدة من شلة الفايف ستار غير سمر نفسها تعرف سر ولعها بالخروج يوميا وأحياناً المبيت خارج السكن.

سمر فتاة صغيرة العقل، وهي أكبر أعضاء الشلة سناً، ولم تكن تملك من الجمال أو الرشاقة ما يذكر، حتى أنها لم تكن تميل لجنس الشباب كثيراً مع أنها تملك الكثير من الصديقات والأصدقاء من مختلف النوعيات، فهي من ذلك النوع الذي يصاحب الناس من البواب إلى صاحب البناية، وقد تملكت شريهان الدهشة وهي تفتح ألبومات صورها الكثيرة لتجدها مع شخصيات ومشاهير من النوع الذي يصعب لقاءه، وكانت تبدو في تلك الصورة كصديقة حميمة لهم،

وعقدت المفاجأة لسان شريهان عندما رأت بعض الصور في أوضاع غير لائقة مع أصحاب نفوذ تراهم دائما في صورة الأشخاص المحترمين، وقد ظنت في البداية أن السر وراء سمر وخروجها الدائم كأنها مجبرة على ذلك وهيئتها الجادة كأنها تقوم بعمل سري ما يدل على أنها تعمل في المخابرات، هذا ما اعتقدته شريهان وأخبرت ميرال به، فما كان منها إلا أن ضحكت ملء شدقيها وقالت:

- عقلك صغير يا شريهان، لذلك تملكين خيال الأطفال.. هل تظنين نفسك في فيلم بوليسي؟!.

ولكن ميرال أيضا لم تهتد لسر سمر، ولأن تلك الأخيرة ، ورغم الصداقة التي تربطها بها، كتومة، ولطالما سألتها ميرال ومهرة وحتى لمى، عمّا تفعله فكانت تقول بملل:

- لا شيء مهم.." أكزدر"

أحدثت سمر تغييرا محوريا في قوانين السكن الجامعي، فبسبب ما تقدم عليه من أفعال قررت الإدارة منع الطالبات من الخروج نهائياً، فلا تصاريح ولا صديقات ولا حتى أقارب يسمح لهم باصطحابهن، اللهم فقط أقارب من الدرجة الأولى وليس في كل الحالات، وهذا ما شكل حالة من الجنون والهياج في وسط الطالبات، وقد أشارت هيام الرصافي، وهي تعلن

القرارات الجديدة، بالدور اللامع لسمر وشلتها وحنان، مما زاد من حقد البنات عليهن ومقاطعتهن تقريباً، إلا أن كثيرات بدأن يفكرن في الطرق المثلى للهروب من السكن ليلاً والعودة صباحاً.

***

جلست هيفاء حزينة مكتئبة خلف السكن وقد اختارت المكان الأكثر ظلاماً لتبقى فيه وحيدة، وأوشكت على البكاء وهي تفكر في حظها السيء الذي جعلها تدخل تلك الجامعة، وقد حاولت بكل الطرق مع والديها لتدرس في الخارج، في أي مكان ترتاح فيه وكانت قد فكرت في مصر، ولكن والديها رفضا بشدة وبشكل قاطع وأصرا على ذلك لا لشيء إلا لتبقى أمام أنظارهما .. أخذت تنظر حولها إلى المكان الموحش وقد ازدادت حزناً، وقالت في نفسها:

- لماذا لا يثقان بي؟!.. كل ما طلبته هو القليل من الحرية.. الكثير من الثقة، طوال حياتي كنت مثال الفتاة المستقيمة ولم أكافأ على هذا إلا بمزيد من الرقابة على كل شيء في حياتي.. على تصرفاتي وكلامي وطريقة

obeikandl.com

ملابسي وحتى صديقاتي..لقد تدخل والداي ليحددا لي من أصاحب من البنات.

أخذت هيفاء تفكر في ملك، لقد تعلقت بها للغاية كطفلة تتعلق بدمية صغيرة، ولكن ما إن وقع نظر والدها على ملك حتى غضب وتغيّر لونه، وقال مخاطبا هيفاء بصيغة الأمر:

- عليك أن تقطعي علاقتك بتلك الفتاة نهائيا، لأنها شبهة!.

فكرت هيفاء بغضب:

- لماذا يعتقد أن ملك شبهة؟ أ لمجرد أنها ترتدي ملابس ضيقة وإكسسوارات غريبة كسائر الشباب في سنها؟لماذا حكم عليها من الشكل فقط؟.. أوليس هذا ظلماً؟!

كلما تذكرت هيفاء شيئاً مما قاله أو فعله والداها معها حتى تزداد غيظاً وغضباً، وتمتلكها رغبة عارمة في أن تخالف القانون ولو لمرة في حياتها.. هي تعتقد أن القوانين في النهاية وضعت لتخرق، وكل ممنوع مرغوب وإذا كان الالتزام لم يفدها بشيء، فعليها أن تعيش حياتها قليلاً.

مدت يدها بقوة وفكت شعرها الذي تجمعه دائما، عبثت فيه بيديها ثم ألقت ربطة شعرها بعيداً وهي تقول في سرها:

obeikandl.com

- وداعا لهيفاء القديمة.

وقفت وقد امتلأت حماسا ونشاطاً وشعرت بأنها لم تشعر بروح الشباب يوما، كانت دائما تعيش سجينة عقلية امرأة عجوز.. وضعت نظارتها في جيبها وقد امتلأت سعادة، لأول مرة تتمرد وتمنّت بعمق أن تبقى متمردة وثائرة في وجه الكل، وتساءلت:

- هل أنا أتغير؟

لا، إنها تكتشف نفسها التي لم تنتبه لوجودها.. شعرت بأنها تتلمس ذاتها، وأنها تريد القيام بشيء ما.. أي شيء جنوني بمناسبة ميلادها الجديد، إلا أنها استكانت واختبأت خلف الشجيرات وقد غاصت قدماها في الرمال بينما هي تسمع صوت خطوات متسللة، خطوات مسرعة ولكنها خائفة، هذا ما أدركته من ذلك الصوت المضطرب المتوجس، ثم لمحت على إثره فتاتين تتلفتان في كل اتجاه، وتراقبان النوافذ خوفاً من أن تقع عين عليهما..كانتا تتبادلان الكلام همساً، وفي يد واحدة منهما حقيبة بينما في كان في يد الأخرى حبلا.. حبست هيفاء أنفاسها وراحت تراقب المشهد بشغف الإثارة والتشويق، ورأت في الفتاتين نفسها.. تريد أن تقوم معهما بعمل غير مشروع، فقد بدا لها أنهما تحاولان الخروج من السكن، ونظرت في ساعتها لتجدها

التاسعة والنصف مساء ثم ميّزت صوت شريهان وهي تقول بتوتر ظاهر:

- لا يا سمر.. ليس هذا ما اتفقنا عليه.

اتسعت عينا هيفاء وقد بدأت تميز الفتاتين، أنهما شريهان وسمر بكل تأكيد، وقد ارتدتا ملابس الخروج، ولكن شريهان تبدو مترددة فيما تحاول سمر إقناعها بشيء وهي تحضر كرسياً قديماً كان ملقى في أكوام مهملة ثم وضعته أسفل السور لصيقاً به تماما، ثم جعلت شريهان تصعد عليه وأوشكت على أن تصعد معها لولا أن رن هاتفها فأشارت لشريهان بيدها أن تنتظرها، وأجابت بصوت منخفض على حين تناهى لسمع هيفاء صوت عجلات سيارة لم تر إلا نورها القوي، وقد أيقنت أنها تقف خلف السور في انتظار سمر أو شريهان وقالت في سرها:

- يبدو أن صاحبنا مستعجل، لا شك أنه هو من يتصل بسمر الآن.

وصدق حدسها، فقد أنهت سمر مكالمتها بسرعة وأسرعت تصعد على الكرسي ثم شبكت شريهان يديها، ووضعت سمر قدميها عليها وحاولت الصعود وشريهان تدفعها بقوة، وفي منتصف المشهد رنّ الموبايل مرة أخرى، لكنه لم يكن هاتف سمر ولا شريهان، فالتفتتا في لحظة إلى حيث اختبأت هيفاء وسقطت سمر على

ظهرها متألمة في الوقت الذي كانت فيه هيفاء تغلق هاتفها وهي تخرج من مخبأها بكل ثقة، تسمرت شريهان وسمر في مكانهما، إلى أن اقتربت منهما هيفاء، وهي تشير بيديها لتبقيهما في مكانهما، بينما قالت بهمس ضاحك:

- لا تخافا.. لن أخبر أحدا بما رأيته.. أنا معكما.

تبادلت الفتاتان النظرات، وقالت سمر:

- معنا!

بينما قالت شريهان وهي تشعر بالإحراج:

- كيف حالك يا هيفاء؟.. لم أركِ منذ مدة.

قالت هيفاء لائمة:

- لو كنت تسألين لعرفتِ حالي.. دعك من هذا، سأقدم لكما نصيحة. وأخذت هيفاء تشرح لهما كخبيرة الكيفية الصحيحة للقفز من على السور، ونعتت طريقتهما بالسخيفة وهي تقول ساخرة:

- ما هذه الأفكار اللامعة يا حبيبتاي؟..تضعان كرسيا وتقف عليه واحدة وتدفعها الأخرى..اعذراني هذا الغباء بعينه.

قالت سمر وهي تتفحصها بعينيها:

- وما الذي تقترحينه يا ذكية؟!

مسحت هيفاء المكان بعينيها وهي تشعر بذكائها الشيطاني يظهر أخيراً وشعرت بنشوة أن تكون فتاة

obeikandi.com

سيئة ولو لليلة واحدة، فقالت وهي تشير للأشجار الصغيرة:

- هل تريان هذه الشجرة؟ إنها صغيرة لذلك يضعون لها دعامات.. تأملي هذه الدعامات.. إنها قطع خشبية قوية عبارة عن قطعتين طويلتين بينهما قطعة أصغر بشكل مثلثات، تصلح لأن تضعي عليها قدمك.. إنها كالسلم.

وكانت سمر وهيفاء تقفان كندين بينما شريهان تتفحص واحدا من الدعامات، ولم تستطع سمر إخفاء إعجابها بهيفاء ، فقالت وهي تضع يدها على كتف تلك الأخيرة:

- هل تعرفين شيئا؟ تفكيرك يشبه تفكيري.. أعتقد أننا سنصبح صديقتين.

طالعتها هيفاء بنظرة من يعلم ، وراقبتها وهي تسرع لتنتزع الدعامة وتسندها للسور، وتعتليها بمنتهى السهولة، ثم توقفت مكانها ونقلت نظراتها بين هيفاء وشريهان التي وقفت تراقبهما، ثم قالت بنعومة:

هيا يا شيري.. تعالي معي، فنحن الآن لا نحتاج لأن تبقي لتخفي آثارنا كالعادة.. فستفعل هيفاء ذلك من أجلنا، أليس كذلك؟

وانتظرت من هيفاء جوابا، فأخذت هيفاء تفكر في سرها: فلتذهب القوانين إلى الجحيم، وألقت بكل اعتباراتها القديمة سابقا، وقالت وهي تدهش نفسها:

- أكيد.. سأفعل.
ولكن شريهان بقيت مترددة قليلاً، وأخذت تنظر إلى هيفاء كأنها تستنجد بها، إلا أن تلك الأخيرة قالت بحماسة:
- اذهبي.. لا تخافي.
تقدمت شريهان ببطء وصعدت على الدعامة وهي تشعر بالخوف، فلطالما حاولت سمر إقناعها بأن تخرج معها ليلاً إلا أنها كانت ترفض وبشدة، فقد كان الخوف يتملكها، لكنها في تلك الليلة لم ترد أن تبدو كذلك أمام هيفاء، فقد شعرت بأنها يجب أن تكون جريئة مثلها ومثل سمر، وعندما قفزت على الأرض من الجهة الثانية للسور شعرت بدقات قلبها تتسارع وبالعرق يتدفق منها وبأن أطرافها متجمدة، بينما تشعر بحرارة حارقة في وجهها، وتصلبت وهي تنظر للرجل الذي كان ينتظر سمر في سيارة الليجزيس وقد أشار لها محييا، بينما شدتها سمر بسرعة لتخفيها في خلفية السيارة، وما إن غطاها الظلام حتى أغمضت شريهان عينيها وتمنت لو تفتحهما لتجد نفسها في سريرها، وفكرت في أنها يجب أن تتظاهر بالإغماء لعل سمر تقلق وتعيدها ولكنها عدلت عن فكرتها بعدما توقفت السيارة في مكان تملأه الضوضاء.

رفعت سمر الغطاء لتخرجها، وحين رفعت رأسها وجدت نفسها في عرض الشارع والسيارات في كل مكان، والأنوار القوية جعلتها تضيق عينيها بعد الفترة التي بقيتها في الظلام، ثم سمعت سمر وهي تقول بعد أن تحركت السيرة مبتعدة عنهما:

- هيا يا شيري.. افتحي عينيك، نحن في دبي الآن.

شهقت شريهان وهي تقول :

- يا إلهي! لقد ابتعدنا كثيراً! ..

ضحكت سمر وهي تشير إلى سيارة أجرة ، وما إن استقلتا السيارة وأشارت له بوجهتها، حتى قالت لها :

- اسمعي يا عزيزتي.. مادمت معك فلا تهتمي لشيء، وتعالي لأريك شخصا لم تحلمي بلقائه.

فنظرت لها شريهان ببلاهة على حين استطردت سمر:

- ولكن أخبريني أولاً، هل تعرفين أبناء بعض المسؤولين في الإمارات؟..بمعنى..أشكالهم على الأقل.

قالت شريهان:

- لا، لو رأيت أحدهم يمشي في الشارع أمامي لما عرفته.

ابتسمت سمر بسعادة وهي تقول:

- هذا جيد.. اسمعي.. ستأتين معي إلى مكان لا أريدك أن تخبري شخصا عنه.. هل فهمتِ؟ .. حسناً، بعد هذا

obeikandl.com

سأدخل كابينة أحدهم، أريدك فقط أن تنتظريني في الخارج، وإذا أردت أن تلقي نظرة عليه فيمكنك ذلك.
فردت شريهان بخوف:
- لا، سأذهب معك أينما ذهبت، ولن أنتظر في أي مكان.
فطالعتها سمر بوجوم، وقالت:
- لا تكوني طفلة.
ولكن شريهان أصرت فقالت سمر بغموض:
- أنت من طلبت.

***

استلقت مهرة على سريرها والسعادة تغمرها، ثم مدت يدها نحو علبة صغيرة بجانبها وأخرجت مبرداً وأخذت تقلم أظافرها، بينما كانت تفكر فيما حققته حتى ذلك الحين.. لقد استغلت سلطان بذكاء وحرفية، دون أن يدري أنه مجرد سلم يوصلها أخيراً لما تريده، فقد عرفت منه كل المعلومات عن ذلك الشاعر،فتى أحلام مراهقات الخليج بأسره، وعرفت ما يحبه وما يكرهه وأين يقضي أوقات فراغه؟، ومع من؟ وما هي الحفلات التي يحضرها؟، وحتى الفتيات اللواتي عرفهن، ولماذا تركهن؟..كل هذا وأكثر حصلت عليه من سلطان وهو

يظن أنه يبهرها بمعرفته الدقيقة لكل تلك المعلومات وبصداقته لمثل تلك الشخصيات،

لقد عرفت مهرة كيف تخدع سلطان وتسيره كيفما أرادت، كأنه لعبة خشبية بخيوط، فكونت فكرة عامة عن الهيئة التي يجب أن تكون عليها حين تقابل فتاها، وقد أدركت أنه لتوقعه في شباكها يجب أن تكون أولاً فاتنة، وثانياً من عائلة معروفة، وثالثاً صعبة المنال، وضحكت وهي تقول لنفسها:

- أن لا شيء ينقصني من هذا، ولا مجال لأن تنافسني عليه أي فتاة أخرى كائنة من تكون،

ثم أنها وضعت لنفسها خطة تجعله يراها جديرة بأن يرتبط بها جدياً، وليس فقط لقضاء الوقت، لذلك حضرت ثلاث حفلات كان هو فيها، وحدث ما توقعته فأعملت فيه سحر أهدابها، ورشاقة أسلوبها وبدا متلهفاً ليعرفها، وكان يتابعها بنظراته، وكانت هي تظهر وتختفي لتشوقه أكثر ولتتشح بغموضها، وحرصت على ألا يراها مع سلطان في أي وقت، واقتربت من الانتهاء من خطوتها الأولى، فقد حرصت على أن ترافق والدها في أثناء وجود فتاها في أي حفلة أو مكان يصادف أن يزوره والدها في نفس الوقت، وقد تعجب ذلك الأخير من إصرارها على مرافقته أثناء عقده لصفقاته، وفي الأماكن العامة والمناطق التجارية

في دبي التي يدعى إليها..كانت تقصد من وراء ذلك كله تبليغ رسالة لفتاها مفادها: أنها من بنات العائلات وليرى بعينه ابنة من تكون هي، وقد حققت حتى ذلك الوقت تقدماً كبيراً.

تذكرت سلطان بأسنانه وابتسامته الصفراء، فعلا وجهها الإشمئزاز، وإن دعت الله في سرها أن يكثر الله من أمثال ذلك الأحمق في طريقها، وشعرت بمتعة خاصة في استغلال الناس والسخرية منهم، متعة التفوق والشعور بأنها أذكى من الآخرين ، الأمر الذي أعطاها قدرا من الثقة، جعلها مستعدة لأي شيء دون تردد أو خوف لتصل لما تريد، وعندما رن هاتفها النقال بالرنة المميزة لسلطان ابتسمت بدهاء، وهي تقوم لتخرج من الغرفة متبخترة في شرائط قميص نومها، بينما صوت "أحلام" ينبعث من ذلك الهاتف:

قول عني ما تقول   صوبي كم صعب الوصول
واللي ما يطول العنب   حامض عنه يقول

* * *

حملت هيفاء الدعامة وأعادتها على مكانها حتى لا يلفت وجودها في ذلك الوضع المريب أنظار البنات ممن قد يأتين إلى ذلك المكان، أو يلمحنه من شرفاتهن

وأزالت آثار الأقدام القريبة من السور، وأخذت تتمشى في المكان وهي تتأمل الحشرات على ضوء مصابيح النيون التي وضعت في أعلى سطح السكن في محاولة خرقاء لكشف الفتيات المتسللات ليلا من ذلك المكان، وهزّت رأسها باستنكار ساخر بينما داست بقدمها على الحشرات التي زحفت على الرمال، لم تدر لماذا فعلت ذلك، وأخذت تفكر في أنها يجب أن تنتقل من مرحلة مساعدة الناس على خرق القانون إلى مرحلة القيام به بنفسها، إنها تصلح لأن تكون زعيمة في هذا المجال، وقالت في سرها:

- طوال عمري كنت أملك الذكاء، وكنت أستعمله بعد فوات الأوان، لكنني من اليوم سأطلق لذكائي العنان، وأجرب قليلا أن أعيش حياتي.

وحانت منها التفاتة لربطة شعرها الملقاة على الأرض، فضربت الرمال بقدمها إلى أن غطتها تماما وقفلت عائدة إلى مبنى السكن وهي تفكر كيف ستبدأ تسليتها في هذا السجن، وشعرت بشعور العقرب التي تبحث عمن تلدغه، وفكرت أنها يجب أن تري كل من ظنها هيفاء الطيبة المؤدبة وجهها الحقيقي وتملكتها سعادة خفية وهي تدخل المبنى بملامح الفتاة المؤذية، كأنها هناك في تأملاتها خلف السكن ركبتها شياطينها،

وتحولت إلى شيء آخر، كأن لعنة ما أصابتها، ولكنها في النهاية كانت لعنة هي أرادتها.

* * *

كان سعيد يدور في أبوظبي كالمجنون وينفق أمواله هنا وهناك على الهدايا والعزائم لخالد وحسام وكل أعضاء شلة سيف مستثنياً إياه، ومحاولا بكل الطرق التقرب من خالد وحسام بالذات، وأصبح في وقت قياسي صديقاً عزيزاً لهما، في الوقت الذي كان سيف يواجه غضب جده ووالده في الشركة حيث اضطر أن يقبل ذلك المنصب لحين يجد عملاً آخر، وأخذ يقسم وقته ما بين البحث عن بديل لعمله وما بين أدائه لواجباته كنائب مدير للشركة، وما بين ذهابه إلى دبي والشارقة ليلتقي حنان هناك.

قبيل انتهاء دوام سعيد في الشركة بقليل ضبطه سيف في وضع مخل بالآداب في غرفة الملفات، مع موظف صغير السن التحق بالشركة من فترة قصيرة وبتوصية من سعيد نفسه، فلم يستطع سيف أن يتمالك نفسه من الاشمئزاز وأسرع ليحضر عاملا من عمال

الشركة ليشهد معه في الشكوى التي قدمها ضد سعيد، ولكن جده - ولدهشته - لم يطرده من الشركة واكتفى بنقله إلى قسم آخر، ونقل ذلك الموظف الصغير إلى فرع آخر داخل الشركة، حينها تذكر سيف أن مسألة الشذوذ بين الرجال أمر قديم قدم التاريخ، ولم يعد استهجانه يعني شيئاً، وأصبحت هذه التصرفات عادية في ذلك المجتمع الذي شعر سيف أنه ضاق ذرعا به وبالعيش فيه وبناسه.

بعد تلك الحادثة كان سعيد قد بلغ حدا كبيرا من الكراهية تجاه سيف، فانطلق في كل مكان يحيك له المؤامرات، حتى إجازته التي أخذها من الشركة استغلها في التخطيط لمراده فزاد من تقربه لخالد، وأصبح دائم الزيارة له في الوقت الذي انشغل فيه سيف عنه، وأخذ سعيد ينفث سمومه في نفس خالد ويوغرصدره على سيف إلا أنه وجد مهمته مستحيلة،

كان سعيد جالسا مهموما يفكر في الكيفية التي تمكنه من ضرب سيف في الصميم بإفقاده صديق طفولته خالد.. يفكر كيف يجعل خالد يكرهه ويحقد عليه وهو يعلم أن هذا يفوق احتمال سيف، فأخذ يغير من أسلوبه في الحديث عن هذا الأخير، و يتلون بألوان مختلفة حسب مزاج خالد، وسأله بخبث عن أخبار صديقهما المشترك وعرف منه قصته مع حنان، فقال بدهشة:

- أي حنان؟.. حنان العاهرة!
فطالعه خالد باستغراب فاستدرك قائلاً بدهاء:
- لا تأخذ في بالك لقد اختلطت في ذهني الأسماء.
و أخذ يسترجع ذكرياته مع حنان ، هو يعرفها قبل أن تأتي لتتدرب في شركتهم و ضحك في سره و هو يتصور الطريقة التي سيلعب بها بهذه الورقة و راق له أن سيف بدا له من حديث خالد متعلقا بها و تخيل وجهه عندما يخبره عن علاقته الحميمة بها، و لكن سعيد كان كالحية يتحين الفرصة المناسبة و الوقت المناسب ليعمل أنيابه في ضحيته، ففضل الاحتفاظ بتلك المعلومة لحين استعمالها في تحقيق مخططه الذي بدأ يتضح عندما اتصل به سلطان غاضبا مغتاظا من إهمال مهرة له ،و قال صارخا فيه :
- سعيد تلك الفتاة التي حكيت لك عنها تهملني !.. تصور مثلها تتركني أنا، لم ولن يحدث ذلك أبدا، أنا الذي أتركهن ، لن تسخر مني تلك الحقيرة .. يجب أن أنال منها !.
بدت الدنيا ربيعا في عين سعيد، و هو يرى الظروف أخيرا تصب في مصلحته فقال :
- اسمعني جيدا ، هل تعرف و لو واحدة من صديقاتها ؟.
فقال سلطان متذكرا :

- نعم .. واحدة اسمها سمر ، فتاة فلسطينية .
فتساءل بخبث :
- و ما رأيك في سمر هذه ؟.. أقصد هل تستطيع أن تستعملها ضد مهرة ؟.
فقال سلطان بانفعال :
- أجل، أجل ، إنها قوادة .. و لكن هل تعتقد أنها قد تخون صديقتها ؟!.
فضحك سعيد، وهو يقول :
- القوادات لا صديقات لهن، أنا متأكد أن كل واحدة بالنسبة لسمر هذه عبارة عن استثمار
فقال سلطان:
- ماذا تقترح أن أطلب منها ؟، إنها لن تستطيع أن تجلب مهرة لي، فرأسها أنشف من الحديد .
فرد سعيد بتذاك :
- حتى الحديد يلين يا صديقي .. اسمعني كل ما نحتاجه هو صورة لمهرة ، صورة واضحة من " إياهم " و يا حبذا لو تجعل سمر تدبر لقاء لكما ولو لثوان، وتأخذ لكما صورة ،و بعدها سنبدأ اللعب يا صديقي ..
فقال سلطان :
- ماذا سنفعل ؟!.
ردّ سعيد :
- أحضر أنت الصورة و اترك الباقي لي .

obeikandl.com

ثم أغلق سعيد الخط وهو غارق في أفكارد، وقد تجمعت لديه خيوط خطته.

* * *

شهقت شريهان وهي تقول:

- يا إلهي! هذا هو من ينتظرك!

ضحكت سمر ضحكة مكتومة وهي تقول:

- اخفضي صوتك فإذا سمعنا ورآك سيصرّ على أن تدخلي معي إليه.نتظريني هنا لمصلحتك ياعزيزتي..صدقيني لن أتأخر.

وتركتها وهي في قمة العجب، وكأنها تقابل سمر لأول مرة، شعرت بأنها لا تعرفها، وعقدت المفاجأة لسانها عندما جلست سمر مع رجل تراه شريهان في المجلات والتليفزيون فقط،، ولم تكن الجلسة طبيعية في شيء، فسمر تحادثه بطريقة رسمية وفهمت من الإيماءات والإشارات المتبادلة.. إنه يستمع إلى تقريرها، ثم يعطيها أوامر في منتهى الجدية، وبعد ذلك عرضت عليه صوراً وقربت شاشة حاسوبها المحمول إليه وطفق هو يتأمل ويعلق بجمل مقتضبة لم تسمعها شريهان التي كانت في مكانها خارج الكابينة تنظر

obeikandi.com

إليهما من فراغات نقوش تزين جدران تلك الكابينة، ثم أخذت تتساءل عن سر المبلغ الكبير الذي سلمه ذلك الرجل لسمر، التي حيته بابتسامة وتحركت خارجة في اتجاهها، بينما الأفكار تتزاحم في رأسها وأخذتها الظنون كل مأخذ، وما إن وصلت سمر إليها وأمسكت بيدها، حتى سحبتها شريهان وهي تقول:

- فسري لي ما رأيته في الداخل! لماذا أعطاك المال، ومن أين تعرفينه؟

ابتسمت سمر بثقة، وقالت:

- ستعرفين كل شيء يا عزيزتي.. دعينا نذهب إلى الفندق أولاً

صرخت شريهان:

- الفندق؟!!!

فردت سمر:

- نعم! فأين تعتقدين أننا سننام ؟..في الشارع؟!!

تبعتها شريهان متخاذلة، وهي تدعو أن تمر تلك الليلة على خير، وأخذت تستمع إلى سمر، وهي تشعر بالشلل يزحف على ساقيها، ولم تقنعها سمر بما قالته، فقد ادعت أن ما تفعله كل ليلة هو عمل.."بزنس"لا أكثر ولا أقل، ولم تزد على ذلك، ولكن شريهان لا ينقصها الذكاء لتدرك طبيعة العمل، وأدركت أنها خدعت في صديقتها ولم تكن تتوقعها بهذا السوء،

وشعرت بالخوف منها، وقررت في نفسها أن تكتم ما عرفت عن باقي شلة " الفايف ستار" وأن تنتبه في نفس الوقت على نفسها وعلى صديقاتها.

* * *

مرت إجازة فصل الشتاء ،وعادت الطالبات على الجامعة وعادت "ريما لعادتها القديمة"، فلم يكد يمر أول أسبوع في السكن حتى بدأت المشاحنات والمكائد بين البنات، وانتشرت الشائعات بخصوص طالبات الشلل الثلاث اللواتي بتن الشغل الشاغل للجامعة من طالباتها إلى إدارتها،حتى وصلت أخبارهن إلى المدير ، و طبعا لم تخل تلك القصص و الأخبار من تضخيم حتى تصله في النهاية كقصة " محبوكة " "مسبوكة " بعد إضافة البهارات التي تكفلت هيام الرصافي بها ، فجعلت من الحبة قبة، و بذلك ضمنت المدير في جانبها و خيّل إليها أنها مهما فعلت معهن فلن يقف في وجهها شيء.

لم تكن هيام تحتاج في حقيقة الأمر إلى كل ما تقدم ذكره من اختلاق للشائعات و حبك للحكايات، فالمدير بطبعه كان رجلا رجعيا ، يكره المرأة كره الجرب، و كل

النساء عنده ناقصات عقل و دين و يحلو له حين يكلم طالبات الجامعة في أي محضر أو اجتماع أن يناديهن بـ "الحريم" فيقول لهذه: يا حرمة . و لتلك : أنتن الحريم لا تفعلن في حياتكن سوى الكلام . هذا إذا ما ناقشنه في موضوع ما و ظهر الحق فيه واضحا إلى جانبهن ، مما جعله مكروها ملعونا في أوساط الطالبات، و هو لم يكتف بأسلوبه الفظ في التعامل بل زين أفعاله في النهاية بإصداره لمجموعة من القوانين التعسفية ضد " الحريمات " ،" قليلات الرباية " على حد تعبيره فمنع عليهن التلفزيون في السكن، و شدّد في معاقبة الطالبات، و أصدر قوانينه لأمن الجامعة بالتعامل بحزم، و بشدة مع الطالبات و الرقابة عليهن في المسلك و الملبس ، مما جعل الطالبات يغلين كراهية منه..

كانت ملك و ريم وشريهان تجلسن في ساحة أمام مبنى سكنهن، بينما هيفاء تقلد حركات المدير و صوته و هي تقول :

- أنتن يا حريمات ، هل استأذنتن مني قبل أن تتنفسن !.

ثم تحسست بطنها كأنها كرش المدير بينما ارتفعت ضحكات رفيقاتها واستمرت في إلقاء نكاتها عن المدير إلى أن لمحت مشرفة السكن تخرج من المبنى، وتقترب

منهن في الطريق إلى سيارتها، بعد أن جاءت المناوبة الليلية لتحل مكانها، فرفعت هيفاء صوتها عامدة حتى تسمعها المشرفة، و قالت وهي تقلد صوت هيام الرصافي بسخرية:

- أنا المسؤولة عن كل المشرفات، أنا هيام الرصافي مديرة السكن، نحن هنا لدينا عادات و تقاليد و لسنا في كباريه الوردة البيضاء! .

توقفت المشرفة و رمقت هيفاء بنظرات حادة، فردت هيفاء عليها بالمثل، بينما أخذت ملك تعلق ساخرة باللغة الإنجليزية و ريم و شريهان تضحكان ملء شدقيهما، و لما لم تجد المشرفة ما تقوله في مواجهتهن استقلت سيارتها وصفقت الباب وراءها في غضب و هي تلعن بنات " الأيام دي " بينما

كانت هيفاء سعيدة بما قامت به فهي تعرف نوعية تلك المشرفة.إنها في نظرها المنافقة رقم واحد بين جميع المشرفات، تدّعي بأنها تحب الطالبات كبناتها بينما هي تنقل كل أخبارهن إلى هيام الرصافي و تتبعها كالكلب الذي يتبع سيده

هيفاء تحتقر المنافقات والمنافقين و تشعر بأنهم يذلون أنفسهم دون سبب فلاشيء يبرر النفاق في نظرها، وفكرت في سرها بأن تلك المشرفة ستنقل ما قالته لهيام و هذا خاطر أسعدها ، فلتعلم تلك الهيام أنها لا

تخاف منها، و فقالت بصوت عالٍ بينما السيارة تمشي مبتعدة :

ـ هيا. هيا ، اركضي لسيدتك هيام و أخبريها عما قلناه، و لا تنسي أن تخبريها أننا نبحث عن كيس للقيء كلما رأيناها !.. تلك النقطة السوداء .

انفجرت ملك ضاحكة و هي تتأمل هيفاء بإعجاب و إن كانت تشعر بالضيق في الفترة الأخيرة ، ضيق سببه تغير هيفاء ..لقد صبحت عابثة ساخرة، والأهم من هذا ، وهو ما لفت انتباه ملك ، أنها أصبحت تنزع لإيذاء الآخرين بلا سبب واضح ، ولم تعد تخاف عليها كما كانت في السابق ، في بداية تعارفهما كانت مثل أمها أحيانا، فقد أقنعتها بالتقليل من التدخين، وأثرت فيها كثيرا لدرجة أصبحت فيها ملك تريد أن تكون مثلها أوأن تشبهها على الأقل، لكن كل هذا تغير بين ليلة وضحاها، و لم تهتد للسبب الذي غير صديقتها و لم تجرؤ على سؤالها فقد أصبحت هيفاء عصبية تثور لأتفه الأسباب، كما أن علاقتها بسمر أمست تضايقها وأزعجها تحدث فتيات السكن عنها الأمر الذي لم تكن ملك تطيقه و لم تستطع أن تصارحها بما يجول في خاطرها ولا أن تكاشف حتى نفسها بالحزن الذي تشعر به، فهي ليست من النوع الذي يصرح عن مشاعره، وهي تخفي مشاعرها كأنها جريمة و حاولت قدر

المستطاع أن تنسى خواطرها و تنغمس مع هيفاء فضحكت لضحكها و سخرت لسخريتها وابتسمت في وجه شريهان، مع أنها لم تكن تطيق " شلة الفايف ستار"، لمجرد أن فعلت هيفاء ذلك، و بقيت تأمل في أن تعود هيفاء إلى سابق عهدها .

طالعت شريهان هيفاء وقد تملكها شعور غريب فقد بدأت تحب مجالستها وسماع قصصها ، وشعرت معها بالندية، فلم تكن هيفاء تعاملها باستعلاء كما تفعل ميرال ولا باحتواء كما فعلت سمر، فلا تمارس عليها ضغطاً من أي نوع، وقد راق لها أسلوب هيفاء العابث الساخر،وأعجبها ما ظنته دهاء من هيفاء بأن تظهر بمظهر الفتاة المستقيمة المؤدبة، ذات الثقافة العالية بنظاراتها والكتب التي تحملها دائماً، إما لتدرس وإما لتقرأ بينما هي في حقيقة الأمر تخفي تحت تلك الهيئة شخصية أخرى ثائرة متمردة مشاغبة.

تمنت أن تكون مثلها بشخصية قوية ومرنة في نفس الوقت، كما تبدت لها في تلك الساعة كمن لا يخشى شيئاً وأخذت تقارن نفسها بها، فشريهان تخاف من ظلها وتسمح للناس بالتحكم فيها.. وتستسلم، أما هيفاء فبدت لها كشعلة النار المتأججة، كما أنها لا تبدو معقدة، وكل شيء عندها عيب وحرام كما كانت تعتقد

عنها، وحانت منها التفاتة إلى ريم وملك، وتمنت لحظتها لو عرفتهن من قبل أن تصبح ضمن شلة" الفايف ستار"..كان هذا حلمها يوماً، لكنه بدأ يخبو في تلك الأيام ، وغبطت هيفاء صديقاتها..غبطتها على شلة الثلاثي الخطير، كما تسميهن هيام الرصافي، الاسم الذي انتشر في الجامعة فيما بعد.

* * *

نادت سمر على شريهان فألتفتت لتجدها و ميرال تقفان عند بوابة السكن بكامل ملابسهما، فعرفت أنهما تنويان الهروب من السكن تلك الليلة، فقامت متثاقلة بعدما تبادلت وهيفاء النظرات و ذهبت إليهما متسائلة، وهي تقول:

- ما ترتديانه يثير الشكوك، و أنتما تعرفان أن العين علينا هذه الأيام، فكيف يكون الحال عندما تقول واحدة من " البصاصات " أننا نبدو متأنقات ثم نختفي كلنا بعد التمام الليلي .

ردت ميرال :

- سنتوخى الحذر.. اذهبي بسرعة وارتدي أي شيء، سيأتي حسام بعد دقائق لينتظرنا خلف السور .

قالت شريهان بدهشة :

- حسام !
فقالت سمر بمرح :
- نعم فللصدفة، حسام هذا يعرف صديقا لي يقيم بارتي في فيلته الليلة مع أصحابه، و كلنا مدعوات.
علقت شريهان بقلق :
- سنذهب إلى فيلا !؟.. لا ،لا أريد أن أذهب .
رمقتها ميرال بحدة و قالت :
- يجب أن تأتي معنا، لا يمكن أن تتركينا نذهب لوحدنا .
بينما أضافت سمر :
- و لا تخافي فحسام صديق ميرال لن يدع أحدا يؤذيها، أما بالنسبة لك فأنا معك .
فازدادت شريهان قلقا، و قالت :
- و مهرة ؟.. ألن تأتي معنا ؟!
ردت ميرال :
- لا لن تأتي، تبدو متعبة اليوم ،أما عن لمى فهي تنتظرنا عند السور لتراقب المكان .
أحجمت شريهان عن الكلام و أطرقت برأسها تفكر،أنها تريد أن تذهب و أن تعيش جوا لم تعشه من قبل و لكنها خائفة مما قد يحدث و خائفة من سمر وقلقة على ميرال، ولما طال سكوتها، قالت سمر مشجعة :

- تبدين خائفة .. حسنا إذن ما رأيك بأن نأخذ معنا الثلاثي الخطير!..

و على إثر ما قالته أسرعت سمر إلى هيفاء التي بقيت مع ملك و ريم فأخذتها جانبا و حدثتها بالأمر فقالت هيفاء :

- عن نفسي موافقة، وأعتقد أن ريم ستوافق لكن دعي ملك خارج الموضوع .

كانت هيفاء تشعر بالخوف على ملك و لكن سمر أصرّت على أن تسأل ملك فإذا أرادت الذهاب كان بها وإذا رفضت فذلك شأنها، وحاولت هيفاء أن تمنعها لكنها أفلتت منها ضاحكة، و أسرعت إلى ملك و تبعتها هيفاء وعيناها متعلقتان بملك حتى اقتربت منها، فقالت :

- دعك منها .. لا يمكنك أن تفعلين ذلك، فرمقتها ملك بتحد كأنها اكتشفت سرها أخيرا و قالت بلهجة لم ترق لهيفاء :

- و لم لا !.. دعينا نجرب كلنا .. فإذا كنت ذاهبة فلما لا نذهب معك؟.. ألا نفعل كل شيء معا؟.

قامت ريم وأخذت جانب ملك، و هي تقول :

- أنا موافقة سأذهب بسرعة لأرتدي ملابسي .

فقالت هيفاء و قد بدأت تقلق على ملك :

- أنا لن أذهب .

و لدهشتها ردت ملك و هي ترمقها بنظرات حادة :
- هذا شأنك .. أما أنا و ريم فذاهبتان !.

وانطلقت ملك كالسهم إلى داخل السكن و بينما لحقت بها هيفاء، أخذت ميرال و سمر و شريهان مجلسهن أمام الباب تنتظرن، و لم يمض وقت طويل حتى ظهر الثلاثي الخطير بكامل ملابسه بينما وضعت هيفاء على كتفيها شالا أسود، فقالت سمر و هي تقف :

- ما هذا الذي تضعينه على كتفيك ؟.. الجو حار.

فردت هيفاء بضيق :

- إنه ليس للبرد فأنا محجبة و سأرتديه بعد أن نصبح خلف المبنى حتى لا تشك بنا البنات.

هزت سمر رأسها ساخرة و أسرعت إلى ميرال و شريهان و ذهبت بهما في طريقها لما وراء السكن، بينما أخذت هيفاء مجموعتها في الاتجاه المعاكس على أن يلتقين في المكان نفسه تجنبا للفت الانتباه ... وهذا ما كان .

* * *

openkamar.com

كان الشيخ سلطان يحترق غيظا و هو ينتظر في غرفته تلك الليلة، و تناهت إلى مسامعه أصوات الموسيقى و الغناء من البارتي المقام في الفيلا، فزادته تلك الأصوات غيظا على غيظ و حنقا على حنق، فقفز خارجا من الغرفة ووقف في أعلى السلم صارخا :

- سعيد !، تعال إلى هنا حالا.

أسرع سعيد يرتقي درجات السلم ، وهو يعتذر بصوت مبحوح على تأخره ويقول :

- طال عمرك .. اعذرني ، إني أرتب الوضع في الأسفل

فرد سلطان بحنق :

- لا يهمني شيء من هذا !.. لقد اتصلت بي تلك القوادة سمر لتخبرني أن مهرة لن تأتي معها للحفلة.. ماذا سنفعل الآن؟ .

فقال سعيد بتزلف :

- المهم أن نحصل منها على الصورة .

ثم أضاف :

- اهدأ بالا و استمتع بوقتك قليلا، لقد ذهب حسام ليحضر صديقتها و شلتها من الجامعة.. إنهن سبع فتيات أو أكثر غير اللواتي دعوتهن أنا بنفسي .

فأشرق وجه سلطان و طفح بالسرور و قد راق له الوضع، و قال بينما لمعت عيناه :

- ما جنسياتهن ؟.

فرد سعيد و هو يبتسم بخبث :
- كل الجنسيات .. مصرية و مغربية و فلسطينية وعراقية و لبنانية و سورية وجزائرية، وهناك طبعا سعوديات و مواطنات أيضا .. وكل ما تريده طال عمرك ..كل ما تريده .

هدأ بال سلطان قليلا و دخل إلى الغرفة بينما نزل سعيد ليستقبل حسام وضيفاته .

* * *

كانت هيفاء تتململ في السيارة كالجالس على الجمر بينما تقول في نفسها:
- ما الذي دهاني ؟!، وما هذا الذي أفعله؟.. لو ضبطتنا دوريات الشرطة ستكون فضيحة بل كارثة!!.

وأخذت تنقل نظراتها بين ملك و ريم الجالستين على يمينها، و كل منهما بادية الاستثارة، بينما حشرت شريهان في مؤخرة السيارة و الخوف يغطيها، في حين بدت ميرال و هي تجلس مجاورة لحسام و كأن لا شيء يهمها، وأخذت نفس الانطباع عن لمى و سمر و إن بدت الأخيرة رسمية للغاية، أما ملك فعلى طول الطريق لم تنبس ببنت شفة، و لم تهتد هيفاء لسبب الغضب الذي يلوح على محياها، و لكن بعد وهلة بدأ حسام يتعرف عليهن و يمطرهن بنكاته مدخلا السرور عليهن.

o b e i k a n d i . c o m

ابتسمت هيفاء و عادت تقول في سرها أنها يجب أن تعيش المغامرة إلى نهايتها.. طوال عمرها كانت تعشق الحركة و التشويق والبحث عن المغامرات لكنها لم تكن تملك حق حرية الحركة كما أرادت، و تذكرت بحنق عندما كانت والدتها تمنعها من الذهاب إلى حفلات صديقاتها أو إلى بيوتهن و ظلت زمنا طويلا لا تخرج إلا برفقة والديها و تحت رقابتهما ، و تساءلت عن سبب القلق الذي يكتنفها .. من المفروض أن هذا ما أرادته .. القليل من الحرية لتفعل ما تشاء.. لتكون كما تشاء ؟، و نظرت في زجاج السيارة إلى وجهها المحاط بـ"الإيشارب" و فكرت، ثم قالت محدثة نفسها :

- حسنا ... أنا لم أضعه بإرادتي و لكني سأنزعه بإرادتي.

و مدّت يدها لتنتزعه و تلقيه في حقيبتها و هي تلعن الظروف التي تجعلها تشعر بالذنب لما تفعله، وابتسمت و هي تشعر بالبرد على رقبتها ... كان بمقدورها في تلك الليلة أن تكون كما تريد، و طردت الخوف جانبا فما حدث قد حدث و لا فائدة من البكاء على اللبن المسكوب، فلتنقذ ما يمكن إنقاذه من أول يوم تقضيه حرة تماما تختار ما تفعله و لتعش هذا الجو الجديد المنعش و لتطرح الندم جانبا فهي لم تقترف جريمة، إنما هي ساعات تسرقها من الزمن الذي تعيشه ، فلتكن

ساعات ممتعة إذا. هذا ما كان يدور بخلدها حين قالت لها ملك هامسة :
- لماذا لم تخبريني ؟.
فالتفتت إليها هيفاء متسائلة، فأضافت ملك شارحة ببطء و هي تحاول السيطرة على نبرة الغضب في صوتها:
- لماذا لم تخبريني عن علاقتك بسمر؟
فقالت هيفاء باستغراب :
- أي علاقة !.. إن معرفتي بها معرفة سطحية .
فابتسمت ملك بسخرية و أشاحت هيفاء بوجهها، ولم تمر لحظات حتى قالت لها ملك :
- أصبحت علاقتك بها تتطور يوما بعد يوم ... هل تعرفين أنها قامت ببعض "الحركات" معي؟
رمقتها هيفاء بشك و قالت :
- أي " حركات " ؟.
فقالت ملك بغيظ :
- إنها شاذة !.
تملكت هيفاء الدهشة، وأخذت تلوم نفسها على خروجها في تلك الليلة، وبدأت تشعر بالقلق من الوضع برمته و أخذت تفكر في العودة من حيث أتت ، لكن السيارة كانت قد توقفت أمام الفيلا.. ترجلت الفتيات بينما تقدمهن حسام،

و ما إن دخلت هيفاء ويدها في يد ملك، وتبعتهما ريم بوجل، حتى وقعت عيناها على زجاجات المشروبات الكحولية المختلفة، و راقبت بتوتر أوضاع الشباب المتواجدين في الداخل، فاستدارت على عقبيها، و شدت ملك و ريم لتقف بهما خارج البوابة و قالت بصرامة :

- اسمعاني جيدا .. لا يمكن أن ندخل هنا ، الوضع لا يريحني .. سنذهب الآن .

فقالت ريم بتوسل:

- هيا يا هيفاء !.. لن نتراجع الآن.. إنها ليلة واحدة فقط.

حركت هيفاء يديها بقوة وهي تقول :

- لا واحدة و لا ثانية.. قلت لكما الوضع غير مطمئن بالداخل، و المكان يبدو مشبوها.. سنذهب الآن.

فردت ريم بضيق :

- و لكن أين سنذهب في هذا الليل ؟!.

فردت هيفاء بسرعة :

- إلى أي كافيه يفتح أربع وعشرين ساعة في دبي، وسنعود صباحا في أول باص يدخل للجامعة.. سأدخل الآن لأخبرهن بأننا راحلات.

أسرعت إلى الداخل بينما ملك تراقبها و قد عقدت يديها على صدرها، و بدت في غاية السعادة وهي تقول لريم:

obeikandi.com

- أنظري لهيفاء .. لقد عادت كما كانت، تقلق علينا كأنها أمنا .

هزت ريم رأسها موافقة و هي تقول :

- فعلا .. كانت تتصرف بغرابة في الآونة الأخيرة .. كان مزاجها دائما متقلبا.

عادت هيفاء و انطلق الثلاثي الخطير هاربا من تلك الفيلا كأن هناك من يجد في إثرهن.

أما في داخل الفيلا فقد اختلطت سمر بالضيوف، ثم صعدت إلى غرفة سلطان بإشارة من سعيد، فيما انشغلت ميرال مع حسام الذي كان يحتسي الفودكا رافعا كأسه لتحية شريهان التي أخذت مقعدا في زاوية الصالة الكبيرة وأخذت تتأمل المكان.. الأضواء خافتة والموسيقى الغريبة لا تفهم منها الكثير، بينما طفا على مقربة من ركبتيها ضباب كالذي يستخدم في العروض المسرحية.

كان سعيد قد زود فيلته بأحدث تقنيات الديسكو المنزلي الخاص، فتصميم القاعة مقسم إلى قسمين، أحدهما مرتفع خاص بالرقص والمشروبات، بينما القسم الثاني الذي يعلوه بقليل، قد فرش بفرش عصري ليناسب كل الاحتياجات الخاصة، فإذا أراد احدهم الاستلقاء المريح كان له ذلك وإذا أراد مكاناً ضيقاً " لينحشر فيه شخصان كان لهما ما أرادا، بينما علق في

Obeikandl.com

سقف تلك القاعة كرة كريستال دوارة تنعكس عليها الأضواء الخفيفة متحولة إلى انكسارات ضوئية ناعمة مما يعطي القاعة منظرا و إيحاءا لا يقاوم للرقص، فالنغمات و الأغاني المنبعثة من السماعات الهائلة التي لا يعرف أحد مكانها سوى سعيد تجعل الحضور يشعرون بالصوت كأنه يأتي من داخلهم أو من اللامكان، فلا جهة محددة، كأنما الصوت يحتويك وتحتويه في انسجام غريب و تناغم عجيب، عندها لا تملك الأجساد إلا أن تنساق إلى سحر الصوت والمكان في رقص محموم أحيانا و هادىء في أحيان أخرى حين يرتاح الجسد على الآخر في بحر من المتعة المتقلبة.

هذا ما لاحظته شريهان في المكان فهي أيضا تشعر بالتقلب كأنها في حلم حينا و في كابوس حينا آخر، ففي لحظة تكون منتشية بالمكان و الناس و في اللحظة التي تليها تكره المكان و الناس و نفسها، و تنازعتها أفكار و خواطر متناقضة، فهي تريد أن تعيش هذا الجو ولكنها تخاف و تشعر بالذنب، وحانت منها التفاتة إلى ميرال فوجدتها في أحسن حال من الانشراح، وقد أخذت ترقص رقصا غريبا مثيرا، وتعجبت: كيف سمح لها حسام بذلك و العيون تكاد تأكلها، وانتقلت بنظراتها من العيون إلى الوجوه فرأتها بعضها وجوه شيطانية وأخرى ملائكية، وأعجبها وجه أبيض مليح القسمات..

كان شاباً سعودياً و قد أشار لها بكأسه و ابتسم فابتسمت له و راق لها، و عندما وجد منها قبولاً قام مخترقاً الأجساد المتراقصة المتلاحمة واقترب منها، ورأته في الضوء أجمل مما كان عن بعد، لكنها عادت لتقول في سرها: أن الشياطين قد تكون بوجه ملائكي بعدما طوقها بيديه و لم تدر كيف لم تقاومه .. إنها في كامل وعيها، لم تشرب خمرا حتى تلك اللحظة ، فما الذي منعها من أن توقفه عند حده ؟ ..

شعرت بأنفاسها تتلاحق و هي تلاحظ الآخرين في القاعة.. لقد جاءت بنفسها إلى مكان لا حدود فيه ، ولكن أليس هذا ما أرادته ؟! .. أن تكون في مكان بلا حدود .. بلا قيود ! ، فلماذا هذا الشعور بالضيق والذنب؟، ولم تكد تفكر في دفعه بعيداً عنها حتى كان حسام قد شده من جلبابه، و قال وهو يترنح :

- ابتعد عنها !.. هذه فتاتي .

وابتعد الشاب في لحظة فالمكان يعج بالفتيات، و سيجد بدل الواحدة عشرة ورفعت شريهان وجهها إلى حسام لتشكره، ولكنه لم يبد أي إشارة، إلا أنه قال لها وهو يضع يده في يدها و يسحبها معه إلى البار :

- ألست أنت فتاتي ؟ .. فتاتي الصغيرة .

كانت شريهان تتبعه وهي تتطلع لميرال التي بدت مشغولة للغاية حتى لم تعد تنتبه لحسام الذي كان يقول وهو يقاوم تأثير الكحول عليه :

- زي ما بتعرفي يا شيري .. أنا كتير معجب فيكي .. من يوم ما شفتك .

ابتسمت شريهان بخجل بينما وضع يده على كتفها وصبّ لها كأسا من الخمر، وأضاف :

- خذي هذا مني .. أرجوك .

اهتزت شيريهان بقوة و هي تقول بعصبية :

- لا .. لا .. أنا لن أشرب خمرا أبداً !

فقال حسام و هو يحاول فتح عينيه :

- هذا ليس خمراً .. هذا بيكاردي .. إنه مثل ريد بول .. سيعطيعك جوانح .

نظرت له شيريهان بشك، فأضاف :

- هذا يعطيك جوانح و زعانف كمان .

ضحك حسام بشدة وهو يضع الكأس في يدها.. ترددت قليلاً و لكنها خشيت أن يتركها و قد بدأت تستمتع بصحبته، فشربته دون أن تستطعمه كأنها تبتلع دواء، و حدثتها نفسها بأنها مهما حدث فهي بأمان مع حسام، و أخذت ترنو إليه و هي تفكر فيه .. إنه جنتلمان ، رقيق ،متفتح ، متحرر!.. إنه رائع بكل المقاييس ، أنه كل ما تمنته يوما .

obeikandl.com

في ذلك الوقت كانت سمر تضع ساقا على ساق و قد جلست بين سلطان وسعيد، و بدأت تبحث في ذاكرة الموبايل عن صورة واضحة لمهرة، و بعد أن عثرت على مبتغاها ناولتها للسلطان الذي تلقفها متلهفا، و في لحظة نقلها لموبايله، ثم أعطاه لسعيد ليرى تلك الصورة، فألقى سعيد نظرة أعقبها شعور بالحسرة وقال بضيق :

- هذه الصورة عادية لاشيء فيها و لن تفيدنا .

فالتفت سلطان منتبها إلى سمر و قد جحظت عيناه غيظا ، فقالت ببرود :

- اتفقنا على صورة و قد أحضرتها .. ثم إنه ليس من السهل تصوير مهرة في وضعية معينة أو بملابس شفافة .

فقال سلطان بحماس :

- كله بثمنه..سأعطيك ما تطلبين إذا ما ساعدتنا في هذا الأمر و حتى بالنسبة لهذه الصورة الصغيرة .. خذي .

قال ذلك و هو يخرج أوراقا من فئة الألف درهم ويضعها في فتحة قميصها فأخذتها بهدوء و وضعتها في جيبه، وهي تقول بخبث :

- فلنر بهذا الشأن .. أشرحا لي ما هو المطلوب بالضبط.

* * *

(٨)

نـهاية فراشة الربيع

شعرت شريهان بالغرفة تضيق حتى تكاد تطبق على أنفاسها، و تعود لتتسع فتشعر بأنها في اللامكان.. بحثت عن المخرج بعينيها فلم تجده، كأنها في غرفة لا تعرف كيف دخلت إليها.. في دائرة لا تعرف بدايتها من نهايتها، و كل ما كانت تعرفه هو حسام الذي يعبث بشعرها و قد لعبت الخمر برأسه فلم يعد يعي ما يقول أو يفعل.. كانت تشعر كأن الخدر يتسلل إلى جسدها وبأن رأسها يدور و يدور .. لكنها لا تزال واعية لكل ما يحدث لها..دفعته برفق، وهي تقول هامسة :

- أين ميرال ؟.. يجب أن نذهب ، لقد تأخرنا .

كان حسام يجذبها بهدوء بحيث لم تشعر بالخوف منه، فهو لا يجبرها على شيء ..إنه فقط يدعوها، لكنه لا يحاول إجبارها على قبول الدعوة..أمسك معصمها برقة و طوق رقبتها بهدوء و قال ببطء :

- ميرال! من ميرال ؟.. آه لقد تذكرت ، لقد ذهبت مع صديقتها .. لقد خرجتا .

جزعت شريهان و دفعته بقوة غير مصدقة .. كيف تركنها وحيدة ؟.. هل حسام يخدعها ؟.. لكن هذا لا يغير من حقيقة أن صديقاتها لم تسألن ، ولا واحدة منهن، عليها منذ ساعات .

دعكت عينيها بقوة و حاولت أن تتماسك لتجد باب الغرفة التي ساقها حسام إليها ،و ما إن اهتدت إليه حتى قامت مترنحة و دفعته و هي تفكر بأنها وحيدة تماما في ذلك المكان ، ومن الفرجة الضيقة التي أحدثتها لم تستطع أن تلمح أثرا لواحدة من " الفايف ستار"، فخرجت من الباب، بينما كان حسام يناديها ولكنها لم تلبث أن عادت مسرعة بعد أن رأت الوضع في الخارج، و قد بدا الكل سكارى و لمحت شابين بديا في غاية الاستثارة لرؤيتها تخرج من الغرفة، فأغلقت الباب بالمفتاح، و هي تشعر بالأمان هناك بجوار حسام ، وما إن رآها حتى ابتسم و اقترب منها وهمس في أذنها، بينما كان يتحسس ظهرها :

- حياتي .. رح قلك سر .

كانت شريهان تشعر بنوع من النشوة وكأنها مسحورة مفتونة و لم تقاوم ، ولم تستطع أن تفكر بالمقاومة وامتدت اللحظات إلى دقائق لم تعرف في

حياتها مثلها .. دقائق سحرية تحولت إلى ساعات ضبابية ، لم تنم في تلك الليلة و مع أول إشراقة للخيوط التي تسللت من النافذة رفعت شيريهان رأس حسام من فوق بطنها ببطء ،و قامت وهي تشعر بالبلل يضايقها انتشلت ملابسها وبحثت عن ربطة شعرها أسفل المخدة فلم تجدها، و أخذت الموبايل و مشت بصعوبة إلى الحمام، و هناك استحمت على عجل ووقفت أمام المرآة عارية مبهورة لأول مرة في حياتها تنظر لجسدها عارياً بالكامل ،لقد كانت تخجل منه

وتذكرت الخرافات و الأساطير عن الجن الذي يعشق الفتاة إذا ما تجرأت وتأملت جسدها العاري في المرآة، لذلك لم تجرؤ أبداً على هذا الفعل، وعندما كانت تغير ملابسها فهي تفعل ذلك على قسمين فتغطي أحدهما ثم تلبس الجزء الآخر متجنبة إطالة النظر إلى جمالها.

في ذلك اليوم بقيت فترة تتأمل نفسها و شعرت بأنها تعشق جسدها، و أنها رائعة، كأنها تكتشف شيئاً جديداً وكل هذا بفضل حسام ..إنها تدين له بذلك، لكنها ما لبثت أن دمعت عيناها و جلست على أرضية الحمام تبكي و تنتحب فهذا هو الوضع الطبيعي لما اقترفته.

هكذا خاطبت نفسها بجملة من الأسئلة ، و قد بدأت ترتعش خوفا:

ـ ما الذي سيحدث لي لآن؟..إني لم أعد عذراء فماذا سأفعل في حياتي؟ وإلى أين سأذهب ؟! إني لن أستطيع أن أتزوج أبداً ؟ كيف سأواجه والدي و الخالة منيرة و أهلي جميعا، و ماذا سيقول الناس عني ؟.

بعد كل سؤال من أسئلتها السابقة كانت تزيد من نحيبها و هي تشعر أن الصواعق لم تجد إلا رأسها لتنزل عليه، ثم شهقت من الفزع و هي تفكر في إمكانية أن تحمل من حسام، و لم تعد قدماها تحملانها، سيقتلها والدها، نعم، نعم سيفعل.. أخذت تنتحب بصوت مكتوم وهي تفكر في الفضيحة و في شماتة أعدائها فيها، ثم سكتت فجأة و هي تقول في سرها :

ـ ما الذي سيجعلهم يعرفون؟ أنا لن أقول طبعاً و لن يفعل حسام أيضاً، و ميرال و لمى و حتى سمر تركنني وذهبن فلا أحد يعلم سواي و حسام .. و ما حدث قد حدث و على رأي المثل الإنجليزي: لا يمكن إعادة المعجون إلى الأنبوب، وسيكون من الغباء أن أركض باكية لأخبر صديقاتي أياً كن، ولن أعترف لخالتي، لهذا علي أن أنسى ما حدث أو أتناساه، و أما عن الزواج فأنا لا أزال صغيرة و أمامي الكثير من الوقت لأتصرف فيما بعد، و إذا دعت الضرورة أن أعيش عانسا فليكن ، فلا شيء يهم ،و ارتدت ملابسها و هي تشعر أنها أكبر خاطئة في الشرق الأوسط.

تأملت وجه حسام النائم بكل براءة و شعرت بالحقد عليه فهو من دفعها إلى ما هي فيه ..لا بل هي السبب فيما حدث ،فهي التي كانت في كامل وعيها وهو لم يكن يعي ما يفعله، فلماذا لم توقفه ؟

انفلتت هاربة من خواطرها و من المكان كله، وأسرعت في طريقها إلى الجامعة في سيارة أجرة فشعرت بالجرأة و الشجاعة فلم يكن قبل تلك الليلة تجرؤ أن تتصرف كما فعلت في ذلك الصباح، فبحكم العادة كانت تنتظر ميرال لتتبع خطاها، وتذكرت ميرال بمزيد من الحنق لأنها تركتها هي وسمر ولمى لوحدها، كان من الممكن أن يحدث لها أسوأ مما حدث في تلك الليلية، وفجأة اختفى الشعور بالذنب الذي لازمها باتجاه ميرال لكونها خانتها مع صديقها، بل أن ذلك الشعور تبخر بمجرد أن وطأت قدماها أرض السكن وشعرت بالأمان أخيراً.

مرت الأيام وبدأت شريهان تشعر بأنها تغيرت جذرياً كأنها ولدت من جديد في تلك الليلة، لم تعد تهاب ميرال وأصبحت تنسلخ شيئاً فشيئاً من شلة الفايف ستار وحاولت التعرف إلى هيفاء لكن الأخيرة رفضتها بشكل غير مباشر، كأنما شريهان هي السبب في الهفوة التي ارتكبتها ذات ليلة جنونية، وقد احترمت شريهان رغبتها وهي تشعر بالتحول ينتشر من داخلها إلى

الخارج حيث أصبحت أكثر هدوءاً وأكثر اهتماماً بدراستها وشعرت بأنها كبرت وبأنها اختبرت كل ما في الحياة، ولم تحاول الاتصال بحسام الذي لم يكن يذكر عن تلك الليلية سوى أطياف متداخلة، لكنه تذكر ما حدث بينهما عندما استيقظ ليجد آثار الليلة الفائتة على الفراش وحقيبة شريهان التي نسيتها، لم يعد يدري ماذا يفعل بعد أن شعر بالذنب.. فشريهان كانت تبدو له كطفلة، ولأنها كانت غير ذات خبرة خشي في البداية من ملاحقتها له فكان يتجنبها في أبوظبي ويتحاشاها كلما رآها في مكان، ولكن ما أثار استغرابه هو تحاشيها له أيضاً، فلم تطالبه بشيء ولم تلاحقه ولو بنظرة

لم تعرف ميرال ما حدث لشريهان مع حبيبها حسام، وظلت تسأله عن سر تحوله الغريب، فقد بدأ يتهرب منها وتحول بعد فترة إلى ملاحقة شريهان، أراد أن يكلمها لكنها لم تعطه الفرصة أبداً وشعر بعد فترة أنه متعلق بها، بحزنها الصامت، بجمالها الطفولي، وحاول مراراً وتكراراً أن يتصل بها دون فائدة، وبعد مرور شهر على تلك الحادثة وجد أنه لازال يعيش معها بخياله، بينما تراءت له شريهان كمن يحاول أن يمحو تلك الذكرى من خياله و حياته كلها.

***

كان سيف يحمل مهرة من وسطها وهو ينظر بدهشة إلى خالد الذي تجمد أمامه في باب الغرفة المظلمة غاضباً مصدوماً حزيناً لأبعد الحدود، ولم تعد يدا سيف تتحملان أكثر فأسقطها وهو ينظر إلى خالد برجاء ويقول :

ـ خالد؟! ما الذي أتى بك إلى هنا؟..اسمع، لا تفهم الوضع خطأ، إن الأمر ليس كما يبدو عليه!

بدا خالد كمن لم يسمع سيف، وابتعد من الباب، حاول سيف اللحاق به، لكنه لم يستطع ترك مهرة ملقاة على الأرض تئن وهي غائبة عن الوعي تقريبا فحملها إلى أقرب أريكة، وخرج يشتعل من الغيظ وهو يبحث في أرجاء الفيلا عن خالد وسعيد و حنان، والحيرة تؤرقه، والقلق يحرقه..سيطر عليه تصوره أنه قد سقط في فخ وضعه له سعيد وجاء إليه بقدميه، وقد أقسم أنه لو رأى سعيدا في تلك اللحظة لقتله، وفجأة اصطدمت عيناه بحنان مرتدية قميص نوم تخرج من إحدى الغرف وهي تحمل حاجياتها بيدها، وما إن رأته حتى تجمدت مكانها..لم يسعفه لسانه ليقول شيئاً، إنما أسرع إلى تلك

الغرفة التي وقفت أمامها ليجدها خالية، ولكن هذا لم يرح قلبه فسألها والدهشة تملأه :

ـ ماذا تفعلين هنا؟ وما هذا الذي ترتدينه؟

أدركت حنان أن سعيد قد خدعها، ومرت حياتها كلها أمامها ...لم تعد تستطيع خداع سيف بعد الآن، شعرت بغصة في حلقها وهي تقول بمرارة و استسلام:

ـ ما تراه أمامك..

بدأت الخيوط تتجمع في ذهن سيف،إذن فقد ساعدت حنان سعيد ليوقعاه في هذا الفخ..لقد كان سيف في رحلة عمل في دبي، وما إن انتهى حتى اتصل به سعيد ليخبره أن صديقته حنان. عنده في الفيلا ولم يتمالك سيف نفسه،أسرع إلى المكان فوجد الباب مفتوحاً كأنه مهيئاً له، وأقتحم المكان فسمع صوت الأنين وبكاء مكتوما في احدى الغرف، فدخلها ليجد مهرة تحاول الفكاك من شاب طويل القامة عريض الكتفين..عقدت المفاجأة لسانه، لكنها لم توقف يديه، فلكمه بقوة فسقط مغشياً عليه من أول ضربة بسبب أفراطه في شرب الخمر.

حاول سيف تهدئة مهرة وسؤالها عما يحدث ولكنها لم تكن في كامل وعيها وإن استطاعت تمييز سيف وأمسكت بيده كأنها تستنجد به، فحملها ليبعدها عن الأرض، فلم يستطع تركها على تلك الحالة ولم يعرف

كيف جاء خالد إلا بعد أن رأى حنان... فسعيد قد وطد علاقته بخالد ويبدو أنه أكد له على أن سيف هو الصديق الذي كان يسأل عن مهرة ،وجعله يرى بنفسه صديق طفولته متلبساً بالجريمة.

كان سيف يفكر في خالد، يجب أن يشرح له ما حدث.. يجب.. ولكنه وقف متأملا حنان، التي أحبها وظنها ملاكا، ولا مثيل لها في عالم البشر، رمقها من رأسها إلى أخمص قدميها، وهو يميز غيظا،ثم قال لها احتقارا:

- بنت العاهرة!

لم تدرِ حنان كيف طارت يدها في الهواء لتصفعه بقوة ، وانفجرت الدموع من عينيها وهي تمسك بتلابيبه وتصرخ فيه بصوت متحشرج :

- اخرس!.. لا تأتي على ذكر أمي على لسانك!..

وتركته لتسقط عند قدميه وهي تنتحب من القهر، لماذا حدث ذلك لها؟، لقد كانت ستتوب عن كل شيء لأجل سيف والآن لم يبق لها شيء..أول مرة تشعر بالدونية والضعف، أرادت أن تشرح له كيف أن سعيد هددها إن لم تأت بأن يخبر سيف بكل ما يعفه عنها، أرادت أن تشرح له بأنها فعلت ما فعلته لأجله، أرادت

obeikandl.com

أن تقول الكثير لكن سيف رماها بنظرة لم تستطع نسيانها أبداً، وابتعد من أمامها بسرعة.

بحث عن خالد في كل مكان فلم يجده ،اتصل على موبايله فلم يجبه، بحث عن سعيد ليقتلع أحشاءه فلم يجده..لم يستطع أن يعود إلى الدور العلوي الذي بقيت فيه حنان، فعاد إلى الغرفة التي ترك فيها مهرة فلم يجدها ولم يجد عباءتها التي كانت ملقاة على طرف الباب، وإن بقي ذلك الشاب متكوّماً في مكانه.

أيقن أن مهرة قد أفاقت وأسرعت تهرب من ذلك المكان، وبدا له أنها وقعت ضحية خديعة مثلما حدث له.. وقف أمام السلم قليلا فسمع حنان تنتحب، لم يستطع أن يصعد إليها،ثم قال:

فلتبق هناك إلىلأبد.. لم أعد أريد أن اسمع عنها شيئاً!

هذا ما جال في خاطره وهو يستقل سيارته مسرعاً باحثاً على غير هدى عن سيارة خالد في أرجاء دبي.

***

أطرقت شريهان برأسها وهي تشعر بالعصارة الحامضية ترتفع في معدتها بسبب ما قالته الخالة منيرة وهي تجلس على طرف سريرها تحدثها عن

تجهيزات حفل خطوبتها، ولكنها شكرت الله أنها جاءت لتفاتحها أولاً ولم تخبر والدها بعد،

كانت الخالة منيرة في غاية السعادة وهي تخبرها بأنها تريد خطبتها لواحد من شباب العائلة، وأخذت تكلمها عن فستان الحفل وعن العرس الذي سيقام لها، ولم تكن شريهان تسمع أياً مما قالت بل كل ما استقر في ذهنها هو الفضيحة ووالدها الذي سيقتلها وبنظرات الخالة منيرة لها، ولم تستطع التحمل أكثر فانتصبت واقفة وهي تقول بجزع :

- لا... لا أريد!

نظرت إليها الخالة منيرة بدهشة وهي تقول :

- لماذا؟ هل هناك شيئ يضايقك؟ قولي لي يا صغيرتي، منذ متى تخفين عن خالتك شيئاً؟

طالعتها شريهان وتأملت ذلك الوجه الحبيب، فالخالة منيرة كانت أقرب الناس إليها ولن تتحمل ما قد تقوله، ولكنها شعرت بأنها تريد أن ترتاح من حملها، فقالت بعد تردد:

- في الواقع يا خالتي.. أنا لا أستطيع الارتباط بأي كان إلا بعد انتهاء دراستي

لكن هذا القول لم يرح بال الخالة منيرة، ونظرت لها في شك فخافت شريهان من أن يتطور الوضع ويتدخل والدها في الموضوع فقالت كمن استسلم :

ـ حسناً .. حسناً .. سأخبرك بالحقيقة .
و جلست بجانبها بينما وضعت الخالة منيرة يدها على رأسها و هي تقول :
ـ نعم يا صغيرتي ... صارحيني .
قالت شيريهان بخجل :
ـ أنا في الواقع أحب شخصاً آخر .
صدقتها خالتها هذه المرة و صمتت قليلاً كمن خاب أمله، و لكنها ابتسمت وهي تقول :
ـ حسناً يا حبيبتي ... و متى سيأتي ليخطبك ذلك الشخص الآخر ؟
قالت شيريهان في وجوم :
ـ قريباً ..
تركتها خالتها بعد أن ربّتت على كتفها و خرجت من غرفتها،على حين ترقرقت الدموع في عيني شريهان عندما رن الموبايل لتجد رقم حسام فأغلقته و ألقت به بعيداً، واتجهت صوب الشرفة.

***

obeikandi.com

كان سعيد و سلطان يمسحان الفيلا شبراً، شبراً بحثاً عن كاميرا فيديو كان سعيد قد و ضعها ليصور مهرة في أوضاع مخلة ليهددها سلطان بها، و قال سعيد وهو يرفع غطاء الأريكة باحثاً تحتها :

ـ ألا تذكر من الذي ضربك لحد الآن .. لم يكن عليك أن تتهور اتفقنا على تصويرها حتى تأتينا طائعة فيما بعد ،و ليس أن تهجم عليها و هي تكاد تفقد الوعي.

فقال سلطان و هو يضغط مكعبات الثلج على رأسه :

ـ لم أستطع أن أقاوم لو رأيتها ... لعذرتني لقد كانت مذهلة .

قال سعيد و هو يجلس مستسلماً :

ـ لقد بحثنا في كل مكان، من يا ترى أخذها؟ لقد وضعتها فوق الرف حتى لا ينتبه لها أحد، قد يكون سيف أو حنان

وانفجر ضاحكاً، وهو يتخيل ما حدث في الفيلا عندما أدخل خالد و أشار للغرفة التي دخلها سيف بعدما سمع صوت مهرة، و تذكر حنان التي كانت في الطابق العلوي لا تدري لما يخطط له، وأثنى على ذكائه و هنأ نفسه على انتقامه لقد خدع الجميع بلا استثناء، واستخدمهم لتحقيق مخططاته، ثم هرب تاركاً الفيلا بما فيها لشخصيات المسرحية التي كتبها بنفسه و أدى كل واحد منهم دوره دون أن يدري و ضرب كفاً بكف و هو

يشعر بالراحة أخيراً و إن كان موضع الكاميرا الضائع يشغله، ثم قال :
ـ طال عمرك .. يجب أن نحصل على تلك الكاميرا بأي شكل .. لا تشغل بالك سأتصرف .

كان سلطان لاهيا عما يقوله سعيد .. يكاد يشتعل من الغيظ و هو يلعن حظه الذي جعل مهرة تفلت من يده بعد كل ما فعله ليحصل عليها.. لقد دفع لسمر ما يفوق عشرة آلاف ما بين صورة و مساعدة منها لإيقاع مهرة في الفخ، وسحبها إلى الفيلا و بعد كل هذا العناء لم يحصل على شيء .

***

وقفت مهرة تغسل وجهها وهي لا تصدق ما حدث معها، وحمدت الله على دخول سيف المفاجيء حين أنقذها فتحاملت على نفسها و هربت من تلك الفيلا الملعونة و أخذت تلعن اليوم الذي عرفت فيه سمر، وأقسمت على أن تجعلها تدفع الثمن .

اتصلت بميرال و حكت لها ما كان و أسرعت في طريقها إلى الجامعة.. وقبل أن تشير للسيارة، قطعت

طريقها سيارة انفينيتي سوداء،خرج منها خالد بسرعة و رماها بنظرات نارية.. تراجعت مهرة على إثرها بخوف و دهشة،
و لم تعرف فيم تفكر فهي لم تنتبه لوجوده داخل الفيلا ،وقالت باستغراب :
- خالد !.. ماذا تفعل هنا ؟!
لم يرد .. و استمر يطالعها بجمود في حين عربدت فكرة شريرة في رأسه ، فأضافت بضيق :
- ماذا تريد مني ؟!.
فقال أخيرا و بهدوء لا يناسب هيئته المشتعلة :
- اركبي .
رمقته مهرة بحدة و مضت في طريقها مبتعدة عنه، فجذبها من ذراعها بقوة وقال :
- اركبي و إلا سأجعلك تندمين .
حدجته مهرة بنظرة صارمة و هي تقول باستفزاز :
- و الله!.. كيف ستجعلني أندم ؟!.
فلوح بكاميرا فيديو صغيرة و قال ساخرا:
- في هذه الكاميرا كل ما كنت تفعلينه في تلك الفيلا ياشيخة مهرة .. ترى ماذا سيقول والدك؟..إذا ما أرسلته له أو إذا ما رآه على النت؟.
تعلقت عينا مهرة بيده و شعرت بالخوف يكاد يجمدها .. انسحبت أنفاسها و قد فجعت بالكارثة التي هبطت

عليها من السماء..عصرت ذهنها وهي تفكر في الكيفية التي حصل بها خالد على الكاميرا .
كرر خالد أمره قائلا :
- اركبي الآن .
كانت مهرة في تلك اللحظات ترى نفسها أمام خالد آخر غير الذي عرفته .. خالد ذلك الرقيق الذي ظننته غير كل من سبقوه ، و مع ذلك سخرت منه بكل قسوة .. طالعته و استنتجت أنه يريد أن ينتقم منها و تملكها الخجل مما حدث .. ومما يكون قد رآه، و قالت بخوف:
- مالذي تريده مني ؟!.. إلى أين ستأخذني ؟
فرد خالد بثقة :
- سنعقد صفقة .. سأعطيك الشريط بعد أن آخذ ما أريده .
جحظت عيناها و هي تقول :
- ماذا ؟!!.. ماذا تعتقد بي !
قال خالد بمرارة :
- من تكونين ؟!.. الشيخة مهرة!..ماذا تكونين ؟!.. لماذا ينالك الجميع إلا أنا ؟.. لم يحبك أحدهم كما فعلت .. اسمعيني جيدا ليس أمامك إلا أن تستجيبي لي وإلا سأنشر هذا الشريط على الملأ لتكون فضيحتك على كل لسان .

كان خالد يتكلم و الألم يعتصر قلبه .. و هو يراقب عواطفه الجميلة، التي كانت نبيلة يوما ما، عندما تتحول المشاعر إلى نقيضها ،و في أسوأ الأحوال حينما يتحول الحب إلى كره فإنه يكتسح كل ما أمامه .

قالت مهرة و قد بدأت الدموع تحتشد في عينيها :

- كنت أظنك غير .. كنت أظنك مختلفا عنهم .. لكن كلكم شبه بعض .

و في لحظة خطفت الكاميرا من يده، وانفلتت تركض بين السيارات المسرعة، بينما صرخ خالد فيها :

- توقفي !.. مهرة أنا آسف ، عودي .. اسمعيني

لم تتوقف و ركض خلفها فزادت من سرعتها، و هي تحتضن الكاميرا، دامعة العينين ،و احتشدت الأفكار في رأسها .. كيف يحدث هذا معي أنا ؟!!.. كيف تجرأوا وصوروني ؟!.. كيف حصل خالد على الفيديو ؟!.. لقد أحببته يوما !.

وتلاحقت أنفاسها و بدأت تنشج و قد تعبت قدماها، بينما رددت في سرها:

- إنه لا يستحقني..لا أحد يستحقني .. كلهم كلاب .. لا أحد منهم يستحقني أبدا .

صرخ خالد مفجوعا حين سقطت مهرة ... تسبح في دمائها ،وقد صدمتها شاحنة كبيرة .. طارت الكاميرا

وتهشمت إلى أجزاء .. تجمع الناس عليها بين الشهقات و الصيحات .. اخترقهم خالد وانحنى عليها يكلمها فلا ترد.

.. بكى و هو يرفع رأسها ببطء محاولا إيقاظها، لكنها كانت قد أطبقت عينيها بألم، و ازداد خالد ألما و هي تنتفض بين يديه.. نظر لدمائها التي غطتها و هو يكاد يفقد وعيه و لم تقو قدماه على حمله .. أراد أن ينقلها إلى المستشفى لكنه لم يستطع حراكا .

ظهر شرطي و أسرع يأخذ بيانات الشاحنة وصاحبها، فيما طلب سيارة الإسعاف ، و جاءت السيارة بسرعة في الوقت الذي شعر خالد أنه لبث دهرا ينتظر هناك معها ، و لم يصدق أن ذلك حدث ، صعد مع جسدها المسجى فوق النقالة و انطلقت سيارة الإسعاف في طريقها بينما صوت صفارتها يخترق سمعه فيزيد نحيبه.. و سقط على ركبتيه في ساحة الانتظار بالمستشفى، بينما نقلت مهرة إلى قسم الطوارىء .

* * *

أقبلت الخالة منيرة على شريهان تقبلها و الفرح يشع من عينيها ، و قالت لها بحبور:

- مبروك يا حبيبتي.. ذلك الشخص الآخر رائع، فعلا كنت محقة حين انتظرته

طالعتها شريهان في دهشة و لم ترد بكلمة، محاولة استيعاب ما تقوله خالتها التي أضافت بابتسامة واسعة وهي تشير إلى نفسها بزهو:

- أنت تعرفين أن والدك كان يفضل أن تتزوجي بفلسطيني مثلك، و لكن خالتك منيرة أقنعته بأن ذلك الشاب اللبناني " عريس لقطة ".

قالت شريهان بحلق ناشف :

- أي " عريس ؟!

فردت خالتها وهي تغمزها :

- حسام وهبي .. لا تدعي بأنك لا تعرفينه.. أم أنك تمثلي علي دور"التقيلة"

خرجت الخالة منيرة بعد أن أوصتها بارتداء أجمل ما في خزانتها عندما تأتي والدة حسام لتراها، بينما شريهان في عالم آخر لا تدري هل هي سعيدة أم حزينة؟ .. مشاعر مختلفة تقاذفتها ، و لم تصدق ما سمعته أذناها ، فكيف يخطبها حسام بعد ما حدث بينهما ؟!.. المفروض أن الشاب في العالم العربي إذا أراد اللعب و المغامرة بحث عن أي فتاة تقبل بذلك، أما إذا أراد الزواج ، بحث عن امرأة مثل مريم العذراء .. أليس هذا حال الدنيا ؟!..

إن ما يحدث معها الآن أبعد من خيالها، و لم تتجرأ في أكثر أحلامها جموحا أن تأمل في هذا.. لقد فكرت في كل الاحتمالات و الحلول إلا هذا الأمر و كأنه المستحيل .. لم تستطع أن تفهم حسام .. هل أحبها أم شعر بالذنب ؟ هل يريدها حقا ؟!.

قامت متجهة إلى شرفتها غير مصدقة، فتحتها لترى العالم جميلا و رائعا

و مشرقا، لأول مرة منذ سنوات تشعر بتلك السعادة و تلك الثقة.. لم تعد شريهان الخائفة المرتبكة بعد تلك اللحظة إنها إنسان جديد.. و ترى العالم بعين ذلك الإنسان .

* * *

ماتت مهرة .. وانتشرت الحكايات والإشاعات في الجامعة بأكملها عن حادثة وفاتها .

آسف عليها الجميع سوى هيام الرصافي ، لم يستطع قلبها الأسود أن يصفو

و لو قليلا، و تشدقت أمام البنات بأن هذه نهاية كل فتاة " لعابية " خرجت عن الطريق القويم ، وأخذت تعظ البنات كأنها إمام الواعظين، وهي التي لم تسلك

الطريق المستقيم في حياتها، لكنها هذه المرة قوبلت بغضب شديد من الطالبات و خصوصا ميرال التي وقفت في وجهها محذرة إياها بأنها لو قالت كلمة زيادة في حق مهرة فستقطع لسانها، و ستعرف كيف تتسبب في طردها من الجامعة ، و قد أدى هذا التهديد هدفه، فمضغت هيام لسانها و انشغلت في تفاهاتها اليومية.

غرقت ميرال في بكاء مرير على فقدان صديقتها ، تلك الرفيقة القديمة التي ترك رحيلها و بتلك الطريقة ندبا كبيرا في حياةها، و بقيت طوال العام الدراسي لا تخرج من غرفتها إلا لدوامها في الجامعة، و تعود مسرعة كأنها تهرب من الذكريات و من عيون البنات و ألسنتهن ، و تنزوي في غرفتها كل يوم والعبرات تكاد تخنقها .. تحاول أن تدفن أحزانها في أوراقها و كتبها، وقد زادها ترك حسام لها حزنا على حزن .

عندما علمت ميرال بخطبة شريهان لحسام لم تغضب و لم يداخلها شعور بالأسى ، كل ما كان أنها تعجبت .. تعجبت من الأيام و ما فعلت بهن، وإلى أي حال أوصلتهن !.. حال لم تتخيلها يوما .

افترقت الصديقات مبتعدات عن ميرال و كأنها السبب فيما حدث، أما شريهان لم تعد تعرفها و أصبحت تتجنبها.. و تحطمت ميرال و ذابت من الحزن و قد حقدت على سمر كل الحقد و اعتبرتها القاتل الحقيقي

لمهرة، و لم يكفها ما حدث لسمر فقد أصبحت فضيحتها على كل لسان بعد أن عرف الجميع بعملها القذروطردت من الجامعة.

بعد فاجعة مهرة جن جنون والدها .. لم يصدق ما حدث لابنته ، فكيف تهرب مهرة من السكن و تموت خارجه ؟..إنه لم يحرمها من شيء في حياتها وأعطاها كل الحرية التي أرادت .

قلب والدها الجامعة رأسا على عقب ليعرف بالضبط ما حدث لابنته و تم التحقيق في القضية بحرص شديد إلى أن اكتشف والدها ماكان، و جند محاميه لرفع قضايا على المشتركين في المؤامرة و لم يعد يأبه بالفضيحة أو ما يتناقله الناس..فلم يعد يهمه سوى الانتقام لابنته الجميلة التي ماتت في ربيع حياتها.

لم تسقط مهرة من عين والدها أبدا فقد اعتبرها الضحية في كل ما حكته له ميرال من أحداث و عن آخر اتصال لها مع مهرة، وقد كان لوالدها ما أراد ، فقد ثبتت على سعيد تهمة إدارة فيلته كبيت للدعارة، و كالعادة فقد خرج سلطان - ابن المسؤول المتمكن وصاحب السلطة - من الموضوع كمن لا يد له فيه.

أما عن سمر فبعد أن فصلت من الجامعة سافرت إلى الأردن بسرعة هربا من غضب والد مهرة، و استأنفت

دراستها و عملها في عمان ، و لكن كل هذا لم يشف غليل والد مهرة ، و لم يخفف من ألمه أو ألم صديقتيها ميرال و شريهان اللتين بكتاها حتى جفت الدموع من عيونهما.

تابعت شريهان حياتها بعد مدة، في حين لم تستطع ميرال تجاوز حزنها، وإن كانت كعادتها تحولت إلى ملاكٍ حزين، فباركت لشريهان خطبتها وهنأت حسام على أمل أن يظلا صديقين.

* * *

إن أسوأ الكوابيس على الإطلاق تلك التي لا تستطيع أن تفيق منها، وإن أسوأ الأحلام هي التي تفيق منها وتدرك أنها مجرد أحلام تطايرت، والأسوأ من هذا كله أن تعيش الحالتين، فتتملكك الحسرة على الأحلام وتعيش سجين الكوابيس.

شعر خالد بأن الدنيا استحالت إلى ظلام فكأنه يعيش في كابوس مخيف، وكأن حياته كلها كابوس قاتم يطارده بعد أن أيقن بموت مهرة، وانطلق لا يلوي على شيء ولا يرى أمامه شيئا.

لقد حاول أن يقنع نفسه بأن كل ما حدث هو مجرد وهم سيفيق منه، وبأن ذلك لم يحدث معه حقاً، ووصل إلى أبوظبي بسرعة قياسية كأنه يهرب من دبي ومن الشارقة ومن الشوارع ومن الناس..أسرع إلى فيلته وأغلق بابها بقوة كأنه يصفقه في وجه الحقيقة.. انعكست صورته على المرايا في المدخل، فأدار وجهه كأنه بهرب من نفسه، وارتمى على الأرض يجهش بالبكاء.. لقد ماتت مهرة حقا.. لقد انتقلت إلى أبعد مكان، ولولا بقية قليلة من إيمان في قلبه لقتل نفسه ليلحق بها، وأخذ يجلد نفسه بسياط الذنب ويعض أنامل الندم، وأخذ يغرق أكثر في" حالة لو". لو أنه لم يصدق سعيد.. لو أنه لم يذهب إلى تلك الفيلا.. لو أنه لم يأخذ الكاميرا.. لو أنه لم يهددها بها.. لو أن الشاحنة لم تكن مسرعة.. لو أن هذا كله لم يحدث.. لو.. لو.. لو..

قام مترنحاً إلى سريره بعد أن أعياه البكاء، ثم أصيب بدوار وسقط مغشياً عليه يهذي، وارتفعت حرارته بينما لم يتوقف هاتفه عن الرنين، وكان سيف قد أخبر حسام بما حدث وحاولا الاتصال به بكل الطرق فلم يفلحا .

* * *

وقف حسام حائرا.. لا يعرف ما يقول أو يفعل، فعبثا حاول أن يهديء من روع سيف و لكنه كان في حالة تقارب الهذيان، ولم يستطع أي منهما الوصول إلى خالد، و لم يهتديا إلى خبر عنه بعد وفاة مهرة و كأن الأرض انشقت وابتلعته فلا هو بمنزله و لا يعرف أحد من أهله مكانه، وانتشرت قصة ما حدث في دبي والشارقة و كانت تسعى حثيثا إلى أبوظبي. ففي الإمارات تنتقل مثل هذه الأخبار و القصص من شارع إلى آخر في لمح البصر، فالبلد صغير و الناس فيه يحبون آخر الأخبار أو بالأحرى آخر الفضائح، ويتطوع الصغار قبل الكبار بتوصيلها كأنها رسالة مقدسة فلا تمر ليلة او اثنتان حتى تعم القصة بيوت العائلات يتندرون بها ويمصمصون شفاههم و يزيدون فيها حتى ليبدو الأمر و كأنه واقعة الوقائع لم يحدث قبله و لن يحدث بعده ، ثم تصبح القصة فضيحة لأصحابها تتحكم في مستقبلهم أحيانا و ذلك على حسب سعة انتشارها.

في تلك الليلة كان سيف و حسام يلتقطان كل ما يذكر هنا أو هناك عما حدث و يتصلان بكل معارفهما من الشرطة و الشباب، و عندما علما بموت مهرة صعقهما الخبر و خمنا حالة خالد في تلك الليلة وما زاد من قلقهما و فزعهما هو اختفاؤه، و طول البحث دونما نتيجة .

أغلق سيف هاتفه بقوة قاطعا صوت رنينه، و علا الغضب ملامحه ، فتساءل حسام عمن يكون فقال بسخط :

- إنها تلك الحقيرة حنان لا أعرف مالذي تريده مني بعد الذي فعلته .. لا أطيق أن أسمع سخافاتها بعد الآن .

فقال حسام بهدوء :

- لا تغلق الموبايل فقد يصلنا خبر عن خالد .. ثم لماذا لا تسمع منها ما تريد قوله ؟.. ربما ستشرح لك موقفها .

فرد سيف بمرارة :

- أي شرح بعد الذي فعلته .. إن ما قامت به لا يغتفر .. لا أريد أن أعرفها بعد اليوم .

فأطرق حسام برأسه مفكرا، و قال :

- لماذا لا تسألها عن خالد؟ .. قد تعرف شيئا يفيدنا .

فصمت سيف و طالعه بوجوم، فأضاف حسام :

- هيا ..لا تكن عنيدا هكذا .

هزّ سيف رأسه، و قال :

- سنرى فيما بعد ، إسمع سأذهب إلى بيتي الآن وسألتقي بك غدا .. لقد تأخر الوقت و عطلتك معي .

عقد حسام حاجبيه، و قال بجدية :

- كيف تقول هذا ؟..إن خالد صديقي أيضا.. ثم كلنا أخوة وليس بيننا مثل هذه الحساسيات، أذهب و نم قليلا وغدا من الفجر ستجدني بانتظارك أسفل بنايتك .. اتفقنا .

obeikan.com

قال سيف بود :
- شكرا يا حسام .. إلى الغد .

قاد سيف سيارته و هو يفكر في كلام حسام .. حينا يقرر أنه لا بأس في أن يسمع حنان للمرة الأخيرة، وحينا آخر يجد أنه من المستحيل عليه أن يحدثها أو يراها، ويقرر أنه يجب عليه أن ينساها، ويقتل كل مشاعره نحوها و قد تحولت إلى الاحتقار والاشمئزاز .. لقد خدعته .. أو هكذا يعتقد .

دخل إلى شقته الباردة واجما ، لم يضيء الأنوار، حتى في غرفة نومه اكتفى بالأنوار المتسربة من الخارج، وألقى بالموبايل على السرير في إهمال بعد أن فتحه، ولم يكد يخلع حذاءه حتى ارتفع صوت الرنين .. كانت حنان تتصل به للمرة المائة تحاول أن تكلمه، تردد قليلا، ولكنه أجاب في النهاية و ببرود لم يتخيل يوما أن يخاطبها به:

- اسمعي إذا لم يكن لديك شيء عن مكان خالد الآن فاسمحي لي أن أغلق الخط و لا أريد أن أرى رقمك بعدها أبدا .

قالها بمنتهى السخرية و الاحتقار و إن استغرب في داخله من صوتها المتهدج ، لقد عهدها قوية لا يكسرها شيء.

obeikandl.com

قالت حنان الكثير و بقي لساعات يسمع اعترافاتها وقصتها مع سعيد ، قالت بأنها تغيرت وأنها كانت مثله ضحية خدعة قذرة و ضغطت على نفسها وهي تسأله عما إذا كانت علاقتهما جدية و هي تعتذر له عن كل حياتها قبله.

أجابها بعد صمت طويل :

- لا أستطيع .. لن أستطيع أن أنسى ما كان .

لقد كان سيف طوال حياته يحاول أن ينسلخ عن المجتمع الإماراتي الذي يعيش فيه ..كان يفكر بطريقة تختلف و يعيش بطريقة تختلف و يحلم و يتمنى بطريقة تختلف، كل اعتباراته و مفاهيمه تختلف عن تفكير الرجل الخليجي ، لكنه وجد نفسه في موقفه مع حنان لا يملك سوى أن يتصرف مثلهم .. فكيف تكون له علاقة جدية بفتاة رآها على تلك الصورة بنفسه ؟!.

لقد عذرها في سره و ربما تعاطف معها، بعد أن عرف ما اضطرت لفعله حتى يبقي على الصورة القديمة لها في ذهنه ، لكن منظرها وهي تحمل ملابسها خارجة من تلك الغرفة لا يفارق ذاكرته ، و لكن الشيء الأكيد أنه أحبها و تألم حتى العظم و هو يتركها ، تألم لفراقها و تألم لقراره.. فقد كان دائما متفتحا في أفكاره، و معتقداته أبعد ما تكون عن أفكار الرجل الشرقي

o b e i k a n d l . c o m

و صدم في نفسه لما قاله ، لكنه لم يستطع أن ينطق بغير ذلك ، و دمعت عيناه و هو يغلق الخط بقسوة .
على الطرف الآخر كانت حنان تنهار أكثر فأكثر، وقد أجهشت بالبكاء و هي لا تكاد تصدق أن ذلك هو سيف الذي عرفته و لم تستطع أن تتحمل أن تنتهي علاقتها به .. لقد تغيرت ألا يستطيع أن يفهم!.. هل يفكر مثل الباقين ؟!.. لا إنه يختلف عن جميع ممن عرفتهم ..لن يستطيع أن ينساها.. لن يستطيع أن يتركها يجب أن يسامحها .. سوف يسامحها..هذا ما كانت تناجي به نفسها و هي تمسح عينيها فيمتد سواد الكحل حتى حنكها.
مرت أيام و هي تتمنى أن يتصل بها سيف و تتخيل حديثه معها ، تتخيل نفسها تمشي معه كما تعودا.. تبتسم وهي جالسة في حديقة منزلها و يتراءى لها طيفه جالسا معها ، فتوقن حينا أنه سيكلمها و تبكي حينا آخر وهي تشعر بخيبة الأمل في خيالاتها التي لم تتحقق ، و تعود ترنو لهاتفها بأمل مرة أخرى .. لكنه لم يتصل .

* * *

سمعت هيفاء الحكاية من شريهان بكل التفاصيل التي خفيت عنها ،فأشفقت عليها،وقالت بأسى :

ـ كل هذا حدث لك في أول عام في الجامعة؟!..لا أصدق!

فردت شريهان:

ـ نعم.. وأكثر من هذا.. لقد حكى لي حسام عن قصص فيلا سعيد وأفعاله هو وسلطان و غير هذا الكثير.

واستمرت شريهان تحكي وتحكي وأخبرتها عن كل ما سمعته من حسام عن سيف وخالد وحنان، فقالت هيفاء:

ـ وما الذي حدث لخالد بعد موت مهرة؟

قالت شريهان:

ـ ذكر لي حسام أنه سافر إلى دولةٍ ما ولم يخبر أحداً عن مكانه.

فتساءلت هيفاء:

ـ ماذا عن سيف؟

ردت شريهان:

ـ إنه يبحث عنه في كل مكان قصده يوماً، فقد كانا كثيري السفر معاً.. إن المسكين سيف لم تتح له الفرصة ليشرح لخالد ما حدث.. قال لي حسام أنه ترك عمله ويبحث عنه على غير هدى.

هزت هيفاء رأسها وهي تفكر في كل الأحداث التي سمعتها، والتي كانت قريبة منها في ليلة من الليالي وفكرت في سرها قائلة:

- كم من الأحداث التي تدور في هذه الجامعات المغلقة المحصنة التي ظن بعض الأهالي أنها أنسب مكان لبناتهم، إلا أنها جدران صدت أحلامهن فابتكرن ما استطعن ليشعرن بنشوة الحرية؟ ، وكم احتضنت تلك الجدران أحداثاً لم يتخيل أحد يوما أن تحدث في ذلك المكان المغلق المحصن الضيق؟

تذكرت هيفاء مغامراتها هي وملك وريم..لقد كانت مغامرات لا تقل خطورة عما حدث لشلة الفايف ستار ولا يزال في جعبتها الكثير، ونظرت لشريهان وهي تتخيل لو عرفت ما عانته شلة الثلاثي الخطير من مغامرات تفوق ما فعلته هي وصديقاتها وضحكت في سرها وهي تقول:

- من الجيد أن أظهر بمظهر البريئة. لقد انتشرت في الجامعة أقاويل كثيرة عني لكن المضحك في الأمر أنني أخفيت الكثير مما لا يتخيله أحد حتى والدي

شعرت في تلك اللحظات أنها عاشت حياتها ليس كما أتيح لها فقط بل كما أرادت، وقالت في سرها:

- لا أحد يستطيع تقييد حرية البنات مهما فعل وأينما وضعهن حتى لو في السجن الذي نحن فيه، وابتسمت

لشريهان على حين لمحت حنان تمشي في الكافيتيريا وقالت:
ـ ماذا عن حنان؟
هزت شريهان كتفيها وقالت بلا مبالاة:
ـ وماذا عنها؟.. إن سيف لا يريد رؤية وجهها.
فقالت هيفاء بخبث:
وهي..؟
فردت شريهان:
ـ حنان لا تملك قلباً.
فقالت هيفاء وهي تدقق في وجه حنان الحزين، حين جلست حول طاولة قريبة وألقت بنفسها على الكرسي:
ـ لا أوافقك الرأي، أعتقد أن وجه سيف هو الوجه الذي ستبقى تتمنى رؤيته طوال حياتها.
وبقيت هيفاء مع شريهان حتى جاءت ملك تتبعها ريم التي كانت تغني بصوت مرتفع أغنية لكاظم الساهر الذي أصبحت تعشقه :

.. الليلة إحساسي غريب ..
عاشق و أنا مالي حبيب ..
حبيت كل الناس لاموني ..
حبيت كل أحبابي باعوني ..
قلت أحب الحب أحسن ..
قلت أحب الحب أضمن .....

obeikandi.com

وجلسن يتمازحن و يضحكن إلى أن غربت الشمس، فقالت ملك:
- أعتقد أننا يجب أن نعود إلى السكن الآن. ،
ثم أسرعت ترفع كتبها بينما كانت هيفاء تتأمل حنان ووجدتها لا تزال جالسة وحيدة كئيبة تعبث في طبقها وقد سرحت في عالم آخر، ولم تدرِ لمَ شعرت بغصة في حلقها لمرآها.. شعرت كأن هالتها تلامس هالة حنان في عطف وأرادت أن تقترب منها لولا أن شدتها ريم وهي تتبع ملك في طريقهن عائدات إلى السكن، فعدلت عن رأيها وتبعتهن بألم لم تدر سببه... فما الذي يجعلها تتعاطف مع حنان.. في النهاية، فلا أحد يتعاطف مع ساقطة، وبالأخص "حنان العاهرة"!.
في تلك الليلية نامت شريهان مع هيفاء في غرفتها،وتساءلت هيفاء في سرها:
- ما الذي تفعله حنان وهي وحيدة في هذه الليلة؟!.

* * *

كانت حنان تقفز من على السور وتركض منتشية بالبرد الذي لفحها في تلك االساعةالمتأخرة من الليل، ثم أخذت تمشي كالانتحارية..لا تهمها دوريات

الشرطة.. لا تهمها المخاطر.. لا يهمها شيء، فهي في طريقها إلى أقرب بار في أقرب فندق ..تضحك وتقول في سرها :

- سأشرب كاسين أو ثلاثة ثم سأصعد إلى أي غرفة.. سأعود كما كنت.. لقد خدعت نفسي عندما فكرت أنني سأتوب.. فلا يمكنني أن أفعل ذلك.. فلأجل من؟ لأجل سيف!.. إنه مجرد شاب مثله مثل الآخرين.. لن أبكي.. لن أبكي..

غطت فمها بيدها بينما صوت كعبها يتردد صداه على الطرقات التي تقطعها، وما إن وصلت إلى باب البار حتى ألقت بنفسها فيه، وأخذت تحتسي الشراب وتدخن، ظلت هناك حتى دخنت العلبة بكاملها.. ضربت بكأسها على الطاولة تريد المزيد فتقدمت منها نادلة آسيوية ذكرتها بسيف، فصرخت فيها أن تبتعد عنه، فابتعدت النادلة في الحال، على حين اقترب منها شاب ووضع كأسه بجانب كأسها وقال في صوت لزج:

- في صحتك.. اقترحي نخباً ..

فقالت حنان بوجوم :

- نخب"العاهرة".

ضحك الشاب ، فأضافت وهي تضحك بسخرية :

Ope..kan..com

- اسمع، سأحكي لك قصة صينية قديمة.. إنها حكمة..عليك أن تفهم المقصود منها، ركز معي لأني سأسألك بعدها..هل تفهم؟

هزّ الشاب رأسه في استمتاع ،فقالت ورأسها يتمايل:

- كانت هناك عنكبوت سوداء أرادت أن تكون فراشة فصنعت من خيوط غزلها أجنحة كبيرة، وطارت بها، وفي يوم ما توقفت ونزعت أجنحتها لتزيل ما علق بخيوطها اللزجة وعادت لتطير مرة أخرى مع الفراشات، لكن الغابة كلها عرفت أنها لم تكن فراشة ،فعادت تنسج شبكتها في الصباح ..ألقت بأجنحتها بعيداً... هل فهمت ما أقصده؟!

نظر إليها الشاب في بلاهة، وقال بسخافة:

- إنك فراشة فاتنة!

فهزت رأسها باستنكار، وقالت:

- خطأ! .. عليك ألا تأخذ المعنى القريب في القصص الصينية، لأنها حكيمة.. حكيمة جداً، والآن.. أخبرني كيف عرفت العنكبوت أنها ليست فراشة ؟.

لم يجابها الشاب، وهز رأسه وهو موقن أن ما تقوله لا يعد سوى تخاريف سكيرة، فقالت بعد دقيقة وهي تتجرع كأسها دفعة واحدة:

- عرفت ذلك..لأن الفراشات لا تنزع أجنحتها، والعناكب لا تتوقف عن غزل شباكها.. الآن ،هل عرفت من أنا؟!

قال الشاب بتذاك :
- أنت العنكبوت.
فقالت وهي تضع رأسها على طرف الطاولة :
- خطأ.. أنت لم تفهم، ولن تفهم.
وأخذت تضحك في هستيريا، بينما استندت إلى كتف الشاب الذي صحبها في طريقه إلى المصعد.

***

تمت

أبوظبي في ٣٠ يوليو ٢٠٠٦

البريد الإلكتروني للكاتبة:

Alshaimaa_a_2b_a@hotmail.com

opeikandl.com